www.attaweel.com

www.attaweel.com

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

مقدّمة النّاشر

هذا الكتاب موسوعة ضخمة، تضمّ أربعة عشر جزءاً، قام بتأليفها المحقّق والمفسِّر الكبير، الأستاذ العلّامة حسن المصطفوي.

هو إنسان كامل وعالم نورانيٌّ، عملَ على سبر غور مفردات القرآن الكريم ومفاهيمه، والوقوف على المعنى الحقيقي الواحد لكلِّ مفهوم ولفظ والكشف عنه وتوضيحه.

ربّما هناك عدد قليل من المفسِّرين الكبار ممّن اتّبعوا هذا النّهج في تفسير بعض مفردات القرآن على نطاق محدود وفي مواضع متفرِّقة، غير أنّ العلّامة المصطفوي استطاع في هذا الكتاب الّذي ليس له نظيرٌ في تاريخ الإسلام ـ وحسبما أفاد باحثون كبار ممّن يتردّدون على هذا المركز ـ الوقوف على المعنى الحقيقي الواحد لكلِّ مفردة من مفردات القرآن المجيد، وتناول قواعد الكتاب بأسلوب فريد محكم ومستدلّ من النّاحية العلميّة والتاريخيّة.

تتلخّص المبادئ الأساسية والمهمّة الّتي اعتمدها العلّامة في نهجه هذا في أنّه من غير الممكن تفسير الآيات ما لم يتحدّد المعنى الحقيقي الواحد لكلِّ مفردة من مفردات القرآن الكريم.

إنّه محقِّق فريد ومفسِّر كبير على ارتباط بعالم الغيب والشّهود دون شك.

وحسبما نُقِل عن أفراد أسرته إنّ معاني بعض مفردات القرآن ومفاهيمه كانت تتجلّى له من عالم الغيب إلى الشّهود، فيقوم فضيلته بتدوينها.

www.attaweel.com

ومن كراماته الأخرى أنّ تدوين هذا الكتاب النّفيس جاء في نسخته الأُولى دون الحاجة إلى شطب أو تعديل.

هذا ويسرُّ مركز نشر آثار العلّامة المصطفوي أن يُقدِّم هذه الموسوعة القيِّمة إلى كافّة العلماء ومفسِّري القرآن الكريم وعشّاق الثّقافة القرآنيّة.

مركز نشر آثار العلّامة المصطفوي

www.attaweel.com

بسم الله الرَّحْمن الرَّحيم

الحمد لله ربّ العالَمين الرَّحْمن الرّحيم، والصّلوة والسّلام على سـيِّد المرسلين محمّد وآله المعصومين.

فنَبْدأ بتوفيق الله وتأيده وقوّته في الجزء السابع من كتاب التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ونسأل الله عزّ وجلّ أن يوفِّقَـنا في إتمام هذا المجلّـد وسائر الأجـزاء الباقية، بلطفه وفضله.

وما التوفيق إلّا بالله العليّ العظيم، ولا حولَ ولا قوّة إلّا به، عليه توكّلتُ وإيه فوّضت، وهو حسبي ونِعْمَ الوكيل، وهو على كلِّ شيءٍ قدير.

وأنا الأحقر

حسن المصطفوي

١٣٦٠/١/٦ هـ شمسي

www.attaweel.com

www.attaweel.com

هو

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

باب حرف الضّاد

ضأن:

مقا ـ ضأن: أصل صحيح وهو بعض الأنعام من ذلك الضَّأن. يقال أضأن الرجلُ: إذا كثر ضأنه. والضائنة الواحدة من الضَّأن. وحكى بعضهم: فلان ضائن البطن: مسترخيه.

مصبا ـ الضأن: ذوات الصوف من الغنم، الواحدة ضائنة والذكر ضائن. قال ابن الأنباري: الضأن مؤنّثة، والجمع أضؤن، وجمع الكثرة ضَئين.

صحا ـ الضائن: خلاف الماعز، والجمع الضَّأن والمَعز، مثل راكب ورَكب ومسافِر وسَفر، وضأَن أيضاً مثل حارِس وحَرَس. وقد يجمع على ضَئِين مثل غاز وغَزِيّ، والأُنثى ضائنة، والجمع ضوائن.

التهذيب ١٢ / ٦٨ ـ الضَّأن والضَّأَن مثل المَعْز والمَعَز، وتجمع ضَئيناً، وقال الليث: الضَّأن ذوات الأصواف من الغنم، ويقال: للواحدة ضائنة. قال بعضهم: هو اللَّيِّن كأنّه لَفجة. وقال آخر: هو الّذي لايزال حسنَ الجسم قليل الطعم. ويقال رملة ضائنة وهي البيضاء العريضة. ويقال إضأن ضأنَك وامعز مَعزَك أي اعزل ذا من ذا، وقد ضأنتها إذا عزلتَها. وعن ابن الأعرابي: رجل ضائن: إذا كان ضعيفاً، ورجل ماعِز

إذا كان حازماً مانعاً ماوراءه والضِّئِنيّ: السِّقاء الّذي يُمخض به الرائب، يسمّى ضِئِنيّاً، إذا كان ضَخماً من جلد الضَّأن.

لسا ـ الضائن من الغنم: ذو الصوف، ويوصف به فيقال: كَبش ضائن، والأُنثى ضائنة. والضائن خلاف الماعز، والجمع الضَّأن والضَّأَن مثل المعز والمَعَز، والضَّئين والضِّئين تميميّة والضِّئين داخل على الضَّئين أتبعوا الكسر الكسر، يطّرد هذا في جميع حروف الحلق إذا كان المثال فَعِلاً أو فَعيلاً.

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الغنم في مقابل المعز، والغنم أعمّ من الضأن والمعز، فإنّ الأصل فيه الاغتنام.

وأمّا مفاهيم اللِّين والاسترخاء والضعف: فكأنّها مأخوذة من خصائص يمتاز بها الضأن عن سائر الأنعام.

كُلوا مِمّا رَزَقَكُم الله ولا تتّبِعوا خُطُواتِ الشَّيطان إنَّهُ لَكُم عدوّ مُبين ثمانيةَ أزواج مِن الضَّأن اثنينِ ومن المَعزِ اثنينِ قُل آ الذَّكرينِ حرَّم أم الأُنثيين ... ومن الإبلِ اثنينِ ومن البَقرِ اثنينِ ـ ٦ / ١٤٤.

أي كلوا ممّا رزقكم الله من الأنعام [ومن الأنعام حمولة وفرشاً] ولا تحرّموا ما أحلّ الله لكم باتّباع عن الهوى والشيطان.

وثمانية أزواج: حال من ـ ما رزَقكم، أي حال كون ذلك البعض من ما رزقكم، متزوّجةً ثمانية. ولا يجوز البدل من الحمولة، ولا المفعول من كلوا: فإنّ الحمولة غير منحصرة في تلك الثمانية، وإنّ الأكل لا يجوز أن يتعلّق بمجموع الثمانية، فلا يقال كلوا ثمانية أزواج، بل من الثمانية.

والزوج: ما يكون معه غيره من جنسه، وهو يطلق على واحد من الطرفين.

ومقابلة الضأن بالمعز: يدلّ على اختلافهما في الجنس والمفهوم.

والتفصيل بين الذكر والأُنثى منها: إشارة إلى الاختلاف في التحريم.

* * *

ضبح:

مقا ـ ضبح: أصلان صحيحان، أحدهما صوت والآخر ـ تغيّر لون من فعل نار. فالأوّل قولهم ـ ضبحَ الثعلب يضبحَ ضَبحاً، وصوته الضُّباح، وهو ضابح. فأمّا قوله تعالى ـ والعاديات ضَبْحاً: فيقال هو صوت أنفاسها، وهذا أقيس، ويقال بل هو عدوٌ وفوق التقريب. وهو في الأصل ضَبَع، وذلك أن يمدّ ضَبْعيه حتّى لا يجد مَزيداً، وإن كان كذا فهو من الابدال. وأمّا الأصل الثاني ـ فالضَّبح: إحراق أعالي العود بالنار. والضِّبح: الرماد والحجارة المضبوحة هي قدّاحة النار الّتي كأنّها محترقة. ويقال: الانضباح: تغيّر اللون إلى السواد.

التهذيب ٤ / ٢١٨ ـ قال الليث: ضبحت العودَ في النار إذا أحرقتُ من أعاليه شيئاً، وكذلك حجارة القدّاحة إذا طلعت كأنّها متحرّقة مضبوحة. ابن السِّكّيت: ضبحته الشمس وضبته إذا غيّرت لونه ولوّحته، وكذلك النار. وقال الليث: الضُّباح: صوت الثعالب. أبو عبيد: ضبحت الخيلُ وضبعت: إذا عدت وهو في السير.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو تضيّق في الباطن وتحرّج في جريان فعّاليّة، سواء كان ذلك التحرّج في إنسان أو حيوان أو في نبات أو في جماد، كلّ بحسب تحرّك في باطنه.

www.attaweel.com

ويدلّ على هذا المعنى: كلمات الضبث (القبض) والضبر (الجمع) والضبط (وهو نوع من الجمع): ففي كلّ منها معنى التضيّق في قبال التوسّع.

وأمّا الصوت في العدو، والتحرّق، وتغيّر اللون: فهي من آثار التضيّق في الباطن وتحرّك، فيتجلّى بهذه الصور.

والعادِياتِ ضَبْحاً فالمورِياتِ قدحاً ـ ١٠٠ / ١.

العدو هو تجاوز للتقدّم. والضَّبح مصدر وهو حال، بمعنى ضابحة، عبّر بالمصدر مبالغة.

والعاديات: تشمل كلّ ما يعدو في سبيل الخير وفي طريق النجاح لينال إلى هدف مقصود ونتيجة مرضيّة، فتشمل الخيل العاديات في سبيل الله، والمجاهدين المجتهدين في طريق الجهاد، والسالكين المرتاضين في مسير الحقّ والجهاد الأكبر بمخالفة الهوى وبالإخلاص.

ونبحث عن تفسير الآية الكريمة في موادّها بأنّ المراد النفوس السالكين إلى الله المتعال، وفيها إشارة إلى المراحل الخمسة للسلوك.

فهذه النفوس سائرون إلى الله الحقّ، ومشتاقون إلى وصول عالم النور والقدس واللّاهوت ـ راجع عدو.

فهذه قافلة من الخلق يسيرون إلى الله وإلى عالم اللّاهوت، في قبال طوائف أخرى يتوغّلون في الحياة الدنيا ويسيرون إلى الطاغوت.

فالقسم بالعاديات في مورده، وإنّهم هم على الحقّ وإلى الحقّ.

* * *

ضجع :

مصبا ـ ضجعت ضَجعاً من باب نفع وضجوعاً وضعتُ جنبي بالأرض،

www.attaweel.com

وأضجعت لغة، فأنا ضاجع ومُضجع، وأضجعت فلاناً: ألقيته على جنبه، وهو حسن الضِّجعة. والمَضجَع: موضع الضجوع، والجمع مَضاجع. والضَّجيع: الّذي يُضاجع غيره.

التهذيب ١ / ٣٣٤ ـ ضجَع واضطَجع، والأصل اضتَجع، ومن العرب من يقول اضّجَع. وضاجَع الرجل امرأته مضاجَعة: إذا نام معها في شعار واحد، وهو ضَجيعها، وهي ضجيعته. وقال الليث يقال أضجعت فلاناً إذا وضعتَ جنبه بالأرض، وكلّ شيءٍ تَخفضه فقد أضجعته ورجل ضاجع أي أحمق، ودلو ضاجعة أي ممتلئة. ورجل ضُجعيّ وضِجعيّ وقُعْديّ وقِعْديّ: كثير الاضطجاع. وقال الأصمعيّ: ضجعت الشمسُ للغروب وضجع النجم فهو ضاجع: إذا مال للمَغيب.

مقا ـ ضجع: أصل واحد يدلّ على لُصوق بالأرض على جنب. ثمّ يحمل على ذلك. يقال ضجَع ضُجوعاً. والمَرّة الواحدة الضَّجعة، ومن الباب: ضجّع في الأمر، إذا قصّر، كأنّه لم يقم به واضطجع عنه، ويقال رجل ضَجوع، أي ضعيف الرأي. ورجل ضُجَعة: عاجز لا يكاد يَبرح. والضَّجوع: الناقة الّتي ترعى ناحية. ويقال تضجّع السحاب، إذا أربّ بالمكان. والضاجعة والضجعاء: الغنم الكثيرة، وإنّما هو من الباب لأنّها ترعى وتضطجع.

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الاستفراغ عن العمل بتسكين البدن على الأرض، ويقابلها القيام للعمل أو القعود في الجملة، ومن مصاديقها ـ التهيّؤ والاستراحة للنوم. والاستراحة قهراً لضعف. والاستراحة والاستفراغ لتقصير أو قصور.

والّلاتي تَخافون نُشوزَهنّ فعِظوهنّ واهجُروهنّ في المَضاجع ـ ٤ / ٣١.

والهجر في المَضْجع فإنّ المضجع محلّ فراغة ومورد استراحة يتفرّغ الإنسان

www.attaweel.com

عن أفكار مختلفة وأعمال بدنيّة، وهو مستعدّ للمؤانسة والمصاحبة، والهجر في ذلك المورد أشدّ تأثيراً وأقوى تأديباً وتنبيهاً للمرأة.

إنَّما يُؤمن بآياتنا الَّذيـنَ إذا ذُكِّروا بها خَرّوا سُـجَّداً ... تَتَجافى جُنـوبُهم عَن المَضاجع يَدعون ربّهم ـ ٣٢ / ١٦.

أي يختارون دعوة الله وأنسـه ومناجاتـه على التفرّغ والاستراحة، ويلتذّون بالمناجاة أكثر وأزيد من لذّة الاضطجاع، ويستفيدون في ساعات التفرّغ عن المشاغل الدنيويّة بالتوجّه والدعاء والذكر لله تعالى.

فإنّ من آمن بالله باليقين القاطع والشهود الكامل: يرى الله عزّ وجلّ حاضراً ناظراً قيّوماً مطّلِعاً مالكاً بيده الملك والأمـر، فكيف يمكن له التفـرّغ والاسـتراحـة المطلقة والغفلة التامّة.

قُل لَو كُنتُم في بُيوتكُم لَبَرَز الَّذينَ كُتِبَ عَلَيهم القتلُ إلى مَضاجِعهم ـ ٣/١٥٤.

أي إنّهم لَبَرَزوا إلى مصارعهم بأيّ نحو وبأيّ وسيلة وصورة. والتعبير بالمادّة دون كلمات اُخر: إشارة إلى أنّ ذلك الموت تفرّغ عن الزحمة والتعب والأعمال الشاقّة الدنيويّة واستراحة حقيقيّة.

فظهر لطف التعبير بالمادّة في هذه الموارد.

* * *

ضحك :

مقا ـ قريب من الضـحى، وهو دليل الانكشاف والبروز، من ذلك الضَّـحِكُ ضَحِكُ الإنسان، ويقال الضَّحْك، والأوّل أفصح، والضاحكة: كلّ سنّ تبدو من مقدّم الأسنان والأضراس عند الضَحِك. ابن الأعرابي: الضاحك من السحاب مثل العارض إلّا أنّه إذا بَـرق يقال فيه ضحِك. والضَّـحوك: الطريق الواضـح. ويقال أضحكتَ

حوضك: إذا ملأته حتّى يفيض. ويقال الأُضحوكة ما يُضحِك منه. ورجل ضُحْكة: يُضحك منه. وضُحَكة: كثير الضحك وأمّا الضَّحّاك: فيقال إنّه العسل.

مصبا ـ ضحِك من زيد، وضحِك به يضحَك ضَحِكاً وضَحْكاً: إذا سخر منه أو عجب، فهو ضاحك، وضَحّاك مبالغة، وبه سُمّي، وضحِكت المرأة والارنب: حاضت.

التهذيب ٤ / ٨٨ ـ قال الليث: ضَحِك يضحَك ضَحِكاً، ولو قيل ضَحَكاً: لكان قياساً، لأنّ مصدر فَعِل فَعَلٌ. فضحِكت فبشّرناها ـ أي طمثت. قال الفرّاء: وهذا فلم نسمعه من ثقة، وكان ابن عبّاس يقول ضحِكت: عجِبت من فزع إبراهيم. عمرو: الضَّحك والضَّحّاك وَليع الطَّلعة الّذي يؤكل. والضَّحك: العسل. والضَّحك: النَّور. والضَّحك: المحجّة. والضَحك: ظهور الثنايا من الفرح. الليث: الضَّحوك من الطرق: ما وضَح واستبان.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الأثر البارز من انبساط شديد في الباطن، كما أنّ البكاء هو الأثر البارز من انقباض شديد في الباطن. وظهور الانبساط يختلف باختلاف الموضوعات.

فالانبساط في الطريق بوضوحه وتبيّنه، وفي الشجر بظهور طلعه ونَوره، وفي المأكول بكونه حلواً مطلوباً في خلاف العفوصة.

وأمّا العَجَب: فهو من مبادئ الضحك، إذا كان منتهياً إلى الضحك، وليست المادّة بمعنى التعجّب، كما في السخر أيضاً.

فليضحَكوا قَليلاً وليَبكوا كَثيراً جزاءً بِما كانوا يَكسِبون ـ ٩ / ٨٢.

وأنَّهُ هو أضْحَكَ وأبكى وأنَّهُ هوَ أماتَ وأحيا ـ ٥٣ / ٤٣.

www.attaweel.com

أفمِن هذا الحَديث تَعجبون وتَضحكون ولا تَبكون ـ ٥٣ / ٦٠.

تدلّ الآيات الكريمة على أنّ الضّحك في مقابل البكاء. وعلى أن التعجّب مغاير للضحك وواقع قبله. وعلى أنّ الضحك على نوعين من الله ومن نفسه.

فالضَّحك الّذي يصدر باختيار من العبد: كما في سائر الأعمال الاختياريّة والأفعال الصادرة من العبد، فلازم له أن يلاحظ فيه جهة الصلاح والبِرّ والخير والإخلاص، ويتّقي عن سوءِ النيّة واللغو والإفساد والإهانة والسخر والتحقير.

إنَّ الَّذينَ أجرَموا كانوا من الّذين آمَنوا يَضحكون ـ ٨٣ / ٢٩.

فَلَمّا جاءَهُم بآياتنا إذا هُم مِنها يضحكون ـ ٤٣ / ٤٧.

فهذا النوع من الضحك إنّما يصدر بسوءِ النيّة والاختيار.

وهذا النوع إنّما يتعلّق به الأمر والنهي والزجر كسائر أعمال العباد: فليضحكوا قَليلاً وليَبكوا كَثيراً.

والنوع الثاني من الضحك والبكاءِ: ما يصدر بأسباب خارجيّة وحوادث غير اختياريّة تواجه الإنسان، كالصحّة والسقم، والبلاءِ والرخاءِ، والسعة والمضيقة في العيش، والحوادث التكوينيّة، الّتي توجب انبساطاً في الباطن أو انقباضاً فيه من دون اختيار.

وأنَّهُ هوَ أضحَكَ وأبكى.

وهذا النوع هو الغالب المستمرّ الأصيل في جريان حياة الإنسان، فإنّ هذا النوع هو اللّاحق بالتكوين ومن آثاره المتأصّلة، بخلاف النوع الأوّل فإنّه عرضيّ تبعيّ، بل هو أيضاً من أشعّة التكوين في الحقيقة.

ثمّ إنّ الضحك إمّا في عالم المادّة أو فيما وراءها: فالأوّل كما في الآيات المذكورة. والثاني ـ كما في:

وجوهٌ يَومئذٍ مُسفِرة ضاحِكة مستَبشِرَة ـ ٨٠ / ٣٩.

فاليَومَ الَّذينَ آمنوا مِن الكُفّار يضحكون ـ ٨٣ / ٣٤.

فإنّ حقيقة الضحك كما قلنا هو ظهور الانبساط في الوجه، والوجه أعمّ من المادّيّ والروحانيّ، والانبساط أيضاً إنّما يتحصّل بأمور متنوّعة.

* * *

ضحى :

مصبا ـ الضَّحاء بالفتح والمدّ: امتداد النهار وهو مذكّر كأنّه إسم للوقت، والضَّحوة مثله، والجمع ضُحَى. وارتفعت الضُّحى أي الشمس ثمّ استعملت الضُّحى استعمال المفرد، وسمّي بها، حتّى صغّرت على ضُحَيّ. والأُضحِيّة: فيها لغات، ضمّ الهمزة في الأكثر في تقدير أُفعولة، وكسرها اتباعاً لكسرة الحاءِ والجمع أضاحي، وضَحِيّة والجمع ضَحايا، وأضحاة والجمع أضحىً، ومنه عيد الأضحى. والأضحى: مؤنّثة، وقد تذكّر ذهاباً إلى اليوم. وضَحَّى تضحية: إذا ذبح الأضحيّة وقت الضحى، هذا أصله ثمّ كثر حتّى قيل ضحى في أيّ وقت كان من أيّام التشريق، ويتعدّى بالحرف فيقال ضحيت بشاة.

مقا ـ ضحى: أصل صحيح واحد يدلّ على بروز الشيء. فالضَّحاء: امتداد النهار، وذلك هو الوقت البارز المنكشف، ثمّ يقال للطعام الّذي يؤكل في ذلك الوقت ضَحاء، ويقال ضَحِيَ الرجل يضحَى إذا تعرّض للشمس، وضَحَى مثله، ويقال اضحَ يا زيد أي ابرز للشمس. والضَّحِيّة معروفة وهي الأُضحيّة، وإنّما سمّيت بذلك لأنّ الذبيحة في ذلك اليوم لا تكون إلّا في وقت إشراق الشمس، ويقال ليلة إضحيانة وضَحياء، أي مضيئة لا غيم فيها، ويقال هم يتضحّون أي يتغدّون، والغَداء: الضَّحاء، وضاحية كلّ بلدة: ناحيتها البارزة. ويقال فعل ذلك ضاحية إذا فعله ظاهراً بيّناً.

وضَحَى الطريق يضحو ضَحْواً وضُحوّاً إذا بدا وظهـر. وأمّا ضحّيت عن الأمـر إذا رفقت: فالأغلب عندي إنّه شاذّ.

لسا ـ الضَّحو والضَّحوة والضَّحيّة على مثال عشـيّة: إرتفاع النهار والضُّحى: فويق ذلك، أُنثى، وتصغيرها بغير هاء لئلّا يلتبس بتصغير ضَحوة. والضَّحاء ممدود: إذا امتدّ النهار وكرب أن ينتصف وقيل الضُّحى من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار، ثمّ بعد ذلك الضَّحاء إلى قريب من نصف النهار.

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الزمان الّذي تُشرق فيه الشمس على ناحية، في قبال العشاءِ والليل، فإنّ العشيّة زمان شروع الظلمة إلى مقدار من الليل. والليل تمام المدّة الّتي فيها تغيب الشمس. ويقال ضحى يَضحى: إذا وقع في زمان الضحى. والضَّحيّة والأُضحيّة: ما يذبح يوم النحر في ذلك الزمان، فإنّه إنّما يذبح بعد البلوغ إلى منىٰ وبعد رمي الحجر. ويطلق الضحاء على غذاء يؤكل في أوّل ذلك الزمان، كما أنّ العَشاء يطلق على طعام يؤكل من آخر النهار وأوّل الليل. والضاحية ناحية خارجة عن محيط البيوت، واقعة في موارد إشراق الشمس. وهكذا قولهم ضحى الطريق إذا بدا، بمناسبة الوقوع في إشراق.

والضُّحى واللّيلِ إذا سَجى ـ ٩٣ / ١.

يَسألونَكَ عَن السّاعَة ... كأنَّهُم يومَ يَرونها لَم يَلبثوا إلّا عَشِيَّةً أو ضُحاها ـ ٧٩ / ٤٦.

أم السَّماءُ بَناها ... وأغطَشَ لَيلَها وأخرَجَ ضُحاها ـ ٧٩ / ٢٩.

فقد ذكرت المادّة في هذه الآيات الكريمة في مقابل الليل والعشاء، وهما زمانان.

والقسم بالضحى واللّـيل: فإنّ جريان العـوالم طولاً أو عرضـاً على هـذين القانونين: تجلّي النور والإشراق، وظهور الظلمة والانقطاع، ماديّاً أو روحانيّاً، كما في اليوم والليل، ومراحل الطبيعة والنور.

فالسالك إلى الله المتعال: لابدّ له أن يتوجّه إلى وجود هذين الأمرين وظهور الحالتين في سيره، فإنّ القبض والبسط بيده وبعلمه وسلطانه، والابتلاء والانبساط في الحياة بمشيّته وحكمته وتحت نظام أمره، فلا يصحّ له اليأس والظنّ السوء والحزن إذا واجه انقباضاً أو قبضاً أو ابتلاء.

وهذا القسم بتناسب ما بعده:

ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلىٰ.

وتقديم الضُّحى في هذه الآية الكريمـة، وتأخيره في الآيتين الأُخـريين: فإنّ الخطاب فيهما إلى من يتمايل إلى جانب الظلمة وفي مورد الكفر والإنكار، وهذا بخلاف الآية المربوطة إلى رسوله المكرّم.

والسَّجى: السكون والاستقرار. والغطش الظلمة.

أوَأمِنَ أهلُ القُرى أن يأتيهم بأسُنا ضُحىً وهُم يَلعبون - ٧ / ٩٨.

قالَ مَوعدُكُم يومُ الزِّينة وأن يُحشَر النّاسُ ضُحىً - ٢٠ / ٥٩.

فالضُّحى مفعول فيه للزمان، بأن يكون في زمان تشرق الشمس حتّى يكون مشهوداً لكلّ أحد ولا يمكن لأحد أن يأتي بعذر.

والشَّمسِ وضُحاها والقَمرِ إذا تَلاها والنَّهارِ إذا جَلّاها واللّيلِ إذا يَـغشاها - ٩١ / ١.

قلنا إنّ الضحى زمان يلاحظ فيه إشراق الشمس، وهو مقدّم على القمر، فإنّ الإشراق من القمر بواسطة، وأمّا النهار فهو زمان ممتدّ من أوّل طلوع الفجر إلى اللّيل،

وإشراق الشمس غير ملحوظ فيه ثمّ بعده يذكر اللّيل، والملحوظ فيه نفي الإشراق.

وأنَّكَ لا تَظْمَأُ فيها ولا تَضْحى فوَسْوَسَ إليهِ الشَّيطانُ ـ ٢٠ / ١١٩.

أي تكون الأطعمة والمساكن معتدلة، بحيث لا توجد فيها حدّة توجب عطشاً أو حرارةً أو مضيقةً أو شدّة.

فلا يكون فيها إشراق للشمس يوجب حرّة للمزاج.

وأمّا أنّ هذه الخصوصيّات والآثار [ألّا تجوعَ فيها ولا تعرى، ولا تظمأ ولا تضحَى] الكائنة في جنّة آدم وحوّاء في زمان ابتداءِ خلقهما: هل كانت من جهة ذاتها أو من جهة المحيط، وفي أيّ محيط كانت هذه الجنّة؟ لعلّ الله تعالى يُفهِّمنا حقائق هذه الأُمور ـ راجع عرى.

* * *

ضدّ:

مصبا ـ الضدّ: هو النظير والكُفء، والجمع أضداد. أبو عمرو: الضدّ مثل الشيءِ والضدّ خلافه، وضادّه يُضادّه إذا باينه مخالفة، والمتضادّان اللذان لا يجتمعان.

مقا ـ ضدّ: كلمتان متبائنتان في القياس، فالأوّل الضدّ ضدّ الشيءِ. والمتضادّانِ الشيئان لا يجوز اجتماعهما في وقت واحد كالليل والنهار. والكلمة الأُخرى الضَّدّ وهو المَلأ، يقال ضَدَّ القِربة إذا ملأها.

التهذيب ١١ / ٤٥٥ ـ الضدّ: قال الليث: الضِّدّ كلّ شيءٍ ضادّ شيئاً ليغلبه، تقول هذا ضِدّه وضَديده. وتكونونَ عليهم ضِدّاً. قال الفرّاء: عَوناً. عن عِكرمة: أعداءً. قال الأخفش: الضِدّ يكون واحداً وجماعة، مثل الرَّصَد. أبو زيد: ضددت فلاناً ضَدّاً أي غلبته وخصمته. وفلان نِدّي ونَديدي: للّذي يريد خلاف الوجه الّذي تريده وهو مستقلّ من ذلك بمثل ما تستقلّ به. عمرو عن أبيه: الضُّدُد: الّذين يَملأون

للناس الآنية إذا طلبوا بالماءِ واحدهم ضادّ، فيقال ضادِد وضَدَد.

الأفعال ٢ / ٢٧٧ ـ ضددتُ الإناء ضَدّاً: ملأته. وأضددت أتيت بالضدّ وهو خلاف الشيء. وأضدّ الرجل: غضب.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو المخالف الشديد بحيث لا يكون توافق وتجمّع بينه وبين ما يقابله. وهذا المعنى يشمل النقيضين المصطلحين أيضاً، فإنّ النظر في المادّة إلى التخالف الشديد وامتناع التجمّع، سواء كان افتراقهما معاً عن موضوع ممكناً أم لا.

ثمّ إنّ المادّة قد تطلق على المثلين إذا وقعا متقابلين، فهما من جهة تقابلهما وبهذه الحيثيّة، يقال إنّهما ضدّان.

وبهذه المناسبة أيضاً تطلق على الملأ: فإنّ الملأ في قبال الخلأ، ومَن يَملأ للناس آنِيتَهم هو في مقابلهم من يمنع عن أن يَملأوا آنيتهم.

واتَّخَذوا مِن دون الله آلِهَةً ليكونوا لَهم عِزّاً كلّا سيَكفُرونَ بِعبادتهم ويكونونَ عَليهم ضِدّاً ـ ١٩ / ٨٤.

أي يكفر هؤلاءِ الآلهة بعبادتهم، ويكونون عليهم مخالفين وأعداء، من دون أن يكونوا عَوناً وظهيراً لهم.

وجملة يكونون عطف على قوله سيكفرون، ونسق الآية يمنع أن يكون الضدّ بمعنى العون كما عن الفرّاء.

ولا يخفى لطف التعبير بالمادّة في الآية: إشارة إلى مطلق المقابل المخالف.

* * *

ضرب :

مقا ـ ضرب: أصل واحد، ثمّ يستعار منه ويحمل عليه. من ذلك ضربت ضرباً إذا أوقعتَ بغيرك ضرباً. ويشبّه به الضرب في الأرض تجارة وغيرها من السفر. ويقال: إنّ الإسراع إلى السير أيضاً ضرب. ومن الباب الضرب: الصيغة، يقال هذا من ضرب فلان أي من صيغته، لأنّه إذا صاغ شيئاً فقد ضربه والضَّريب: المثل، كأنّهما ضُربا ضرباً واحداً وصيغا صياغة واحدة والضَّريب من اللّبن: ما خُلط محضه بحقينه، كأنّ أحدهما قد ضرب على الآخر. والضَّريب: الشهد، كأنّ النخل ضربه. ويقال للسجيّة والطبيعة الضَّريبة، كأنّ الإنسان قد ضُرب عليها ضرباً. ويقال للصِّنف من الشيءِ الضرب، كأنّه ضُرب على مثال ما سواه من ذلك الشيءِ، والضَّريبة: ما يُضرب على الانسان من جزية وغيرها. ومن الباب ضِراب الفَحل الناقةَ. وأضرب فلان عن الأمر: إذا كفّ، كأنّه أوقع بنفسه ضرباً فكفّها عما أرادت.

مصبا ـ ضربه بسيف أو غيره. وضربت في الأرض: سافرت وفي السير أسرعت. وضربت مع القوم بسهم: ساهمتهم. وضربت على يده: حجرت عليه أو أفسدت عليه أمره. وضرب الله مثلاً: وصَفه وبيّنه. وضرب على آذانهم: بعث عليهم النوم فناموا ولم يستيقظوا. وضرب النوم على أُذنه. وضربت عن الأمر وأضربت: أعرضت تركاً أو اهمالاً. وضربت عليه خراجاً: إذا جعلته وظيفة، والإسم الضَّريبة، والجمع ضرائب. وضربت عنقه وضرّبت الأعناق، والتشديد للتكثير. وضارب فلان فلاناً مضاربَة، وتضاربوا، واضطربوا، ورميته فما اضطرب أي ما تحرّك. واضطربت الأُمور: إختلفت.

مفر ـ الضرب: إيقاع شيء على شيء، ولتصوّر اختلاف الضرب خولف بين تفاسيرها. والضرب في الأرض: الذهاب فيها هو ضربها بالأرجل. وضرب الفحل:

www.attaweel.com

تشبيهاً بالضرب بالمِطرقة. وضرب الخيمة بضرب أوتادها بالمِطرقة. وتشبيهاً بالخيمة قال: ضُربت عليهم الذلّة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو طَرق شيء بشيء على برنامج مقصود، وسنزيد في الطَّرق: فرق ما بينها وبين موادّ قريبة ومترادفة منها ـ فراجعه.

فهذا المعنى ملحوظ في كلّ من موارد استعمالها.

والظاهر أنّ مادّة الطرق أقرب منها فيما بين مترادفاتها، فيقال طرقه أي ضربه بالمِطرق، والطِّراق: الضراب، ويقال للفحل مُطرِق، وطرقت الطريق: سلكته. والطريقة: الحالة.

فمفاهيم ـ الشهد والصنف والسجيّة والجزية واللبن المصنوع المخلوط كلّ منها بلحاظ صياغته على خصوصيّة معيّنة وتقديره على كيفيّة مخصوصة، وفي الصياغة معنى الضرب على شكل.

كما أنّ إطلاق الضرب على السير: إذا كان المشي على تفهّم وتدبّر في الأقدام، فكأنّ كلّ قدم وضرب رِجل يلاحظ في نفسه، وهذا بخلاف ما إذا كان النظر إلى تحقّق سير أو حركة أو سفر أو مشي أو عدو أو اسراع أو سلوك، فإنّ النظر في كلّ منها إلى خصوصيّة في مفهومه يغاير ضرب الرِّجل.

وأمّا الإعراض والكفّ والإفساد والحجر: فإنّ هذه الخصوصيّات إنّما تستفاد من إيصال حروف ـ مِن وعَلى، فيتحصّل مفهوم الضرب مع هذه الخصوصيّة المنظورة المستفادة من تلك الحروف.

وأمّا الاضطراب: فهو افتعال ويدلّ على طوع واختيار، فكأنّ المضطرب يختار

www.attaweel.com

الضرب بأرجله ويعمل هذا العمل قاصداً هذا الضرب بنفسه، فإنّه متحيّر متردّد لا يدري إلى أيّ جهة يتوجّه.

فقُلنا اضرِب بعَصاكَ الحجَر ـ ٢ / ٦٠.

سأُلقي في قلوبِ الَّذينَ كَفَروا الرُّعبَ فاضرِبوا فَوقَ الأعناق واضرِبوا مِنهُم كُلَّ بَنان ـ ٨ / ١٢.

فإذا لقيتم الَّذينَ كَفَروا فضربَ الرِّقاب ـ ٤٧ / ٤.

هذا ضرب باليد أو بوسيلة سلاح آخر من عصا أو رمح أو سيف أو غيره.

وإذا ضَربتم في الأرضِ، وآخَرون يَضرِبونَ في الأرض، إذا ضَربتم في الأرض فتبيّنوا ـ وهذا ضرب بالأرجل في الأرض. والتعبير بالضرب في هذا المورد: إشارة إلى التوجّه بالموضوع والدقّة في الجزئيات للسير، وليس مطلق السير والحركة منظوراً.

كيفَ ضَرب الله مَثلاً، وكلّاً ضربنا له الأمثالَ، ضُرِبَ مَثَل فاسْتمِعوا له، واضرِب لهم مَثلاً أصحابَ القرية ـ وهذا ضرب بوسيلة الكلام واللسان، فإنّ المثل كلام يضرب به في مورد خاصّ يناسبه، فكأنّه يُطرق ويورَد في ذلك المحلّ المتناسب.

وضُرِبَت عَليهم الذِّلَّةُ والمَسْكَنة ـ ٢ / ٦١.

أفَنَضرِبُ عَنكُم الذِّكر صَفحاً أن كُنتُم قَوْماً مُسْرِفين ـ ٤٣ / ٥.

كَذلك يضربُ اللهُ الحقَّ والباطِلَ ـ ١٣ / ١٧.

فالذكر والحقّ والباطل من جهة كونها على هذه الصفة المعنويّة، وإن كانت بصورة اللفظ، فإنّ النظر إلى جهة الوصفيّة. وهكذا في موضوع الذلّة والمسكنة. فيكون الضرب أيضاً معنويّاً.

ثمّ إنّ المادّة تستعمل بحرف الباء فتدلّ على التوسّط والسببيّة، كما في ـ اِضربْ

بعَصاك. وبحرف في فتدلّ على الظرفيّة وتحقّق الضرب فيه، كما في ـ وإذا ضربتُم في الأرْض. وبحرف على فتدلّ على الاستيلاء كما في ـ وضُربت عَليهمُ الذِّلَّة ـ فالضرب قد آستولى بالذلّة عليهم. وبحرف عن فتدلّ على التجاوز، كما في ـ أفنَضرب عنكمُ الذّكرَ. وبحرف اللّام فتدلّ على التعلّق، كما في ـ يضربُ الله للنّاس أمثالَهم.

* * *

ضرّ:

مصبا ـ الضُّرّ: الفاقة والفقر، إسم. وبفتحها مصدر ضرّه يضرّه من باب قتل: إذا فعل به مكروهاً. وأضرَّ به يتعدّى بنفسه ثلاثيّاً، وبالباءِ رباعيّاً. قال الأزهريّ: كلّ ما كان سوء حال وفقر وشدّة في بدن، فهو ضُرّ. وما كان ضدّ النفع فهو بفتحها. وضارّه مضارّة وضِراراً: بمعنى ضرّه، وضرّه إلى كذا واضطرّه بمعنى ألجأه إليه وليس له منه بدّ. والضرورة إسم من الاضطرار. والضَّرّاء: نقيض السَّرّاء، ولهذا أطلقت على المشقّة، والمضَرّة: الضَّرَر، والجمع المَضارّ. وضَرّة المرأة: امرأة زوجها والجمع ضرّات على القياس، وسمع ضرائر، وكأنّها جمع ضَريرة. ولا يكاد يوجد لها نظير. ورجل مُضرّ: ذو ضرائر.

مقا ـ ضرّ: أصول ثلاثة: الأوّل ـ خلاف النفع. والثاني اجتماع الشيءِ. والثالث ـ القوّة. فالأوّل ـ ضدّ النفع، ثمّ يحمل على هذا كلّ ما جانسه أو قاربه. فالضُّرّ: الهُزال. والضِّرّ: تزوّج المرأة على ضَرّة. والضَّرّة: إسم مشتق من الضَّرّ، كأنّها تضرّ الأخرى كما تضرّها تلك. والضَّرير: المُضارّة. وأكثر ما يستعمل في الغيرة، يقال ما أشدّ ضَريرَه عليها. وشبّه الحَجران للرَّحى بالضَّرّتين فقيل لهما الضَّرّتان. والثاني ـ فضَرّة الضَّرع: لَحمته الّتي لا تخلو من اللّبن، وضَرّة الابهام: اللّحم المجتمع تحتها. والثالث ـ فالضَّرير: قوّة النفس يقال فلان ذو ضرير على الشيءِ: إذا كان ذا صبر عليه ومقاساة.

www.attaweel.com

الاشتقاق ٤٥ ـ ضِرار مصدر ضاررته مضارّة وضِراراً والضَّرّ ضدّ النفع. وتقول العرب: لا يضرّك هذا الأمر ضَرّاً ولا يضيرك ضَيراً. والضَّرورة والضارورة: واحد، وهو الاضطرار إلى الشيءِ، والضَّرير: فَعيل بمعنى مفعول. وضَرير الوادي: جنباه.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحـد في المادّة: هو ما يقابل النفـع، فالنفع هو الخير العـارض يتحصّل للإنسان. والضرّ هو الشرّ المتوجّه للشيءِ يوجب نقصاناً فيه أو في متعلّقاته.

وقد ذكر الضرّ في قبال مادّة النفع في ١٧ مورداً من القرآن الكريم.

وَلا تَدعُ مِن دونِ الله ما لا يَنْفعُك ولا يَضرّك ـ ١٠ / ١٠٦.

وإذا لم يوجب الشرّ المواجه نقصاناً: فهو أذى وسوء حال، ولا يقال إنّه ضرّ:

لَن يضرّوكُم إلّا أذى ـ ٣ / ١١١.

أمَّن يُجيبُ المُضطَرَّ إذا دَعاهُ ويَكشفُ السُّوءَ ـ ٢٧ / ٦٢.

فالأذى والسوء عامّان يشملان ما فيه نقصان أم لا.

ثمّ إنّ تحصّل النقصان إمّا في اعتقاد، أو في سبيل الخير وهداية، أو في بدن، أو مال، أو عنوان، أو ولد.

ففي الاعتقادات كما في:

والَّذينَ اتَّخذُوا مَسْجِداً ضِراراً وكُفراً وتَفريقاً بينَ المؤمنين ـ ٩ / ١٠٧.

أي للمضارّة والكفر في طريق الإسلام.

وفي الاهتداءِ إلى الحقّ كما في:

عَلَيكُم أنفُسَكُم لا يَضرّكُم مَن ضَلَّ إذا اهتديتُم ـ ٥ / ١٠٥.

www.attaweel.com

أي لا يوجب ضَلالُه انحرافكم عن سبيل الحقّ.

وفي مطلق الحياة والمعيشة كما في:

ولا تُضارّوهنَّ لِتُضيِّقُوا عَلَيهِنّ ـ ٦٥ / ٦.

أي حتّى تحصل لهنّ مضيقة وشدّة من الحياة بعد الطلاق.

وفي جهة مضيقة من الطعام:

يا أيُّها العزيزُ مَسَّنا وأهْلَنا الضُّرُّ وجِئْنا بِبِضاعَةٍ مُزْجاةٍ فأوْفِ لَنا الكَيْلَ ـ ١٢/ ٨٨.

وفي مقام العلم:

ويَتَعَلَّمونَ ما يَضرّهم وَلا يَنفعُهم ـ ٢ / ١٠٢.

فإنّ العلم إذا لم يوجب هداية إلى خير وإصلاح وتكميل نفس: فهو وبال على صاحبه، ولا يزيد له إلّا فساداً وضلالاً وبُعداً عن الحقّ.

وأمّا صيغة الاضطرار: فهي على افتعال وأصلها الاضترار، وتدل على اختيار الضَّرّ، أي الضَّرّ باختيار، يقال اضطرّه فهو مضطرِر، وذاك مضطرَر، وبعد الادغام يتساويان في اللفظ.

ومَن كفَر فأُمتِّعُه قَليلاً ثُمَّ أضطرُّهُ إلى عذابِ النّار ـ ٢ / ١٢٦.

فَمَن اضطُرّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ فَلا إثمَ عَلَيه ـ ٢ / ١٧٣.

وقَد فصَّل لكُم ما حرَّم عليكُم إلّا ما اضطُرِرتُم إلَيه ـ ٦ / ١١٩.

أمَّن يُجيبُ المُضطَرَّ إذا دَعاهُ ويكشِفُ السُّوء ـ ٢٧ / ٦٢.

هذه الصيغ مَبنيّة للمفعول، فإنّ الإنسان لا يضرّ نفسه بطوع ورغبة واختيار حتّى يكون مضطرّاً بصيغة الفاعل.

فهو قد يكون مضطرّاً بصيغة المفعول، أي يعرض له نقصان وعذاب وشدّة وابتلاء في بدنه أو متعلّقاته، بأيّ سبب وعلّة مختارة من جانب الله العزيز، أو بإذنه وتحت أمره، أو تحت حكمه العامّ ونظمه.

فالاضطرار بمعنى المفعول: له علل وأسباب وقوانين منظّمة، على قضاءٍ وتقدير من الله المتعال، وسوءِ عمل ونيّة من العبد، فإذا وقع العبد في ذلك المورد وأصابه ضرر مخصوص مؤثّر فهو مضطرّ.

وإذا كان الإنسان مضطرّاً: فلا يقدر أحد أن يكشف ضُرّه إلّا الله المتعال:

وإن يمسسك اللهُ بِضُرّ فَلا كاشفَ لَهُ إلّا هو - ١٠ / ١٠٧.

قُل فَمَن يَملكُ لَكُم مِن الله شَيئاً إن أرادَ بِكُم ضَرّاً أو أرادَ بِكُم نَفعاً - ٤٨ / ١١.

فالمضطرّ هو الّذي يراد به ضَرّ ويمسسه من الله ضُر.

ثمّ إنّ المضطرّ على نوعين: مضطرّ في نفسه، ومضطرّ في مورد خاصّ وبالنسبة إلى شيء. فالأوّل كما في:

أمَّن يُجيبُ المُضطَرَّ إذا دَعاه.

والثاني كما في:

نَضطرُّهم إلى عَذابٍ غَليظ - ٣١ / ٢٤.

إلّا ما اضطُرِرتُم إليَه - فكأنّ الاضطرار إنّما تحقّق في صورة السوق إليه.

ونتيجة هذا الاضطرار وحصول النقصان: هو تحصّل حالة الالتجاءِ والاحتياج. وبهذا المعنى قد استعملت كلمة الضَّرورة أي النقصان والشرّ. وهذه الكلمة إمّا إسم مزيد كالضارورة، أو مصدر في الأصل على وزان قبول وهو بمعنى حالة النقصان وعروض الشرّ.

وأمّا اللّحم المجتمع: فإنّه نقصان مع شرّ. فإنّ النقصان والشرّ قد يكون بالزيادة،

وهكذا مفهوم القوّة والجنب والتصبّر: فإنّها تدلّ على كونها في معرض الشرّ والنقصان والضرّ، فيتصبّر ويتحمّل في مقابله.

وأمّا الضرّاء: فصيغة تأنيث على فَعلاء، كالسرّاءِ والبأساءِ والنّعماءِ، أي ما يتّصف بالضرر وما يكون فيه نقصان.

والصّابرينَ في البأساءِ والضَّرّاءِ ـ ٢ / ١٧٧.

ولَئن أذقناهُ نَعماء بعدَ ضَرّاء مَسَّته ـ ١١ / ١٠.

الَّذينَ يُنفِقونَ في السَّرّاءِ والضَّرّاءِ والكاظِمينَ الغَيظ ـ ٣ / ١٣٤.

هذه الصيغة تدلّ على الامتداد، بمقتضى ظاهر الكلمة، فإنّ الصبر وحسن العمل إنّما يتحقّقان في صورة امتداد الزمان، وأمّا الضرّ أو البأس أو النعمة أو السرّ، إذا كانت في زمان محدودة مؤقتة فلا يعتنى بها ولا يترتّب عليها أثر قاطع.

ويشبهها صيغة الضِّرار، مصدراً بمعنى المضارّة، وتدلّ على دوام بالنسبة إلى الضرر، فيقال: لا ضَرر ولا ضِرار في الإسلام ـ يراد أنّ مطلق الضرر الحادث في أيّ جهة كان غير مجوّز في الإسلام، فلا يجوز صدور حكم فيه ضرر، إلّا أن يكون للوصول إلى نفع كثير، هذا في جهة الحدوث، وأمّا الضِّرار في جهة الإبقاءِ والإدامة، بمعنى أنّ حدوث الضرر إذا تحقّق بأيّ صورة صحيحة أو فاسدة: فإدامته غير جائز.

وَلا تُمسِكوهنَّ ضِراراً لِتعتَدوا ـ ٢ / ١٣١.

لا تُضارَّ والدةٌ بولدها ولا مَولودٌ لَهُ بولَدِه ـ ٢ / ٢٣٣.

يراد إدامة الضرر، ففي الموردين ينفي إدامة الضرر لهما بعد أن سبق الضرر بزواج وتوالد.

وقلنا مراراً إنّ صيغة المفاعلة تدلّ على التداوم والاستمرار كما أنّ التفاعل تدلّ على مطاوعة المفاعلة.

❊ ❊ ❊

www.attaweel.com

ضرع :

مقا ـ ضرع: أصل صحيح يدلّ على لين في الشيءِ . من ذلك ضرع الرجل ضراعة إذا ذلّ. ورجل ضَرَع: ضعيف. ومن الباب ضَرْع الشاة وغيره، سمّي بذلك لما فيه من لين، وأضرعت الناقة إذا نزل لبنها عند قرب نتاجها. فأمّا المضارَعة: فهي التشابه بين الشيئين كأنّهما ارتضعا من ضَرع واحد، وشاة ضَريع: كبيرة الضرع وضَريعة أيضاً، ويقال لناحِل الجسم ضارع.

التهذيب ١ / ٤٦٩ ـ الضَّرع: ضَرع الشاة والناقة. والضَّرَع: الضعيف. وضرِع فلان لفلان وضَرَع له: إذا ما تخشّع له وسأله أن يعطيه. وقد أضرعت له مالي: بذلته له. وتضرّع الظلّ: قلّ وقلَص. والضَّريع: الشراب الرقيق. وضرّعت الشمسُ: دنت للغروب. وهذا ضِرع هذا وصِرع هذا: مثله. والضَّريع: نبت يقال الشِّبرق، وأهل الحجاز يُسمّونه الضريع إذا يبس. وقال الليث: يقال للجِلدة الّتي على العظم تحت اللحم من الضَّرَع: هي الضَّريع.

مصبا ـ ضَرَع له يضرَع بفتحتين ضراعة: ذلّ وخضع، فهو ضارع، وضَرِع ضَرعاً فهو ضَرَع من باب تعِب: لغة. وأضرعَتْه الحمّىٰ: أوهنته، وتضرّع إلى الله: ابتهل. وضَرُع ضرعاً وزان شرُف شرفاً: ضعف فهو ضرع، تسمية بالمصدر. والضرع لذات الظلف كالثدي للمرأة، والجمع ضروع. والمضارعة: المشابهة.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو التذلّل مع طلب الحاجة أيّ حاجة كانت، من رفع بليّة ومغفرة وكشف ضرّ.

www.attaweel.com

وبهذا القيد يظهر الفرق بينها وبين الخضوع والخشوع والذلّة والحقارة والضِّعة والدعاءِ والاستغفار وأمثالها.

وبهذه المناسـبة تطلق على مفاهيم حقيـقة أو مجازاً، كالضرع في الشاة، فإنّ الشاة في تلك الحالة متضرّعة متذلّلة لابدّ لها من ارضاع مولودها ومن تهيئة اللبن وحفظه لتغذية المولود، والمظهر لهذا التضرّع هو ضرعها، وعلى هذا يطلق على الضرع: الضَّريع والضريعة إذا أثقلت ونزل لبنها.

وأمّا المضارع: فهو اصطلاح حادث بمناسبةٍ ما.

فأخذناهُم بالبأساءِ والضَّرّاءِ لَعَلَّهُم يَتَضَرَّعون ـ ٦ / ٤٢.

وَلَقَد أخذناهُم بالعَذابِ فَما استَكانوا لربِّهم وما يَتضرّعون ـ ٢٣ / ٧٦.

فالتذلّل في مقام الابتلاءِ والشدّة والضرّاء والعذاب مع طلب الرفع والكشف: هو حقيقة الإنابة والتوبة، ويوجب توبة الله عليه ومغفرته وكشف الضرّ عنه.

اُدعوا ربَّكُم تَضرّعاً وخُفية إنَّهُ لا يُحبّ المعتَدين ـ ٧ / ٥٥.

قُل مَن يُنجّيكُم مِن ظُلُمات البَرّ والبَحر تَدعونه تَضرّعاً وخُفية ـ ٦ / ٦٣.

واذكُر ربّك في نفسك تَضرّعاً وخِيفةً ودونَ الجَهرِ مِن القول بالغُدوّ والآصال ـ ٧ / ٢٠٥.

ـ الدعوة طلب المدعوّ نفسه، وهذا غير طلب الحاجة منه ومسألة شيء، أي ادعوا الله خالصاً وتوجّهـوا إليه مخلصاً، في حال التضرّع ومتذلّلين وفي مقام طـلب المغفرة وكشف الضرّ الظاهريّ والمعنويّ، وليكن هذا الدعاء والدعوة في سرّ واختفاء ليتحقّق الإخلاص ـ واذكُر ربَّك في نفسِك تَضرّعاً.

لَيسَ لَهُم طَعامٌ إلّا مِن ضَريع لا يُسمِنُ ولا يُغني مِن جُوع ـ ٨٨ / ٩.

الضَّريع فعيل وهو الذليل المتذلّل في يبس ونفار وخشونة لا يتلقّ النفس منه غذاء يقوّيه ويرفع حاجته ويكشف ضرّه.

وهذا من الأطعمة الروحانيّة: المعلومات المختلطة بالمشتبهات والمشكوكات الّتي توجب ضلالاً وانحرافاً عن الحقّ، وتزيد في الظلمة والبُعد، ولا يغني عن جوعه وفقره وابتلائه.

وفي المادّيات: هو يَبيس النبات ذي شوك يقال إنّه شبرق.

فالضَّريع له مفهوم كلِّيّ يشمل ما يتذلّل في حاجة وابتلاء، من المادِّيّات والروحانيّات وممّا وراء عالم المادّة، في كلّ عالم بحسبه.

* * *

ضعف:

مقا ـ ضعف: أصلان متبائنان، يدلّ أحدهما على خلاف القوّة. والآخر ـ أن يزاد الشيء مثلَه. فالأوّل ـ الضَّعف والضُّعف: وهو خلاف القوّة، يقال ضعُف يضعُف، ورجل ضَعيف، وقوم ضُعفاء وضِعاف. والآخر ـ فقال الخليل أضعفتُ الشيء إضعافاً، وضعّفته تضعيفاً، وضاعفته مضاعفة، وهو أن يزاد على أصل الشيءِ فيجعل مثلين أو أكثر.

مصبا ـ ضِعف الشيءِ: مثله، وضِعفاه: مِثلاه، وأضعافه: أمثاله. والضَّعف في لغة تميم، والضُّعف في لغة قريش: خلاف القوّة والصحّة، فالمضموم مصدر ضَعُف مثال قَرُب قُرباً، والمفتوح مصدر ضَعَف ضَعْفاً من باب قتل، ومنهم من يجعل المفتوح في الرأي والمضموم في الجسد، وهو ضعيف.

الجمهرة ٣ / ٩٢ ـ الضَّعف والضُّعف: لغتان، وقد قرئ بهما، والضُّعف لغة النّبيّ (ص)، وقرأ عبدالله بن عمر على النبيّ (ص) ـ من بعد ضَعف قوّة، فقال النبيّ (ص):

www.attaweel.com

ضُعف قوّة ـ يا غلام. ورجل ضعيف من قوم ضُـعَفاء. وهذا ضِعف هذا الشيء أي مثله. وقال قوم مثلاه، والجمع أضعاف. والتضعيف: عطفك الشيء على الشيء حتّى تطبقه عليه.

فرهنگ تطبيق ـ ضعف: جعل شيء على مثليه أو ثلاثة أمثال.

عبري ـ (صعف).

= ـ (صعيف).

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يقابل القوّة. وقد سبق في ـ رخو: الفرق بينها وبين مترادفاتها.

وهو أعمّ من أن يكون في مادّيّ أو معنويّ.

فالمادّيّ كما في:

ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعد قُوّة ضَعفاً وشَيبةً ـ ٣٠ / ٥٤.

ضَعُفَ الطالبُ والمطلوب ـ ٢٢ / ٧٣.

والمعنويّ كما في:

إنَّ كَيدَ الشَّيطانِ كانَ ضَعيفاً ـ ٤ / ٧٦.

والإستضعاف: طلب أن يكون شخص ضعيفاً، فهو مستضعِف، وذاك مستضعَف، فالمستضعَف هو الّذي يُجعَل ضعيفاً.

إنَّ القومَ استَضعَفوني، يَستَضعِفُ طائفةً مِنهُم.

ونُريد أن نَمُنَّ عَلى الَّذينَ استُضعِفوا في الأَرضِ ـ ٢٨ / ٥.

www.attaweel.com

قالوا كُنّا مُستَضعَفينَ في الأرْض ـ ٤ / ٩٧.

فالمستضعَف بصيغة المفعول يقابلـه المستكبِر بصيغة الفاعل، والمسـتكبر هو الّذي استَضعف وطلب ضعف الضعيف.

وما لَكُم لا تُقاتِلونَ في سَبيلِ اللهِ والمستضعَفينَ مِن الرِّجال والنِّساءِ والوِلدان ـ ٤ / ٧٥.

يستفاد من الآية الكريمة أنّ المجاهدة في سبيل نجاة الّذين استُضعِفوا فريضة، وهو كالمجاهدة في سبيل الله.

وأمّا الضِّعف والمضاعفة: فهذه المادّة مأخوذة من العـبريّة، وقـريبة مـنها في الأراميّة.

مع مناسبة بين المفهومين بعلاقة التـقابل، فإنّ التضاعف هو حصول قـوّة في مقابل الضَّعف. أو أنّ المضاعفة والتضاعف فيها معنى الاستمرار والاستدامة، ويراد منها في المورد: التكرّر في مصـداقه، وفي المجرّد تدلّ الكسرة على ضَعف مخصوص، وهو التكرّر.

ولا يخفى أنّ المضاعفة غير المزايدة والكثرة وغيرها: فإنّ المضاعفة هو تكرّر المثل مرتبتين أو بمراتب.

والله يُضاعِف لِمَن يَشاء، فيُضاعِفه لَهُ أضعافاً، يُضاعَف لَهم العَذاب، لا تأكلوا الرِّبا أضعافاً مُضاعَفة ـ ٣ / ١٣٠.

يراد المزيد مثلين وأمثالاً من الأصل.

وَما آتيتُم مِن زَكاةٍ تُريدونَ وجهَ الله فأُولئكَ هُم المُضعِفون ـ ٣٠ / ٣٩.

فأُولئِكَ لَهُم جَزاءُ الضِّعفِ بِما عَمِلوا ـ ٣٤ / ٣٧.

يقال أضعَفه أي جعله ضِعفاً، ومثلين أو أمثالاً.

www.attaweel.com

ولَولا أن ثَبَّتناك لَقَد كِدتَ تَركنُ إليهم شَيئاً قَليلاً إذاً لأَذقناك ضِعفَ الحَيٰوة وضِعفَ المَماتِ ـ ١٧ / ٧٥.

اللّام في الحياة والممات عوض عن المضاف إليه، أي حياتهم ومماتهم، والحياة في هذه الدنيا هي الحياة الدنيا السُّفلى في مقابل الحياة العليا، وهي عبارة عن تعلّقات مادّية وجريانها واستمرارها إلى أن تنتهي مدّتها، فيصير الإنسان خائباً خاسراً ليس له من حقّ الحياة والسعادة الأصيلة شيء، وهذا هو الخسران المبين والعذاب الأكبر واللّهو الشديد.

والابتلاء الأشدّ الأعظم منه هو الموت: فإنّه عبارة عن انقطاع هذه العلائق وحصول التفارق بينه وبين متعلّقاته، من الأُمور المادّية واللّذائذ الدنيويّة والمشتهيات النفسانيّة، مع مشاهدة عالم آخر وإدراك الخسران والمحجوبيّة والمحروميّة فيه.

ثمّ إنّ هذين العذابين يشتدّان في الأفراد بنسبة إدراكاتهم وتعقّلاتهم واستعدادهم وفطرتهم الأصيلة الذاتيّة، ثمّ العرضيّة، فيكون التمايل والركون القليل من النبيّ (ص) (إن تحقّق) موجباً لتضاعف العذابين: انقطاع الارتباط الروحاني، وحصول تعلّق بالحياة الدنيا ثمّ مشاهدة التفارق بالموت.

فليس للنّبيّ (ص) عذاب وابتلاء أعظم من الابتلاءين، كما قال عليّ (ع): صبرتُ على حَرِّ نارك فكيفَ أصبرُ على فراقك.

ولا يخفى أنّ تلك التعلّقات الدنيويّة: هي الطريق الممتدّ إلى الجحيم والنار والفراق والمحروميّة عن مقام السعادة ـ فادخُلي في عِبادي وادخُلي جَنَّتي ـ كما أنّ صراط الجنّة والعبوديّة واللقاء هو الانقطاع والتبتّل التام ـ فَمَن كانَ يَرجو لِقاءَ ربّه فليعمل عَمَلاً صالِحاً ولا يُشرِك بِعبادة ربّه أحداً.

وبهذه الآية الكريمة الحادّة، فليعتبر وليتّعظ في حياته وتعلّقاته وركونه إلى الّذين يخالفون عن أمر الله عزّ وجلّ، كلّ مؤمن معتبر، وليتوجّه إلى هذا القانون

القاطع الإلٰهيّ.

أمّا قانون التضاعف: فكما في:

مَنْ يأتِ مِنكُنَّ بفاحِشةٍ مبيِّنَةٍ يُضاعَف لَها العَذابُ ضِعْفَينِ ـ ٣٣ / ٣٠.

وأمّا قانون كون التعلّق بالدنيا عذاباً: فكما في قوله تعالى:

فلا تُعجبْك أموالُهم ولا أولادُهم إنَّما يُريد الله لِيُعذِّبَهم بها في الحياةِ الدُّنيا وتَزهقَ أنفُسهم وهُم كافرون ـ ٩ / ٥٧.

* * *

ضغث:

مقا ـ ضغث: أصل واحد يدلّ على التباس الشيء بعضه ببعض، يقال للحالم: أضغثت الرّؤيا. والأضغاث: الأحلام الملتبسة. والضِّغث: قُبضة من قُضبان أو حشيش. قال الخليل: أصل واحد، ويقال ناقة ضَغوث: إذا شككت في سِمَنها فلمَست أبِها طِرق. والضَّغث كالمَرس.

مصبا ـ ضَغَثْتُ الشيء ضَغثاً من باب نفع: جمعته. ومنه الضِّغث: قُبضة حشيش مختلط رطبها بيابسها. ويقال ملأ الكفّ من قُضبان أو حَشيش أو شماريخ ـ وخُذ بيدكَ ضِغثاً ـ قيل كان حُزمة من أسل فيها مائة عود، وهو قضبان دِقاق لا ورق لها يعمل منه الحصر. والأصل في الضغث أن يكون له قضبان يجمعها أصل واحد، ثمّ كثر حتّى استعمل فيما يجمع.

التهذيب ٨ / ٤ ـ قال الليث: الضِّغث قُبضة من قُضبان يجمعها أصل واحد مثل الأسل والكرّاث والثمام. قال الفرّاء: الضِّغث ما جمعته من شيء مثل حُزمة الرطبة وما قام على ساق واستطال ثمّ جمعته. وقال ابن شُميل: أتانا بِضغث خبر

وأضغاث من الأخبار، أي ضُروب منها، وكذلك أضغاث الرّؤيا: اختلاطها والتباسها.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يتفرّع مختلفاً، أي الفروع المختلفة المجتمعة في مورد، مادّيّة أو معنويّة.

ومن مصاديقه: القُضبان المتفرّعة، والأخبار المتنوّعة المجموعة، وأمور مختلفة تشاهد في الرّؤيا، والأُمور الملتبسة المنضمّة.

بَل قالوا أضغاثُ أحلامٍ بَل افتَرٰيه بَل هوَ شاعِرٌ - ٢١ / ٥.

أي أفكار مختلطة مختلفة مجتمعة ترى له في الحلم ثمّ يُظهرها.

قالوا أضغاثُ أحلام وما نحنُ بتأويلِ الأحلامِ بعالِمين - ١٢ / ٤٤.

أي رؤيا من أمور مختلفة مختلطة متشكّلة، قد تفرّعت عن رؤياً.

ولا يخفى أنّ النائم بنومه يتعطّل كلّ حاسّة له ظاهريّة جسمانيّة، وذلك إنّما هو بتعطّل الأعصاب المتوسّطة بين الحواسّ وبين مراكزها في الدماغ، فيبقى الروح الحاكم على مملكة البدن مُدرِكاً.

وإدراك الروح حينئذ إمّا بالمتخيّلة وبمعلومات موجودة في النفس قد أُدركت موادّها بالحواسّ الظاهريّة، أو بالقوة العاقلة الروحانيّة، وذلك إمّا في حدود الملكوت السفلى، أو في عالم الملكوت العليا، وأيضاً إمّا بصورها الواقعيّة أو بصورها المتجسّمة المناسبة.

فالمراد من أضغاث الأحلام: هو ما يُتراءى في النوم من الأُمور المختلفة المجتمعة بالقوّة المتخيّلة.

واذكر عَبدَنا أيّوبَ ... وخُذ بيَدِك ضِغْثاً فاضرِبْ به ولا تَحنَث - ٣٨ / ٤٤.

www.attaweel.com

أي خذ في يدك مجموعة من فروع مختلفة من أيّ جنس كان، ثمّ اضرب بذلك الضِّغث، فيحاسَب كلّ من الفروع مرّة.

وهذا تخفيف ورخصة في بعض الموارد من الحدود والتعزيرات، إذا كان مبدأ الالتزام والتعهّد أمراً ليس فيه شدّة وحدّة.

* * *

ضغن:

مقا ـ ضغن: أصل صحيح يدلّ على تغطية شيء في ميل واعوجاج، ولا يدلّ على خير. من ذلك الضُّغن والضَّغَن: الحِقد، وفرس ضاغِن: إذا كان لا يعطي ما عنده من الجري إلّا بالضرب. ويقال ضغِن صدر فلان ضِغناً وضَغَناً. وفَتاة ضَغِنة: عَوجاء. ويقال ضغَن فلان إلى الدنيا: ركن ومال، وضِغني إلى فلان أي ميلي إليه. والّذي دلّ على ما ذكرناه من تغطية الشيءِ: قولهم إنّ الاضطغان: الإشتمال بالثوب.

التهذيب ٨ / ١١ ـ قال الليث: الضِّغن: الحِقد، وكذلك الضَّغينة، والضِّغن في الدابّة: التواؤه وعَسَره. وفي النوادر: هذا ضِغن الجبل وإبطه: بمعنى واحد. أبو زيد: ضَغِن الرجل يضغَن ضَغَناً وضِغناً: إذا وَغِر صدره ودَوِي. وضغِن فلان إلى الصلح إذا مال إليه، وامرأة ذات ضِغن على زوجها إذا أبغضته.

مفر ـ الضِّغن والضَّغَن: الحقد الشديد، وجمعه أضغان.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو احتقان الغضب وإضماره في القلب، أي إدامة حالة البغضة والغضب في الباطن.

www.attaweel.com

وبهذه المناسبة: يقال فرس ضاغن، إذا أضمر بُغضه ولم يجرِ، وعودٌ ضاغِن إذا اعوجّ. وضغِن إليه: إذا مال في حالة الإضمار إليه.

والفرق بين المادّة والحِقد: أنّ الحِقد يلاحظ فيه جهة الامتلاء، والضِّغن يلاحظ فيه جهة الاضمار، يقال تحقّدت الناقة: إمتلأت شحماً.

وعلى أيّ حال: فهذه الحالة مذمومة منكرة جدّاً.

أم حَسِبَ الَّذينَ في قلوبهم مَرَضٌ أن لَن يُخرجَ اللهُ أضغانَهم ـ ٤٧ / ٢٩.

وَلا يسألكُم أموالكُم إن يَسألكموها فيُحفِكُم تَبخلوا ويُخرج أضغانكُم ـ ٤٧ / ٣٧.

أي البغضة المستسرّة في الباطن، ويظهر هذا البغض المخبيّ في قلوبهم إذا واجهوا بخسارات دنيويّة وإنفاقات ماليّة، فلا يستطيعون أن يتحمّلوها تعلّقاً بالدنيا وحُبّاً لها.

والإحفاء: ترك التعلّق وظهور الخلوص. والضمير في ـ يُخرج: راجع إلى الله تعالى، كما في الآية الأُولى.

وذكر الضِّغن: إشارة إلى وجود البغض للرسول والإسلام في بواطنهم، وهذا مرض خاصّ وفي رأس كلّ مرض.

فظهر لطف التعبير بالضِّغن دون سائر الصفات الذميمة، ودون كلمة الحـقد، فإنّ النظر إلى جهة الإضمار والإخفاء.

* * *

ضفدع:

مصبا ـ الضِّفدِع: بكسرتين، الذكَر، والضِّفدعة الأُنثى، ومنهم من يفتح الدال، وأنكره الخليل وجماعة، وقالوا الكلام فيها كسر الدال، والجمع الضفادع، وربّما قالوا

الضفادي على البدل، كما قالوا الأراني في الأرانب.

لسا ـ الضِّفدع: مثال الخِنصِر، والضَّفدَع: معروف: لغتان فصيحتان. والأُنثى ضِفدِعة وضَفدَعة. وناس يقولون ضِفدَع، قال الخليل: ليس في الكلام فِعلَل إلّا أربعة أحرف ـ دِرهَم وهِجرَع وهِبلَع وقِلعَم. وضَفدَع الرجلُ: تقبّضَ، وقيل سلح، وقيل ضرط.

حياة الحيوان ـ الضفدع: توصف بحدّة السمع إذا تركت النقيق وكانت خارج الماءِ، ومتى دخل الماءُ في فيه لا تنقّ. والثعبان يَستدلّ بصياح الضفدع عليه، فيأتي على صياحه فيأكله. ويَعرض لبعض الضفادع مِثلُ ما يعرض لبعض الوحوش من رؤية النار حيرة إذا رأتها، فإذا أبصرت النار سكتت.

* * *

والتحقيق:

أنّ الكلمة إسم رباعيّ، يطلق على حيوان يقال له بالفارسيّة ـ غورباغه، وهو من الحيوانات البرمائيّة، تضع بيضها في الماءِ، ويخرج منها حيوان دقيق ويتنفّس بخياشيمه، حتى تتكوّن في داخله رئتان ويتنفّس بهما، ثمّ يترك الماء ويتنفّس بهما وبجلده.

فأرسَلْنا عَلَيهم الطوفانَ والجَراد والقُمّلَ والضَّفادع والدمَ آياتٍ مفصَّلاتٍ فاستكبَروا ـ ٧ / ١٣٢.

إشارة إلى ما نزل من أنواع العذاب على آل فرعون والقبطيّين، إلى أن أُغرقوا في اليمّ.

ومنها شيوع الضفادع وكثرتها بحيث لم يبق بيت ولا محلّ منهم إلّا وفيه ضفدع، وقد أشكل عليهم العيش والنوم والأكل.

* * *

ضلّ:

مقا ـ ضلّ: أصل صحيح يدلّ على معنى واحد وهو ضَياع الشيءِ وذهابه في غير حقّه. يقال ضلّ يضِلّ ويضَلّ، لغتان. وكلّ جائر عن الحقّ والقصد ضالّ. والضَّلال والضَّلالة: بمعنى. ورجل ضِلّيل ومضلَّل: إذا كان صاحب ضَلال وباطل. وممّا يدلّ على أنّ أصل الضلال ما ذكرناه قولهم أُضِلّ الميّت، إذا دُفن، وذاك كأنّه شيء قد ضاع. ويقولون: ضلّ اللبن في الماءِ، ثمّ يقولون استُهلك. قال ابن السِّكّيت: يقال أضللت بعيري، إذا ذهب منك، وضللت المسجد والدار، إذا لم تهتدِ لهما. وكذلك كلّ شيء مقيم لا يُهتَدى له، ويقال أرض مَضِلّة ومَضَلّة.

مصبا ـ ضلّ الرجل الطريق وضلّ عنه يضِلّ من باب ضرب ضَلالاً وضَلالة: زلّ عنه فلم يَهتد إليه، فهو ضالّ. هذه لغة نجد وهي الفُصحى، وبها جاء القرآن، وفي لغة لأهل العالية من باب تعِب. والأصل في الضلال الغيبة، ومنه قيل للحيوان الضائع: ضالّة للذكر والأنثى، والجمع الضوالّ، ويقال لغير الحيوان ضائع ولُقَطة. وضلّ البعير: غاب وخفي موضعه. وأضللته: فقدته. قال الأزهريّ: وأضللت الشيء: إذا ضاع منك فلم تعرف موضعه، كالدابّة والناقة وما أشبههما، فإن أخطأت موضع الشيءِ الثابت كالدار: قلت ضلَلتُه وضلِلته. قال ابن الأعرابيّ: أضلّني كذا: إذا عجزت عنه فلم تقدر عليه.

التهذيب ١١ / ٤٦٣ ـ يقال: أضللتُ الشيء، إذا ضاع منك، وإذا أخطأتَ موضع الشيءِ الثابت مثل الدار قلت ضللتُه ولا تقل أضللتُه. قلتُ: والإضلال في كلام العرب ضدّ الهداية والإرشاد، يقال أضللت فلاناً، إذا وجّهته للضلال عن الطريق. وقال أبو عمرو: يقال ضللت بعيري إذا كان معقولاً فلم تهتد لمكانه، وأضللته إذا كان مطلقاً، فذهب ولا تدري أين أخذ، وكلّما كان الضلال من قبلك قلتَ ضللتُه، وما

www.attaweel.com

جاء من المفعول به قلت أضللتُه. وقال أصل الضلال الغيبوبة.

مفر ـ الضلال: العدول عن الطريق المستقيم، ويضادّه الهداية، ويقال الضلال لكلّ عدول عن المنهج عمداً كان أو يسيراً كان أو كثيراً.

صحا ـ ضلّ الشيء يضلّ ضَلالاً: ضاع وهلك، والإسم الضُّلّ ومنه ضُلّ بن ضُلّ، إذا كان لا يُعرف ولا يُعرف أبوه، وكذلك الضلال بن التَّلال، والضالّة: ما ضلّ من البهيمة، للذكر والأُنثى.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل الاهتداء، فالضلال هو عدم الاهتداءِ، والإضلال هو فقدان الهداية، أي جعل شيء ضالّاً.

فالضلال: فقدان الرشاد والدلالةِ إلى المقصود، سواء كان في جهة مادّية أو معنويّة.

ومن لوازم هذا الأصل: الخطأ، الذهاب في غير حقّه، العدول عن الطريق، الضياع، الغيبوبة، وغيرها.

فإنّ هذه الأُمور تتحقّق في أثر عدم حصول الاهتداءِ إلى المقصود، كما أنّ الدفنَ خلاف المسير والحركة إلى المقاصد الدنيويّة، وخلطَ الماء في اللبن على خلاف استمرار الحالة اللبنيّة وخلوصها.

وقلنا إنّ الضلال هو فقدان الاهتداءِ إلى المقصود، وهو أعمّ من أن يكون في حقّ أو باطل، فإنّ مطلوب كلّ شخص بحسب نظره.

فالحقّ كما في:

ومَن يُشرِك باللهِ فَقَد ضَلّ ضَلالاً بَعيداً ـ ٤ / ١١٦.

ومَن يَعصِ اللهَ ورَسولَه فَقَد ضَلَّ ضَلالاً مُبيناً ـ ٣٣ / ٣٦.

والباطل كما في:

قالَ الملأُ مِن قَومه إنّا لَنَراك في ضَلال مُبين ـ ٧ / ٦٠.

إنَّ أبانا لَفي ضَلال مُبين ـ ١٢ / ٨ .

فتفسير المادّة بالانحراف عن الحقّ: في غير محلّه.

ويدلّ على كون الأصل في قبال الاهتداءِ ـ قوله تعالى:

مَن اهتَدى فإنَّما يَهتَدي لِنَفسه ومَن ضَلَّ فإنَّما يَضِلّ عَلَيها ـ ١٠ / ١٠٨.

قُل لا أتَّبعُ أهواءَكُم قَد ضللتُ إذاً وَما أنا مِن المُهتدين ـ ٦ / ٥٦.

اولئكَ الَّذينَ اشتَرَوُا الضّلالةَ بالهُدى ـ ٢ / ١٦.

ثُمَّ إنّ الضلال إمّا في الاعتقاد كما في:

ومَن يَتَبَدَّلِ الكُفرَ بالإيمان فَقَد ضَلَّ سَواء السَّبيل ـ ٢ / ١٠٨.

ومَن يَكفُر بالله ومَلائكتِه وكُتُبِه ورُسُله واليوم الآخر فَقَد ضَلَّ ضَلالاً بَعيداً ـ ٤ / ١٣٦.

وإمّا في الصفات الباطنيّة كما في:

فَوَيلٌ للقاسِيةِ قلوبُهم مِن ذِكر الله أُولئِكَ في ضَلال مُبين ـ ٣٩ / ٢٢.

ومَن أضلُّ ممَّن اتَّبعَ هَواهُ بغير هُدىً مِنَ الله ـ ٢٨ / ٥٠.

وإمّا في الأعمال كما في:

ومَن يَفعَله مِنكُم فَقَد ضَلّ سواءَ السَّبيل ـ ٦٠ / ١.

والَّذينَ كَفَروا فَتَعساً لَهُم وأضلَّ أعمالهم ـ ٤٧ / ٨ .

وفي الضلال المطلق العامّ كما في:

www.attaweel.com

إنَّكَ إن تذرهم يُضلّوا عبادك ـ ٧١ / ٢٧.

ويعلّمهمُ الكِتابَ والحِكمةَ وإن كانوا مِن قبلُ لَفي ضَلالٍ مُبين ـ ٦٢ / ٢.

وأمّا الضلال في التكوين والخلق: فغير ممكن، فإنّ التكوين من الله تعالى ومن مظاهر قدرته التامّة، فلا يمكن فيها الضلال، ولا يتصوّر فيها الانحراف والنقص ـ كما قال الله تعالى:

رَبُّنا الَّذي أعطَى كُلّ شَيءٍ خلقه ثُمَّ هَدى ـ ٢٠ / ٥٠.

سَبِّح اسمَ ربّك الأعلى الّذي خَلَقَ فَسَوّى ـ ٨٧ / ٢.

لَقَد خَلَقنا الإنسانَ في أحسَنِ تَقويم ـ ٩٥ / ٤.

وأمّا الإضلال من الله العزيز في طول الحياة بعد التكوين: فهو نوع من التعذيب والأخذ والمجازاة، وإنّما يتحقّق بعد الكفر والكفران والبغي والعصيان، كما في قوله تعالى:

كَذلك يُضلُّ الله الكافرينَ ـ ٤٠ / ٧٤.

يُضلّ به كَثيراً ويَهدي به كَثيراً وما يُضلّ به إلّا الفاسقينَ ـ ٢ / ٢٦.

والَّذينَ كَفَروا فَتَعساً لَهُم وأضلَّ أعمالَهم ـ ٤٧ / ٨ .

فالهداية من الله تعالى بمقتضى بسط الرحمة والفيض، وفي امتداد التكوين والخلق والتدبير واللّطف، فهي واقعة في النظم والجريان وعلى الفطرة الّتي فطر الناس عليها:

وكَفىٰ بربِّك هادياً ونصيراً ـ ٢٥ / ٣١.

ونَزَّلنا عَلَيك الكتابَ تِبياناً لكُلّ شَيءٍ وهُدىً ورحمة ـ ١٦ / ٨٩ .

وهذا بخلاف الضلالة: فإنّها على خلاف الفطرة وبسط الرحمة، فتحتاج إلى حادثة عرضيّة، وكذلك الإضلال:

فَريقاً هَدىٰ وفَريقاً حَقّ عَلَيهم الضَّلالَة ـ ٧ / ٣٠.

قُل مَن كانَ في الضَّلالة فليَمدُدْ لَهُ الرَّحمٰن مَدّاً ـ ١٩ / ٧٥.

يُضِلّ بهِ كَثيراً ويَهدي بهَ كَثيراً وما يُضلّ بهِ إلّا الفاسقين ـ ٢ / ٢٦.

قُل إنَّ الله يُضلّ مَنْ يَشاء ويَهدي إليهِ مَن أناب ـ ١٣ / ٢٧.

فإنّ الله عزّ وجلّ له الحكومة والمالكية المطلقة والاختيار التامّ والقدرة الكاملة، ولا يمكن أن يكون محدوداً ومقيّداً بحدود خارجيّة أو بقيود عارضيّة.

وأمّا التقيّد بالتدبير والحكمة والعدل والميزان الحقّ والخير والصلاح: فإنّما مرجعها إلى نفي الصفات السلبيّة، من الفقر والضعف والحاجة والحدّ والنقص وأمثالها، فإنّه تعالى لا يتّصف بهذه الصفات، ولايمكن في حقّه فقر أو ضعف أو ظلم أو محدوديّة وإلّا فهو ممكن مخلوق.

* * *

ضمر:

مصبا ـ ضَمَر الفرس ضُموراً من باب قعد، وضَمُر ضُمراً من باب قَرُب: دقّ وقلّ لحمه. وضمرته وأضمرته: أعددته للسباق، وهو أن تعلفه قوتاً بعد السمن، فهو ضامر، وخيل ضامرة وضَوامر، والمِضمار: الموضع الّذي تُضمّر فيه الخيل. وضمير الإنسان: قلبه وباطنه، والجمع ضمائر. وأضمر في ضميره شيئاً: عزم عليه بقلبه. والضميران: الريحان الفارسي.

مقا ـ ضمر: أصلان صحيحان، أحدهما يدلّ على دقّة في الشيءِ، والآخر يدلّ على غيبة وتستّر. فالأوّل قولهم ضَمَر الفرس وغيره ضُموراً، من خفة اللحم، وقد يكون من الهُزال، ويقال للموضع الّذي تُضمَّر فيه الخيل المِضمار. ورجل ضَمر: خفيف الجسم. والآخر الضِّمار وهو المال الغائب الّذي لا يُرجى، وكلّ شيء غاب عنك فلا

تكون منه على ثقة فهو ضِمار. ومن هذا الباب أضمرت في ضميري شيئاً.

الاشتقاق ١٧٠ ـ واشتقاق ضَمرة من شيئين: إمّا من قولهم ـ بعير ضَمر، إذا كان صُلباً شديداً، أو من الضُّمور، كأنّه ضَمرة من ضمر الفرس يضمُر ضُموراً، وضمّرته تضميراً. والضِّمار ضدّ العِيان وهو ما أضمرَه الإنسان، وقد سمّوا ضَمرة وضُميراً.

التهذيب ١٢ / ٣٦ ـ عن حُذيفة: اليوم مِضمار وغداً السِّباق، والسابق من سبق إلى الجنّة. وقال الليث: الضُّمر من الهُزال ولحوق البطن، وقَضيب ضامِر، وقد انضمر: إذا ذهب ماؤه. والمِضمار: موضع تُضمّر فيه الخيل. قلتُ: وقد يكون المِضمار وقتاً للأيام الّتي تُضمّر فيها الخيل للسِّباق أو للركض إلى العدوّ، وتضميرها أن تشدّ عليها سروجها وتُجلَّل بالأجلّة حتّى تعرَق تحتها فيذهب رَهَلها ويشتدّ لحمها، ويُحمل عليها غلمان خِفاف يُجرونها ولا يُعنِّفون بها، فإذا ضُمِّرت واشتدّت لحومها أُمن عليها القطع عند حُضرها، فذلك التضمير الّذي تعرفه العرب. وقال الليث: الضَّمِر الشيء الّذي تُضمره في ضمير قلبك. والضَّمر: المُهضَّم البطن.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الدقيق الصُّلب من كلّ شيء بحيث يذهب ويزول عنه الزوائد واللواحق الّتي توجب تثاقله.

ومن مصاديقه: الفرس الضامِر، والرجل الضَّمر، والقضيب الضامِر، وما أضمرتَ في قلبك من شيء دقيق صُلب في نفسه أو بالإضمار، والمِضمار مفعال: مِقدار من الزمان أو المكان يتوسّل فيه لتضمير الفرس.

وأذِّن في النّاسِ بالحجِّ يأتوك رِجالاً وعلى كُلّ ضامِر يأتينَ من كُلّ فَجٍّ عَميق ـ

٢٢ / ٢٨.

الرجال جمع راجِل كالقيام والقائم. وكلّ ضامر: يشمل كلّ نوع أو فرد من البعير والفرس وغيرهما.

والتعبير بالمركوب الضامر: إشارة إلى لزوم كون المركوب قويّاً وشديداً صلباً خفيف الجسم، ليصحّ الاعتماد والسكون عليه. وكلّما كان الطريق بعيداً فيه أودية وجبال: يلزم رعاية هذه الحيثيّة أزيد.

❊ ❊ ❊

ضمّ:

مقا ـ أصل واحد يدلّ على ملاءمة بين شيئين، يقال ضممت الشيء إلى الشيءِ فأنا أضمّه ضمّاً. وهذه إضامَة من خيل، أي جماعة. وفرسٌ سَبّاق الأضاميم، أي الجماعات. وإضامة من كتب مثل إضبارة.

صحا ـ ضممت الشيء إلى الشيءِ فانضمّ إليه، وضامّه، وتضامّ القومُ: إذا انضمّ بعضهم إلى بعض. واضطمّت عليه الضُّلوع، أي اشتملت. والضِمام: ما تضمّ به شيئاً إلى شيء. وأسد ضُماضِم: يضمّ كلّ شيء. والضَّمضَم: مثله، ورجل ضمضم: غضبان.

التهذيب ١١ / ٤٨١ ـ ضممت هذا إلى هذا، فأنا ضامّ، وهو مضموم، وضاممتُ فلاناً، إذا أُقمتَ معه في أمر واحد. والإضامة: جماعة من الناس ليس أصلهم واحداً ولكنّهم لفيف، والجمع الأضاميم، والضُّماضِم: من أسماءِ الأسد، وضمضَمته صوته. والضِّمّ والضِّمام الداهية الشديدة. والعرب تقول للداهية: صَمِيّ صَمامِ، وأحسب الليث أو غيره صحّفوه فجعلوا الصاد ضاداً. وقال أبو زيد: الضُّماضِم: الكثير الأكل الّذي لا يشبع.

❊ ❊ ❊

www.attaweel.com

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة هو تقريب الشيء إلى شيء آخر بحيث يقرب من الوصل، ولا يعتبر فيه اللصوق والاتّصال، فالاتّصال أشدّ ضمّاً، كما أنّ اللصوق أشدّ من الوصل.

ويعتبر فيها اختلاف النوع غالباً، بخلاف الوصل واللّصوق، فلا يقال بعد الانضمام، إنّ الشيئين شيء واحد.

وأيضاً يلاحظ في الضمّ: الجانب الواحد، فالنظر إلى أحد الطرفين، أي ضمّ شيء إلى آخر أقوى منه ـ راجع السرد.

واضمُم يدَك إلى جَناحك تَخرجْ بَيضاءَ من غيرِ سُوء ـ ٢٠ / ٢٢.

واضمُم إليك جَناحَك من الرَّهب ـ ٢٨ / ٣٢.

اليد تدلّ على القدرة وهي مَظهر القدرة. والجَناح من أصل التمايل ويطلق على ما به تمايل أو فيه تمايل كيد الإنسان وجانحته وهي الضلع المنحني وجناح الطائر، والرهب استمرار الخوف، والضمّ خلاف البسط.

ففي التعبير بضمّ اليد إشارة إلى جمع صولة القدرة وكسرها بإظهار حالة التحقّر والتذلّل، وإفناء النفسانيّة والأنانيّة.

والمراد وضع اليد تحت عضد بحيث تقرب منها، ثمّ ضمّ الجَناح وهو اليد إلى البدن، بأن لا تكون باسطة القدرة وعاملة، متوقّفة ساكنة مقبوضة، كالعبد المطيع المتذلّل.

ولا تخالف بين الآية وبين آية ـ أُسلُك يَدَك في جَيبك تخرُجْ بَيضاءَ من غير سُوء واضمُم إليك جَناحك ـ فإنّ إدخال اليد إلى الجيب إنّما هو بتقريبها إلى العضد من تحت

القميص واللباس، لأنّ النظر إلى تحقّق حالة الخضوع والانكسار والتذلّل.

ويدلّ على هذا المعنى: التعبير بكلمة ـ اسلك فيه، دون ـ اضمم، فإنّ السلوك من الجيب وفي الجيب هو التسيير فيه، لا الضمّ إليه.

وفي الأمر بالضمّ إلى الجناح إرشاد إلى أنّ حقيقة الكمال والبلوغ إلى القدرة والقوّة والظفر: إنّما تحصل بكسر الأنانيّة وإفنائها، فإنّ هذا المورد وإن كان آية ومعجزة من الربّ (فذانِّك بُرهانانِ من ربّك) إلّا أنّها قد ظهرت بهذه الصورة أيضاً، ليعلم أنّ المسير الطبيعي للظفر والفتوح هو هذا الطريق.

* * *

ضنك :

مفا ـ ضنك: صحيحان وإن قلّ فروعهما. فالأوّل ـ الضيق، والآخر ـ مرض. فالأوّل ـ الضَّنك الضِّيق، ومن الباب امرأة ضِناك: مُكتَنِزة اللّحم، إذا اكتنز تضاغط والأصل الآخر ـ المَضنوك: المزكوم، والضُّناك: الزُّكام.

لسا ـ الضَّنك: الضَّيِّق من كلّ شيء، الذّكر والأُنثى فيه سواء، وكلّ عيش من غير حلّ ضَنك وإن كان واسعاً. قال أبو إسحاق: الضَّنك: أصله في اللّغة الضّيق والشدّة. وضنُك الشيء ضَنكاً وضَناكة وضُنوكة: ضاق. وضنُك الرجل ضناكة، فهو ضَنيك: ضعُف في جسمه ونفسه ورأيه وعقله. والضُّنكة والضُّناك: الزُّكام، وقد ضُنِك فهو مَضنوك: إذا زُكم. والضِّناك: الموثّق الخَلق الشديد، يكون ذلك في الناس والإبل. والضِّناك: المرأة الضَّخِمة. وناقة ضِناك: غليظة المؤخّر.

أسا ـ ضنُك عيشه يضنُك ضَنكاً، وضَنكه الله يَضنُكه، وهو في ضَنك من العيش، وعيشة ضَنك، وصف بالمصدر.

* * *

www.attaweel.com

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحـد في المادّة: هو الشدّة في المضـيقة مادّية أو معـنويّة. ومن مصاديقه الزُّكام الموجب لنزول الفضولات المايعة من الدماغ قهراً ومن دون أن يمكن الاحتباس والدفع، إمّا بسبب وصول حرارة أو برودة شديدتين، وهذا يُحدث مضيقة شديدة في حال المزاج والمعيشة. ومنها ـ اكتناز اللحم وامتلاؤه بحيث يوجب مرضاً وشدّة في العمل والحركة وتضاغطاً في المزاج.

ومَن أعْرَضَ عَن ذِكْري فإنّ لَهُ مَعيشةً ضَنكاً ونَحْشُره يَوْمَ القِـيامَةِ أعمى ـ ٢٠ / ١٢٤.

يراد شدّة الضيق في المادّيات ومن جهة الروحانيّة، فإنّ من أعرض عن التذكّر والتوجّه إلى الله تعالى: فهو متقطِّع عنه تعالى ومتقطِّع ارتباطه عنه، منفصل عيشه عن المراحل الروحانيّـة، فلابدّ أنّه يعيش في محدودة المادّة، مـقيّداً بـقيودها، ومحـدوداً بحدودها الوافرة، ليس له من وسع عـوالم الروحانيّة نصـيب، ولا من الفـيوضات الرحمانيّة حظّ، فإنّ عالم المادّة إذا انقطع عن الروحانيّة: يكون كالجسد بلا روح، فهو في غاية الشدّة والمضيقة والمحدوديّة.

فكما أنّ البدن المنقطع عنه الرّوح، ميّت لا عيش له ولا انبساط فيه: كذلك المعيشة إذا انقطعت عن الحياة الروحانيّة، تكون في غاية المحدوديّة والمضيقة الشديدة الدنيويّة، منقطعة عن الالتذاذات المعنويّة ومحرومة عن التوجّهات والألطاف الغيبيّة.

* * *

ضنّ:

مقا ـ ضنّ: أصل صحيح يدلّ على بخل بالشيءِ يقال ضنِنت بالشيءِ أضَنّ به ضَنّاً وضَنانة، ورجل ضَـنين. وهذا عِرق مَضَـنّة ومَضِـنّة: إذا كان نفيساً يُضَنّ به.

وفلان ضِنّي من بين إخواني، إذا كان النفيس الّذي يُضنّ به.

مصبا ـ ضنّ يضَنّ من باب تعِب، ضَنّاً وضِنّة وضَنانة: بخل فهو ضَـنين، ومن باب ضرب لغة.

التهذيب ١١ / ٤٦٧ ـ قال الليـث: الضِّـنّ والضِّـنّة والمَضِـنّة: كلّ ذلك من الامساك والبخل ـ ما هو على الغيبِ بضَنين ـ أي يؤدي عن الله ويُـعلّم كـتاب الله. وقرئ ـ بظنين. ويقال: إضطنّ يضطنّ، وفي الأصل: اضتنّ.

الفروق ١٤٤ ـ الفرق بين البخل وبين الضِّـنّ: أنّ الضِّـنّ أصـله أن يكـون بالعواري، والبخل بالهبات، ولهذا تقول هو ضَنين بعلمه، ولا يقال بخيل بعلمه، لأنّ العلم أشبه بالعارية منه بالهبة، وذلك أنّ الواهب إذا وهب شيئاً خرج من ملكه، وإذا أعار لم يخرج، فأشبه العلم العارية.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الإمساك عمّا يكون نفيساً في نظـره وله أهمية عنده، كما في العلم والرفيق الخاصّ والأخ الصالح والمال المخصوص له ووسائل معيشته.

وعلى هذا يقال إنّه مخصوص بالعواري، فإنّ العارية إنّما هي فيما يختصّ به، وله اهتمام في ضبطه وحفظه.

وسبق في الشحّ أنّه البخل الثابت في القلب، والبخل أعمّ منهما.

وَلَقَد رَآه بالأُفُق المُبين وما هوَ على الغَيب بضَنين ـ ٨١ / ٢٤.

أي ليس له أن يُمسك ممّا يراه في الغيب، وأن لا يظهره.

www.attaweel.com

والتعبير بقوله ـ على الغيب، دون الغيب: فإنّ الضنّة ليست متعلّقة به بل واقعة عليه ومتعلّقة بما فيه من العلم والوحي والشهود الواقعة في عوالم الغيب.

والرسول لازم أن يكون أميناً، كما فيما قبل الآية الكريمة ـ مُطاع ثَمّ أمين ـ والأمانة تقتضي أن لا يرى منه شيء زائد ـ ولَو تَقوّلَ عَلينا بعضَ الأقاويل، إن هو إلّا وحيٌ يوحى. ولا شيء متروك يضنّ به، وإن كان نفيساً متعالياً، كالعلوم والمعارف الحقّة.

* * *

ضهئ:

مقا ـ أصل صحيح يدلّ على مشابهة شيء لشيء يقال ضاهاه يضاهيه: إذا شاكله، وربّما هُمز فقيل يضاهئُ، والمرأة الضَّهياء: هي الّتي لا تحيض، فيجوز على تمحّل واستكراه أن يقال كأنّها قد ضاهت الرجال فلم تحِض.

مصبا ـ ضاهأه مضاهأة مهموز: عارضه وباراه. ويجوز التخفيف فيقال ضاهيته مضاهاة، وقرئ بهما، وهي مشاكلة الشيء بالشيء، وفي حديث ـ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة الّذين يضاهون خلق الله أي يعارضون بما يعملون ـ أي المصوّرون.

لسا ـ الليث: المضاهاة: مشاكلة الشيء بالشيء، وربّما همّزوا فيه. وفلان ضهيّ فلان: نظيره وشبيهه. قال الفرّاء: يضاهئون قولَ الّذين كفَروا ـ أي يُضارعون قولهم لقولهم اللّات والعُزّى. وقال أبو إسحاق: أي يُشابهون في قولهم هذا قولَ من تقدّم اتّباعاً لهم، وقبلوا منهم إنّ المسيح والعزير إبنا الله، قال واشتقاقه من قولهم ـ امرأة ضَهيَأ، وهي الّتي لا يظهر لها ثدي، وقيل هي الّتي لا تحيض، فكأنّها رجل. وقال ابن سِيده: الضَّهيَأ والضَّهياء من النِّساءِ: الّتي لاتحيض ولاينبت ثدياها ولا تحمل. وحكى أبو عمرو: امرأة ضَهياة وضهياه، وهذا يقتضي أن يكون الضهيا مقصوراً.

* * *

والتحقيق:

أن الأصل الواحد في المادّة: هو المعارضة في عمل أو قول، ويلازم هذا المعنى المشابهة في ذلك العمل.

ويدلّ على الأصل قول بعضهم إنّ المضاهاة بمعنى المباراة والمعارضة. وقولهم في الحديث ـ الّذين يُضاهون خلق الله ـ أي يعارضون بما يعملون من التصوير.

وبهذه المناسبة تطلق الضهياء على امرأة تباري الرجل في بعض صفاته وأعماله من عدم ظهور الثدي والحيض والولادة فيها، فكأنّها قد تعارض الرجال.

وهكذا تطلق على أرض لم تنبت نباتاً، فكأنّها بائرة.

وقالَت اليهودُ عُزيرٌ ابنُ الله وقالت النّصارى المسيحُ ابنُ الله ذلك قولُهم بأفواههم يُضاهِئون قولَ الّذينَ كَفروا مِن قبلُ قاتلَهم الله أنّى يؤفَكون ـ ٩ / ٣١.

أي هؤلاء اليهود والنصارى مع أنّهم من أهل الكتاب والدين وهم سابقة في التوحيد والإيمان يُعارضون الكفّار ويسابقونهم في قول الكفر والشرك.

وهذا التعبير أشدّ وآكد في توبيخهم وقدحهم من التعبير بالمشابهة، وبهذا يظهر لطف التعبير بها دون المشابهة والمماثلة.

وظهر أيضاً: أنّ المباراة منهم في قبال قول الكفّار بالشرك، فإنّهم يبارون ذلك القول، لا الكفّار أنفسهم.

ولا يخفى أن المادّة إذا كانت بمعنى المشابهة: فيلزم التعبير في المورد بهذا البيان ـ إنّما يضاهي قولهم قول الكفّار، أو إنّما يضاهئون الكفّار، ولا يصحّ المشابهة بينهم وبين القول.

* * *

www.attaweel.com

ضوء :

مقا ـ أصل صحيح يدلّ على نور، من ذلك الضَّوء والضُّوء بمعنى، وهو الضياء والنور. قال أبو عبيد: أضاءت النارُ، وأضاءت غيرَها.

مصبا ـ أضاء القمرُ إضاءة: أنار وأشرق، والإسم الضياء، وقد تهمّز اليـاء، وضاء ضوءاً من باب قال: لغة فيه. ويكون أضاء لازماً ومتعدّياً، يقال أضاء الشيءُ وأضاءه غيرُه.

التهذيب ١٢ / ٩٦ ـ قال الليث: الضَّوء والضِّياء: ما أضاء لك. وقال الزجّاج: يقال ضاء السراج يضوء وأضاء يُضيء، واللغة الثانيـة هي المخـتارة. وقال الليث: ضوّأت عن الأمر تضوِئة: أي حِدت. قلت: ولم أسمع بهذا المعنى.

كلّيات ـ الضِّـياء: هو جمع ضَوء كسَوط وسِـياط، أو مصـدر، كقام قياماً. واختلف في أنّ الشعاع الفايض من الشمس جسم أو عرض، والحق أنّه عـرض، وهو كيفيّة مخصوصة، والنور إسم لأصل هذه الكيفيّة، وإذا كانت كاملة تامّة قويّة: فهي ضياء، ولهذا أضيف إلى الشمس، والنور إلى القمر، فالضوء أتمّ منه، والنور أعمّ منه، إذ يقال على القليل والكثير.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو جهة الاشراق والأشـعّة المـنتشرة مـن النور، فإنّ النظر في النور إلى نفس النور من حيث هو، وفي الضوءِ إلى جهة إشراقه، كما أنّ الإشراق هو طلوع مع الإضاءة، فالنور أعمّ من أن يكون فيه إضاءة أيضاً أم لا.

www.attaweel.com

ثمّ إنّ الحرارة والنور إنّما يتحصّلان من تموّج واهتزاز شديد في ذرّات الجسم، وينتقل هذا الاهتزاز الشديد إلى المحيط الخارج، والضوء هو انبساط ذلك النور إذا بلغ إلى حدّ تامّ شديد.

ثمّ إنّ النور إمّا محسوس وفي المادّة، أو معقول معنويّ، والمعنويّ يستعمل مراداً به الجوهر، فإنّ النور الحقيقي هو حقيقة الوجود، وقد يستعمل في موارد الإضاءة والآثار المتحصّلة من النور، فيكون عرضاً.

وأمّا الضوء: فهو من الأعراض، إلّا أن يراد منه الإشراق الروحانيّ التكوينيّ، فيكون جوهراً في ذلك المورد.

وأمّا عرضيّة النور: فهل هو من الكيفيّات المحسوسة، أو من أقسام الاستعداديّة أو من أن يَفعل وينفعل: فكلّ باعتبار.

فالإضاءة في النار كما في:

كَمَثَل الَّذي استوقَد ناراً فلمّا أضاءَت ما حولَه ذهبَ اللهُ بنورِهِم ـ ٢ / ١٧.

فالإضاءة إنّما تتحصّل من النور، والنور من النار والحرارة، فإذا انتفى النور ينتفي الإضاءة.

والإضاءة في البرق:

يكادُ البرقُ يَخطفُ أبصارَهم كلَّما أضاءَ لَهم مَشَوا فيه ـ ٢ / ٢٠.

وفي المطلق:

إن جَعَلَ اللهُ عليكُم اللّيلَ سَرمَداً إلى يوم القيامَة مَن إلٰهٌ غيرُ الله يأتيكُم بضِياء ـ ٢٨ / ٧١.

فالليل يقابل الضياء، فإنّ الليل هو انبساط الظلمة، والظلمة في مقابل النور ـ

www.attaweel.com

يُخرجُهم من الظُّلمات إلى النّـور، أم هَل تَستوي الظُّلماتُ والنّـور، وجَعَلَ الظُّلماتِ والنّور.

وفي الإضاءة المعنويّة:

ولَقَد آتَينا موسى وهارونَ الفُرقانَ وضِياءً وذكراً للمتَّقين ـ ٢١ / ٤٨.

أي آتيناهما هذه المعاني ليستفيد منها المتّقون الّذين يتّقون عن الباطل ويبتغون الخروج عن محيط الظلمة إلى الضياء ويريدون السلوك في مسير ذكر الله.

وهذه الأُمور الثلاثة مراحل مرتّبة في مبادئ السلوك، وهي الّتي يلزم للمتّقي أن يجعلها في برنامج مسيره وعمله.

وهوَ الَّذي جَعَلَ الشَّمسَ ضِياءً والقمرَ نوراً ـ ١٠ / ٥.

فإنّ الشمس ممحّضة للإضاءة وبسط النور حتّى يتحصّل زمان النهار بعد الليل، وهذا بخلاف القـمر، فإنّ الملحوظ فيه مطلق وجود النور فيه، لرفع الاحـتياجات الضروريّة ويتحقّق زمان الليل.

والتعبير به: فإنّ النظر في المقام إلى حصول الضياءِ، وكأنّ الشمس نفسها ضياء ومظهر للضياء، وهو المطلوب في تحـقّق النهاريّة، كما أنّ المـطلوب اللّازم في اللـيل وظلمتها مطلق وجود نور بالإجمال.

ثمّ إنّ الضياء كما أنّه وسيلة تحصيل المعاش المادّيّ ـ وجعلـنا النّهار مَعاشاً: كذلك الضياء الروحانيّ وسيلة تحصيل المعاش المعنويّ الّذي هو المقصود الأصيل في حياة الإنسان، وهو الّذي ينتج سعادة أبديّة، وسعة في الحياة.

قال رسول الله (ص): اللّهمّ لا عيشَ إلّا عيشُ الآخِرة.

* * *

www.attaweel.com

ضير :

مقا ـ ضير : كلمة واحدة ، وهو من الضَّـير والمضَرّة ، ولا يَضيرني كـذا ، أي لا يضرّني .

التهذيب ١٢ / ٥٧ ـ ابن السكّيت : ضارني يضـيرُني ويضـورني ضَيراً . عن الفرّاء : قرأ بعضهم ـ لا يَضِرْكم كيدُهم شيئاً ـ يجلعه من الضَّير . قالوا لا ضيرَ إنّا إلى ربّنا منقلبون ـ أي لا ضرّ . وعن الفرّاء : الضورة من الرجال : الحقير الصغير الشأن . وعن ابن الأعرابيّ : الضُّورة : الضعيف من الرجال ، والضَّورة : الجوعة .

لسا ـ ضير : ضاره ضَيراً : ضَرّه . ويقال ضارني يضيرني وضـارني يـضورني ضَوراً . ويقال لا ضير ولا ضور ولا ضرّ ولا ضررَ ولا ضارورة : بمعنى واحد .

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة : هو الضرر اللّيِّن الخافـت ، وذلك بمقتـضى حرف اللين ، فإنّ الأصل في المادّة هو الضرّ مشدّداً ، وهو يدلّ على الشدّة والظهور .

وأمّا الضور واوياً : فهو أيضاً قريب من الضرّ ، وبينهما اشتقاق ومعناه الضرر والتضرّر المتوسّط ، وبهذه المناسبة يطلق على من أصابه حقارة أو صغارة أو ضعف أو جوع وغيرها .

وقد اختلطت مفاهيم هذه الموادّ في المعاجم ، فتنبّه .

لأُقطِّعنَّ أيديَكُم وأرجلَكُم ... قالوا لا ضَيرَ إنّا إلى ربّنا منقلِبون ـ ٢٦ / ٥٠ .

التعبير بالضير دون الضرّ : إشارة إلى أنّ هذا الشرّ المتوجّـه خفيف وخافت

يسير، في قبال ما يصل من مواجهة الحقّ ودركه، وفي قبال تحقّق السير والانقلاب إلى الربّ الّذي بيده التربية، فإنّه كمال الخير والسعادة والنفع.

❊ ❊ ❊

ضيز:

مقا ـ ضيز: قد مضى ذكره، وأصله فيما يقال الواو، وقد قيل إنّه من بنات الياء، فلذلك ذكرناه هيهنا فالقِسمة الضِّيزى: الناقصة، يقال ضِزته حقَّه: إذا منعتَه.

ضوز: أصلان صحيحان، أحدهما ـ نوع من الأكل. والآخر ـ دالّ على الاعوجاج. فالأوّل ـ ضاز التمر يضوزه ضَوزاً: إذا أكله بجفاء وشدّة. والأصل الآخر ـ القسمة الضِّيزَى.

التهذيب ١٢ / ٥٢ ـ عن الفرّاء في قسمة ضِيزَى: أي جائرة، والقرّاء جميعهم على ترك الهمز، ومن العرب من يقول ـ ضِئزَى وضُؤزَى. وضِيزَى فُعلى، وإن رأيت أوّلها مكسوراً وهي مثل بِيض وعِين، كان أوّلها مضموماً، فكرهوا أن يترك على ضمّه. وعن ابن السكّيت: ضِزته حقّه، أي نقصته. وقال أبو الهيثم: ضِزت فلاناً أضيز ضَيزاً: جُرت عليه. وعن ابن الأعرابيّ: تقول العرب ـ قسمة ضُؤزى وضُوزى وضِئزى وضِيزى، ومعناها كلّها الجور.

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الانحراف مع الاعوجاج، وبلحاظ هذا الأصل يفسّر بالجور أو النقص أو المنع، فإنّ في كلّ من هذه المعاني مفهوم الانحراف عن الاعتدال والميزان.

www.attaweel.com

والصحيح الحقّ على مقتضى اللفظ والمعنى: أنّ الواويّ غير اليائيّ، نعم بينهما اشتقاق أكبر، ومفهوم أكل التمر إنّما هو للواويّ، مع وجود تناسب في ما بينه وبين الانحراف، فإنّه اعوجاج في أكل.

أَلَكُم الذّكرُ ولَهُ الأُنثى تلكَ إذاً قِسمة ضِيزىٰ ـ ٥٣ / ٢٣.

أي قسمة منحرفة عن العدل، بأن تجعلوا الذّكر لكم، حيث تستنكفون عن الأُنثى، وتكون الأُنثى حِصّة لله وتنسبونها إليه.

ولا يبعد أن نقول: إنّ المادّة تدلّ ضمناً على ضرر ما، فإنّ الضيز هو الضير (بمعنى الضرر الخافت) بتبديل الراء زاء، والزاء من حروف الصفير، ويدلّ على إظهار في قبال الخفت والشدّة، فتكون موادّ الضرّ والضير والضيز قريبة المعاني.

فيكون من مصاديق هذا المعنى أيضاً: مفاهيم الجور والنقص والمنع والاعوجاج والإنحراف، في موارد الضرر مع حفظ معناه.

ثمّ إنّ وجود الضيزى في هذا الاقتسام: فأوّلاً مِن جهة أنّهم يظنّون انكساراً وانحطاطاً في مقام الأنثى، مع أنّ الفضيلة إنّما تنشأ من التقوى، ولا فرق بين الرجل والمرأة:

إنِّي لا أُضيعُ عملَ عامِل مِنكُم مِن ذَكَر أو أُنثى بعضُكُم مِن بَعض ـ ٣ / ١٩٥.

وثانياً ـ نسبة الأُنثى المنحطّة على ظنِّهم إلى الله تعالى. ونسبة الذّكَر إلى أنفسهم، وصيغة فِعلى مقصورةً: تدلّ على سعة المعنى وجريانه وبسطه.

* * *

ضيع :

مقا ـ ضيع: أصل صحيح يدلّ على فوت الشيءِ وذهابه وهلاكه. يقال ضاع

www.attaweel.com

الشيء يضيع ضَياعاً وضَيعة وأضعته أنا إضاعة، فأمّا تسميتهم العَقار ضَيعة: فما أحسبها من اللغة الأصيلة، وأظنّه من محدَث الكلام. وسمعت من يقول إنّما سمّيت بذلك لأنّه إذا ترك تعهّدها ضاعت.

مصبا ـ ضاع، فهو ضائع، والجمع ضُيَّع وضِياع، ويتعدّى بالهمزة والتضعيف فيقال أضاعَه وضيَّعه. والضَّيعة: العَقار، والجمع ضِياع وقد يقال ضِيَع وكأنّه مقصور منه. وأضاع الرجل: كثرت ضِياعُه. والضَّيعة: الحرفة والصناعة، ومنه كلّ رجل وضَيعتَه، والمَضِيعة: بمعنى الضَّياع مثل معيشة، ويجوز سكون الضاد وفتح الياء، والمراد بها المفازة المنقطعة، وقال ابن جِنّي: المَضيعة: الموضع الّذي يضيع فيه الإنسان، ومنه ضاع إذا هلك.

التهذيب ٣ / ٧١ ـ ضاعَ الشيء ضَياعاً، وترك فلان عياله بمَضِيعة ومَضيَعَة، وأضاع عيالَه وماله وضيّعهم إضاعة وتضييعاً، فهو مُضِيع ومُضَيِّع. وضَيعة الرجل: حرفته وصناعته وكسبه، يقال ما ضَيعتك؟ أي حِرفتك، وإذا انتشرت على الرجل أسبابه قيل فشت ضَيعتُه حتّى لا يدري بأيّها يبدأ. وقال الليث: الضِّياع: المنازل، سمّيت ضِياعاً لأنّها تضيع إذا ترك تعهّدها وعمارتها. وقال شَمِر: كانت ضَيعة العرب سياسة الإبل والغنم، ويدخل في الضَّيعة الحِرفة والتجارة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو امّحاء الصورة والنظم في شيء وعدم ترتّب الأثر له بحيث يكون مهملاً. وهذا هو الفرق بينها وبين موادّ الفقدان والموت والفناء والفوت والهلاك والقتل والعدم: فإنّ النظر في الموت إلى انقطاع الحياة. وفي الفناء إلى خلاف البقاء. وفي العدم إلى ما يقابل الوجود.

ويلاحظ في الفقدان: جهة غيبة شيء عن حضور شخص وعلمه.

www.attaweel.com

وفي الفوت: خروجه عن السلطة واليد، في قبال الإتيان.

وفي الهلاك: فناء شيء بالحوادث، في ذوي العقلاء أو ما يتعلّق بهم.

وفي القتل: موت بيد غيره، فهو مقتول.

وفي التلف: عدم حصول الفائدة المقصودة من الشيء مطلقاً.

فكلّ من هذه الموادّ لازم أن يستعمل في مورده المناسب.

فخلف مِن بَعدهم خَلفٌ أضاعوا الصَّلاةَ ـ ١٩ / ٥٩.

فاستجابَ لَهم ربُّهم أ نّي لا أُضيعُ عملَ عاملٍ منكُم ـ ٣ / ١٩٥.

وما كانَ الله ليُضيعَ إيمانكُم ـ ٢ / ١٤٣.

يراد محو الصورة والخصوصيّة المؤثّرة في ترتب الأثر لصلوة أو عمل أو إيمان، حتّى تكون مهملة لا أثر لها.

إنّا لا نُضيعُ أجرَ المُصلِحين ـ ٧ / ١٧٠.

ولا نُضيعُ أجرَ المُحسِنين ـ ١٢ / ٥٦.

وإنّ الله لا يُضيع أجرَ المؤمِنين ـ ٣ / ١٧١.

فالضَّياع أقلّ مرتبة من التلف والفوت والمحو، فإنّ عدم تحصّل الأثر وتحقّق الهمل أقلّ مرتبة من مفهوم الانمحاء المطلق، وهو أعمّ من الهلاك والفناء والعدم والموت.

فلا يتصوّر في مقام الجزاء والحساب: أن يَعرض أدنى مسامحة أو انمحاء أو تفريط، سواء كان في موضوع: كالإيمان والعمل والصلاة، أو محمول: كالأجر.

فليتوجّه الإنسان إلى أنّ ما يظهر منه من عقيدة أو عمل أو جزاء مترتّب، كلّها محفوظ عند الله ومضبوط في عالم الحقّ ـ لا يُغادِرُ صَغيرة وَلا كَبيرة إلّا أحصاها

ـ ومَن يَعمل مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه.

فظهر لطف التعبير بالمادّة دون أخواتها، في هذه الآيات الكريمة.

ثمّ إنّ المفهوم من هذه الآيات: أنّ الإيمان واليقين وكيفيّة الاعتقاد والنـيّة في الأعمال، منظورة وملحوظة في مقام الحساب والجزاءِ، فيجازى كلّ عمل على مقدار الإيمان المتعلّق به، فإنّ الإيمان والاعتقاد وهو روح العمل وباطنه وميزانه ـ وَما كانَ اللهُ لِيُضيعَ إيمانكُم، لا يُضيعُ أجرَ المؤمنين.

* * *

ضيف:

مصبا ـ الضيف: معروف، ويطلق بلفظ الواحد على الواحد وغيره، لأنّه مصدر في الأصل، من ضافه ضَيفاً من باب باع: إذا نزل عنده، ويجوز المطابقة، فيقال ضَيف وضيفة وأضياف وضِيفان. وضيّفته وأضفته: إذا أنزلته وقرّبته، والإسم الضيافة. قال ثعلب: ضفته إذا نزلت به وأنت ضيف عنده، وأضفته إذا أنزلته عندك ضيفاً. وأضفته إضافة واستضافني فأضفته: إستجارني فأجرته. وأضافه إلى الشيءِ إضافة: ضمّه إليه وأماله. والإضافة في اصطلاح النحويّين من هذا، لأنّ الأوّل يضمّ إلى الثـاني، وإن أريد إضافة مفردين فالأحسن إضافة الثاني إلى ضمير الأوّل المضاف إليه، نحو غلامُ زيد وثوبه، ويجوز أن يكون الأوّل مضافاً في النيّة والثاني في اللفظ، نحو غلامُ وثوبُ زيد.

مقا ـ ضيف: أصل واحد صحيح يدلّ على ميل الشيء إلى الشيء يقال أضفت الشيء إلى الشيء: أملته. وضافت الشمس تَضيف: مالت وكذلك تضيّفَت إذا مالت للغروب. والضَّيف من هذا، يقال ضِفت الرجل: تعرّضتُ له ليضيفني. وأضفتُه: أنزلته عليّ، ويقال: ضيّفته مثل أضفته إذا أنزلته بك. وفلان يتضيّف الناس، إذا كان يتبعهم

www.attaweel.com

ليُضيفوه. ويقال لناحية الوادي ضِيف، وهما ضِيفانِ، وتضايفنا الوادي: أتيناه من ضِيفته. ويقال تضيّفوه إذا اجتمعوا عليه من جوانبه.

مفر ـ أصل الضيف: الميل، يقال ضِفت إلى كذا، وأضفت كذا إلى كذا، والضَّيف: من مال إليك نازلاً بك.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو التمايل إلى جانب بحيث يتحقّق خارجاً، لا التمايل المطلق.

وبهذا اللحاظ يطلق على مَنْ يميل إلى بيت شخص لبيتوتة عنده أو لأكل طعام. وميل الشمس إلى جانب المغرب في نظرنا. وميل الوادي إلى خارج من المسيل، وهو الناحية من الوادي. وتمايل إلى ظلّ شخص وجواره ليتّقي به نفسه. وفي تمايل إلى تكاسل وسقم ما، يقال ضافت المرأة إذا حاضت. وفي تمايل كلمة إلى أخرى كما في الإضافة المصطلحة. فمفهوم التمايل إلى جانب لازمٌ أن يلاحظ في كلّ منها.

ونَبِّئهُم عَن ضَيف إبراهيم ـ ١٥ / ٥١.

قالَ إنَّ هؤلاءِ ضَيفي فَلا تَفضحون ـ ١٥ / ٦٨.

هَل أتاكَ حديثُ ضَيفِ إبراهيمَ المكرَمين ـ ٥١ / ٢٤.

وَلَقَد راوَدوه عَن ضَيفه فطمسنا أعينَهم ـ ٥٤ / ٣٧.

فاتّقوا اللهَ وَلا تُخزونِ في ضَيْفي ـ ١١ / ٧٨.

الآيات ٢ـ٤ـ٥ مربوطة إلى ضيف لوط (ع) وهم الملائكة رُسل الله المأمورون بإنزال العذاب، وهم جاءوا بصورة غِلمان، وقلنا إنّ الأصل في المادّة: هو النزول بتمايل

إلى بيت شخص أو ظلّه لغرض، وهذا المعنى صادق عليهم.

ثمّ إنّ الضيف إذا نزل في بيت: يصير في عداد عائلة صاحب البيت فعليه إطعامه وإسكانه وتأمين ماله ونفسه. وذلك بمقتضى مفهوم المادّة من الميل إلى بيت شخص لغرض.

وأمّا تشكّل الملائكة بصورة الإنسان كما هو صريح هذه الآيات الخمس وغيرها: فقد سبق في ـ شهد: أنّ البدن البرزخيّ اللّطيف (الملكوتي) هو تشكّل من خصوصيّات منطوية في الروح، وصورة من مكنوناته، وتجلّي عمّا في باطنه، وهذه ضابطة جارية في عالم الملكوت.

والملائكة إذا أرادت مصاحبة ومخالطة ومؤانسة مع عالم الإنسان فلابدّ أن تُهيِّئ أنفسها وتستعدّ في ضمائرها وتُلقّن إلى قلوبها ما يختصّ بالإنسان وبعالمه: وهذا المعنى يوجب تشكّلها بصورة الإنسان قهراً، فإنّ الظاهر تابع للباطن، والصورة مظهر للحقيقة، ولابدّ من ائتلاف تامّ وارتباط تكوينيّ كامل بين الظاهر والباطن، وإلّا لحصل الخلاف والتفاوت بينهما ـ ما تَرى في خَلقِ الرَّحمٰن مِن تَفاوُت.

وهذا حقيقة قوله تعالى:

فأرسَلنا إليها روحَنا فتمثَّلَ لَها بَشراً سَوِيّا ـ ١٩ / ١٧.

فالتمثّل من آثار المُرسَليّة إليهم، فإنّ الرسول لازم أن يكون متماثلاً ومشابهاً بالّذين اُرسل إليهم. كما صرّح بهذا في قوله عزّ وجلّ:

ولَو جَعَلناه مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلاً ولَلَبسنا عَليهم ما يَلبِسون ـ ٦ / ٩.

حتّى يكون متماثلاً يوجب الاُنس معهم.

واسْتَطْعَما أهلَها فأبوا أن يُضَيِّفوهُما ـ ١٨ / ٧٧.

www.attaweel.com

التضييف هو جعل شخص ضَيفاً، أي فلم يقبلوا أن يكونا ضَيفَين.

وهذا غاية الدناءة ونهاية تسفّل طبيعة الإنسان، بحيث يكون آبياً عن نزول الضيف، وهو الّذي يُظهر التمايل إلى النزول في بيته، ولا يكون له في الأغلب منجأ ولا ملجأ إلّا إليه.

والضيف الحقيقيّ هو المتمايل أوّلاً إلى النزول. وأمّا المدعوّ: فردّه خلاف العهد والدعوة، مضافاً إلى إهانته.

* * *

ضيق :

مقا ـ ضيق: كلمة واحدة تدلّ على خلاف السِّعة. وذلك هو الضِّيق، والضيقة: الفقر، يقال أضاق الرجلُ: ذهب ماله، وضاق إذا بخل. والضَّيق: الضَّيِّق. والباب كلّه قياس واحد. والضِّيقة من منازل القمر.

مصبا ـ ضاق الشيء ضَيقاً من باب سار، والإسم الضِّيق وهو خلاف اتّسع، فهو ضَيّق، وضاق صدره: حرج، فهو ضَيّق أيضاً إذ أُريد به الثبوت، وإذا ذهب به مذهب الزمان قيل ضائق. وضيّقت عليه تضييقاً. وضاق الرجل بمعنى بخل.

وضاق بالأمر ذرعاً: شقّ عليه، والأصل ضاق ذرعه أي طاقته وقوّته، فأُسند الفعل إلى الشخص ونصب الزرع على التمييز، وقولهم ضاق المال عن الديون: مجاز، وكأنّه مأخوذ من هذا.

لسا ـ الضِّيق: نقيض السعة، ضاق الشيء يضيق ضِيقاً وضَيقاً، وتضيّق وتضايَق وضيّقه هو، وحكى ابن جِنّي أضاقَه، وهو أمر ضَيِّق، الضَّيق: الأمر الضَّيّق، والضِّيق: المصدر، والمَضايق جمع المَضيق، والضَّيق أيضاً تخفيف الضَّيّق، والضَّيق جمع الضَّيقة، والضِّيقة وهي الفقر وسوء الحال.

* * *

www.attaweel.com

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ما يقابل السعة، وهو أعمّ من أن يكون في مادّيّ أو معنويّ، في مكان أو غيره، وقد مرّ في ـ رحب: إنّه سعة في محلّ ـ راجع الرّخو.

فالضِّيق في المكان كما في:

وضاقَت عَلَيكُم الأَرْضُ بِما رَحُبَت ـ ٩ / ٢٥.

وفي الصّدر كما في:

ويَضيقُ صدري ولا يَنطِلقُ لساني ـ ٢٦ / ١٣.

وفي التقدير والإحاطة كما في:

ولمّا جاءَت رُسُلنا لوطاً سِيءَ بهم وضاقَ بهم ذَرعاً ـ ١١ / ٧٧.

وفي النفس كما في:

وضاقَت عليهم أنفسهُم ـ ٩ / ١١٨.

وفي مطلق الأمر كما في:

ولا تَكُنْ في ضَيق ممّا يَمكُرون ـ ٢٧ / ٧٠.

وَلا تُضارّوهنّ لتُضيّقوا عَلَيهنّ ـ ٦٥ / ٦.

فتكون المضيقة إمّا من جهة المكان ومحلّ التعيّش وإدامة الحياة، أو من جهة خصوصيّة ما يصدر من القلب وفي مرتبة ظهور ما في القلب، بأن يكون في ضيق عند التصميم والإرادة وإظهار النيّة، وإمّا من جهة ما يواجهه من خلاف أو مكر من المخالفين، وإمّا في مرحلة التقدير والتدبير فيما يريد أن يعمله وفي كيفيّة العمل، أو في

www.attaweel.com

تحقّق اضطراب شديد وانقباض عميق في النفس من جهات مختلفة، بحيث لا يدري إلى أيّ طريق يتوجّه وبأي عمل يتوسّل، وهذا أشدّ حالة من التضيّق يجعل النفس حيران لا يقدر على إعمال فكر.

وقد قال تعالى في الآية:

حَتّى إذا ضاقَت عَلَيهم الأَرْضُ بِما رحُبت وَضاقَت عَلَيهم أنفُسُهم وظَنّوا أن لا مَلجأ مِن الله ـ ٩ / ١١٩.

نعوذ بالله الرّحمٰن الرّحيم الرؤوف الكريم من هذه المضائق المادّية والمعنويّة، ونتوب إليه، إنّه هو التوّاب الرّحيم.

إنتهى. وقد تمّ بتوفيق الله وتسديده ما يتعلّق بحرف الضاد من كلمات القرآن الكريم، ويتلوه إن شاء الله الرّحمن [حرف الطاءِ]، ومنه أستعين وأستمدّ إنّه خير معين وموفّق، ٢٥ رجب ١٤٠١ قمريّة.

www.attaweel.com

www.attaweel.com

باب حرف الطّاء

طبع :

مصبا ـ الطَّبع : الختم، وهو مصدر من باب نفع. وطبعت الدراهم : ضربتها. وطبعت السيف ونحوه : عملته. وطبعت الكتاب وعليه : ختمته. والطابع بكسر الباء وفتحها : ما يُطبع به. والطَّبع بالسكون : الجِبلّة الّتي خُلق الإنسان عليها. والطَّبَع بالفتح الدَّنَس، وهو مصدر من باب تعِب.

مقا ـ طبع : أصل صحيح، وهو مثل على نهاية ينتهي إليها الشيء حتّى يختم عندها، يقال طبعت على الشيء طابَعاً، ثمّ يقال على هذا طبع الإنسان وسجيّته، ومن ذلك طبع الله على قلب الكافر، كأنّه ختم عليه حتّى لا يصل إليه هدى ولا نورٌ فلا يوفّق الخير. ومن ذلك أيضاً طبع السيف والدرهم، وذلك إذا ضربه حتّى يكتمله. والطابَع : الخاتم الّذي يُختم به. والطابِع : الّذي يَختم. ومن الباب قولهم لمِلأ المكيال : طَبع، والمقياس واحد، لأنّه قد تكامل وخُتم. وتطبّع النهر : إذا امتلأ، وهو ذلك المعنى. وكذلك إذا حملت الناقة حِملها الوافي الكامل : فهي مُطبَّعة.

التهذيب ٢ / ١٨٦ ـ الطبع : مصدر طبعت الدرهم. والطَّبع : النهر، وجمعه أطباع، وعلى الطُّبوع. والطَّبع : ابتداء صنعة الشيء، تقول ـ طبعت اللِّبن طبعاً، وطبعت السيف طبعاً. والطَّبّاع : الّذي يأخذ الحديدة فيَطبعها ويُسوِّيها إمّا سكِّيناً أو

www.attaweel.com

سيفاً وإمّا سناناً. وحِرفته الطِّباعة. وطبع الله الخلق على الطبائع الّتي خلقها وأنشأهم عليها. قال أبو إسحاق: معنى طَبع وختم واحد، وهو التغطية على الشيء، وقال: بل رانَ على قُلوبِهِم ـ غَطّىٰ على قلوبهم، وكذلك طبعَ الله على قُلوبِهِم. وأمّا الطَّبَع بحركة الباء: فهو تلطّخه بالأدناس، وأصل الطَّبَع الصدأ يكثر على السيف وغيره.

مفر ـ الطَّبع: أن تُصوّر الشيء بصورة ما كطبع السكّة وطبع الدراهم، وهو أعمّ من الختم وأخصّ من النقش.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الضرب على الشيء لتثبيته على حالة، فيعتبر فيه قيدان: الضرب، والتثبيت على حالة، فيقال طبع الدرهم واللِّبن والسكِّين والكتابة والأخلاق وغيرها: إذا ضربها ليُثبتها على حالة أو صورة مخصوصة.

وهذا غير مفهوم الختم: فإنّ الملحوظ فيه هو الانتهاء والاختتام، وهذا المفهوم غير ملحوظ في هذه المادّة.

ويطلق على الصّدأ إذا كان على حدّ الثبوت، فكأنّه مضروب على الشيء، وعلى الصفات الباطنيّة إذا كانت مثبَتة في القلب تكويناً أو بالتمرين، وعلى النهر إذا حُفر ويُجعل مَجرى ثابتاً للماءِ، في قبال الأودية الّتي لا مجرى ثابتاً فيها.

وطبعَ اللهُ عَلى قلوبِهم فهُم لا يَعلمون ـ ٩ / ٩٣.

ونَطبعُ عَلى قلوبهم فهُم لا يَسمَعون ـ ٧ / ١٠٠.

وطُبِع على قلوبهم فهُم لا يَفقهون ـ ٩ / ٨٧.

بَل طبعَ اللهُ عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلّا قَليلاً ـ ٤ / ١٥٥.

www.attaweel.com

كذلكَ نطبعُ على قلوبِ المُعتدين ـ ١٠ / ٧٤.

كذلكَ يطبعُ الله على قلوبِ الكافِرين ـ ٧ / ١٠١.

كَذلك يَطبعُ الله عَلى كلِّ قلبٍ متكبِّرٍ جَبّار ـ ٤٠ / ٣٥.

فيستفاد من الآيات الكريمة أمور:

١ ـ أنّ الطبع إنّما يتحقّق بعد تحقّق الكفر بالحقّ، والاعتداءِ، والتكبّر في قبال الحقيقة، والجبر، وفي هذه الصور فهو غير مستعدّ للاهتداء.

٢ ـ فإذا تحقّق الطبع: ينتج سلب التوفيق وفقدان النورانيّة، فلا يستطيع أن يفقه أو يسمع أو يؤمن أو يحصل له العلم واليقين.

٣ ـ فيظهر أنّ الطبع من أعظم الابتلاءات ومن أشدّ العقوبات للمعتدين، حيث إنّه يمنع عن البلوغ إلى أيّ سعادة وكمال، وصاحبه يتوقّف على حالته الظلمانيّة الّتي يكون عليها، ولا يستطيع عنها حولاً.

ثمّ إنّ هذه الطبعة لها مراتب، وفي كلّ منزل إذا تحقّق الاعتداء: يوجب احتباساً وتوقّفاً فيه، بحيث لا يحصل له توفيق السير إلى ما فوقه.

نعوذ بالله من هذه الطبعة الّتي تسدّ باب التوفيق والرحمة.

* * *

طبق:

مقا ـ طبق: أصل صحيح واحد يدلّ على وضع شيء مبسوط على مثله حتّى يُغطّيه، من ذلك الطَّبَق تقول أطبقت الشيءَ على الشيءِ، فالأوّل طبق للثاني، وقد تطابقا، ومن هذا قولهم ـ أطبقَ الناس على كذا، كأنّ أقوالهم تساوت حتّى لو صُيّر

أحدهما طَبَقاً للآخر صلح. والطَّبَق: الحـال في قوله تعالى ـ لتَركَبُنَّ طَبَقاً عَن طبَق. وقولهم ـ إحدى بنات طبَق: هي الداهية، وسمّيت طَبقاً لأنّها تعمّ وتشمل، ويقال لما علا الأرض حتّى غطّاها هو طبَق الأرض. وقولهم ـ طبّق الحقَّ ـ إذا أصابـه: من هذا، ثمّ يحمل عليه حتّى يقال طبّق إذا أصاب المَفصل ولم يُخطئه، ثمّ يقولون طـبّق عنقَه بالسيف: أبانها. فأمّا المطابَقة: فمشي المقيّد، فإنّ رجليه تقعان متقاربتين كأنّهما متطابقتان. ويد طَبِقة إذا التزقت بالجنب، وطابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حدٍّ واحد.

مصبا ـ الطبَق: من أمتعة البيـت، والجمع أطباق، وطِباق أيضاً مثل جـبال، وأصل الطبق: الشيء على مقدار الشيء مُطبقاً له من جميع جوانبه كالغطاء له، ومنه يقال أطبقوا على الأمر إذا اجتمعوا عليه متوافِقين غير متخالِفين. وأطبقت عليه الحُمّى فهي مُطبِقة، وأطبق عليه الجنون فهو مُطبِق، والعامّة تفتح الباء على معنى أطبق الله عليه الحمّىٰ والجنون أي أدامها، كما يقال أحمّه الله وأجنّه، فيكون الأصـل مـطبَقاً عليه، فحذفت الصلة.

الجمهرة ١ / ٣٠٧ ـ ويقال مرّ طَبَق من الليل ومن النهار أيضاً: أي معظم منه. وكلّ فِقرة من فِقر الظَّهـر طبَق. وكلّ شيء طوبق بعضـه على بعض فالأعلى طـبَق للأسفل. وطَبَق الجنب صفحته. والطبق معروف، وطبقت يد الرجـل أو البـعير إذا لصقت بجنبه. وطابَقَ فلان فلاناً على الأمر إذا مالأ عليه. والطَّبَقة: القوم المتشابهون.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو تقابل شـيئين مع التساوي بينهما، وهو قريب من التوافق، إلّا أنّ أغلب استعمالها في المحسوسات، كما أن أكثر استعمال التوافق

في الآراءِ والمعنويّات.

وهذان القيدان محفوظان في جميع موارد استعمالها.

وبلحاظ هذا الأصل تستعمل المادّة في الموارد الّتي نقلناها، ولابدّ في كلّ منها حفظ حيثيّة الأصل.

فمفاهيم البسط، التغطية، واللزق بالجنب، والداهية، وحكم القاضي، وإصابة السيف، وتقارب القدمين، والطبقات، والليل والنهار، والفِقار، والاجتماع على أمر، والتشابه، والتمالؤ، وإطباق المرض، والحالة: كلّها من مصاديق هذا الأصل إذا لوحظ فيها القيدان المذكوران، لا مطلق هذه المفاهيم من حيث هي.

وفي كلّ مورد استعملت فيه من دون رعاية القيدين: فهو مجاز.

والقمر إذا اتَّسقَ لتَركبُنَّ طَبقاً عَن طبق فما لَهم لا يُؤمِنون ـ ٨٤ / ١٩.

أي مرتبة متحصّلة عن مرتبة، ودرجة عمّا دون درجة، وهذا التعبير يعبّر به في مقام النزول والانحطاط. وأمّا في مقام الصعود والارتقاء فيعبّر فيه بتعبير ـ طبق فوق طبق أو بعد طبق، فيقال: يرتقون درجة بعد درجة وفوقها.

والمراد من الطَّبَق في المورد: الطبَق المعنويّ لا المحسوس المادّيّ، وذلك بقرينة ـ لا يؤمنون، فإنّ الإيمان وعدمه أمر معنويّ.

وفي التعبير بالركوب وهو استقرار شيء على شيء آخر: إشارة إلى أنّ خلاف الإيمان، سير غير طبيعيّ للإنسان وخارج عن حاقّ نفسه ومنحرف عن مجرى حقيقته، فهو مثل الركوب الدالّ على التكلّف والتحميل، وهو سير تبعيّ.

ألم تروا كَيفَ خَلَقَ اللهُ سبعَ سَمٰوات طِباقاً ـ ٧١ / ١٥.

فالطِّباق منطبقة على السماوات المادّية الطبيعيّة، وهي سبع مجموعات منظومات،

www.attaweel.com

واحد منها مجموعتنا المنظومة الشمسيّة، وعلى المقامات المعنويّة فوق عالم المادّة، ولكنّ النظر في المورد إلى مقام ذكر النعم المادّية.

فيظهر من الآية الكريمة أنّ المنظومات كلّها متقابلة ومتساوية من جهة السعة والإحاطة، ولم يبلغ علم البشر إلى درك خصوصيّاتها، وإنّ غاية ما يتوسّل به الإنسان في هذا المقام: هو التحقيق في المنظومة الشمسيّة.

* * *

طحى:

مقا ـ طحو: أصل صحيح يدلّ على البسط والمدّ. من ذلك الطحو وهو كالدحو وهو البسط. والأرضِ وما طَحَيها ـ أي بسطَها. ويقال طحا بك همُّك يَطحو: إذا ذهب بك في الأمر ومدّ بك فيه. وقال الشيباني: طحيتُ: اضطجعت، والطاحي: الجمع الكثير، وسمّي بذلك لأنّه يجرّ على الشيء.

التهذيب ٥ / ١٨٢ ـ قال الليث: الطَّحو كالدَّحو، وهو البسط، وفيه لغتان: طحا يطحو وطحا يَطحَى، والطُّحيّ من الناس الرُّذّال، والقوم يَطحَى بعضهم بعضاً، أي يدفع. والمُدَوَّمة الطواحي: هي النُّسور تستدير حوالي القتيل. وقال شَمِر: وما طَحيها ـ معناه ومَن دَحاها، فأبدل الطاء من الدال، ودَحاها وسّعها، ونامَ فلان فتَدحّى: اضطجع في سعة من الأرض. وقال ابن شُميل: المُطحِّي: اللّازق بالأرض. والبَقلة المُطَحِّيَة: النابتة على وجه الأرض قد افترشتها. والأصمعيّ: إذا ضربه حتّى يمتدّ من الضربة على الأرض قيل طحا منها. وطَحى البعير إلى الأرض إمّا خِلاءً وإمّا هُزالاً ـ أي لزق. وشرب حتّى طحى: يريد مدّ رجليه.

* * *

www.attaweel.com

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو بسط في الأرض أو على الأرض. لا مطلق الانبساط، فلا يقال الله يَطحي الرزق بين العباد، أو طَحى الرحمة.

وقد سبق في الدحى: أنّ الأصل فيه هو التمهيد وتسوية المكان، وهذا نوع من البسط، فإنّه بسط في التمهيد والتسوية. ولعلّ الفارق هو حرف الطاء الدالّ على الاطباق والاستعلاء.

فبين المادّتين اشتقاق أكبر، والطحى بمناسبة حرف الإطباق يدلّ على بسط وإطباق ليس في الدحى.

وبمناسبة الأصل تطلق المادّة على مفاهيم ـ اللزق بالأرض، والافتراش على الأرض، والامتداد عليها، والاضطجاع فيها، وامتداد الرِّجلين، وغيرها.

والسَّماءِ وَما بَناها والأَرْضِ وَما طَحَيٰها ـ ٩١ / ٦.

التعبير بكلمة ما: للدلالة على مطلق ما يكون سبباً أو وسيلة في تحصّل السماء على هيئة وصورة مخصوصة، مادّيّ أو روحانيّ. وما يكون موجباً وسبباً في بسط الأرض فيها، من أيّ سبب كان.

وإن كانت هذه الأسباب كلّها ترجع إلى الله مسبّب الأسباب.

فيُقسم الله تعالى بالسماءِ والأرض وما يوجب تقديرهما وتصويرهما على هيئتهما وخصوصيّاتهما، من علل وأسباب، كقوة الجاذبة والدافعة والحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة وعوامل أخرى.

ولا يراد من كلمة ما، الباني أو الطاحي الحقّ وهو الله تعالى: فإنّ النظر إلى المخلوقات من جهة النورانيّة وانعكاس الضياء فيها شدّة وضعفاً، وإلى العالم الصغير

www.attaweel.com

وهو النفس، مضافاً إلى أنّ كلمة ـ ما، تستعمل في الموجودات العامّة من غير ذوي العقول.

* * *

طرح:

مقا ـ طرح: أصل صحيح يدلّ على نبذ الشيءِ وإلقائه، يقال طرح الشيء يطرحه طرحاً، ومن ذلك الطَّرَح وهو المكان البعيد. وطرحت النَّوى بفلان كلّ مَطرح: إذا نأت به ورمت به. ويقال فحل مِطرح: بعيد موقع الماء في الرَّحِم. ومن الباب نَخلة طَروح: طويلة العراجين. وسنام إطريح: طويل.

مصبا ـ طرحته طرحاً من باب نفع: رميت به، ومن هنا قيل يجوز أن يُعدّى بالباء، فيقال طرحت به لأنّ الفعل إذا تضمّن معنى فعل، جاز أن يعمل عمله. وطرحت الرداء على عاتقي: ألقيته عليه.

مفر ـ الطرح: إلقاء الشيء وإبعاده. والطَّروح: المكان البعيد، ورأيته من طرح أي بُعد. والطِّرح: المطروح.

التهذيب ٤ / ٣٨٢ ـ الليث: طرحت الشي أطرحهُ طرحاً. والطّرح: الشيء المطروح لا حاجة لأحد فيه. والطُّروح من البلاد البعيد. أبو عُبيد: الطَّرَح: البُعد.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو رمي يلاحظ فيه مطلق التبعيد عن نفسه ـ راجع الرامي.

وسبق فيه الفرق بينه وبين النبذ والإلقاء والقذف والطرح.

ويلاحظ في موارد استعمال المادّة: قيد التبعيد، ولا نظر فيها إلى كون الشيء منبوذاً أي متروكاً، ولا مَرميّاً أي في مورد سوء أو بنيّة سيّئة كما في الرّمي.

أُقتُلوا يوسفَ أو اطرَحوهُ أرْضاً يَخْلُ لكُم وجهُ أبيكُم... لا تَقتُلوا يوسفَ وألقوه في غَيابَتِ الجُبِّ ـ ١٢ / ١٠.

يلاحظ في الطرح تبعيد يوسف عن أنفسهم بحيث يخلو وجه يعقوب عن التوجّه والاشتغال به لهم. وفي الالقاء ايصاله إلى غيابت الجبّ.

فظهر لطف التعبير بالمادّة في المورد.

* * *

طرد:

مقا ـ طرد: أصل واحد صحيح يدلّ على إبعاد يقال طردته طرداً. وأطرده السلطان وطرّده: إذا أخرجه عن بلده. ومطاردة الأقران: حمل بعضهم على بعض، وقيل ذلك لأنّ هذا يطرد ذاك. والمِطرد: رمح صغير. ويقال لمحجّة الطريق مَطردة. ويقال إطَّرد الشيء اطِّراداً: إذا تابع بعضه بعضاً، كأنّ الأوّل يطرد الثاني. ومُطَّرَد النسيم: الأنف. وكلّ شيء امتدّ فهذا قياسه، يقال طَرِّد سوطَك: مَدِّده.

مصبا ـ طرده طرداً من باب قتل، والاسم الطَّرَد. ويقال في المُطاوع طردته فذهب، ولا يقال اطّرد ولا انطرد، إلّا في لغة رديئة، وهو طَريد ومطرود. وطردت الخلاف في المسألة طرداً: أجريته، كأنّه مأخوذ من المطاردة، وهي الاجراء للسِّباق. واطّرد الأمر اطِّراداً: اتّبع بعضه بعضاً، واطّرد الماء كذلك، واطّردت الأنهار جرت. ووقع لك على وجه الاستطراد، وهو الاجتذاب، لأنّك لم تذكره في موضعه بل مهّدت له موضعاً ذكرته فيه.

www.attaweel.com

مفر ـ الطّرد: هو الازعاج والابعاد على سبيل الاستخفاف.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو الدفع إلى بُعد في مورد المدافعة. والقيدان يميّزانها عن أخواتها من الطرح والرّمي والدفع والمنع والدرءِ وغيرها ـ راجع الدرء.

ولابدّ من ملاحظة القيدين في موارد استعمالها،وبالنظر إلى قيد التدافع: لا يصحّ أن تستعمل في مقام المطاوعة والقبول، لأنّه يخالف التدافع، فلا يقال طردته فانطرد أو اطّرد.

وأيضاً: المادّة تدلّ على التدافع، وهو المقابلة، ولايلاحظ فيه معنى الاستخفاف، وان استُفهم في بعض الموارد قهراً.

ولا تَطرُدِ الّذينَ يَدعون ربّهم ـ ٦ / ٥٢.

وما أنا بطاردِ الّذينَ آمَنوا ـ ١١ / ٢٩.

وما أنا بطاردِ المؤمنينَ إن أنا إلّا نذير مُبين ـ ٢٦ / ١١٦.

فطرد المؤمنين تبعيدهم عن مسيرهم الحقّ وعن التقرّب إلى الله تعالى وإلى رسوله الأكرم، مع علاقتهم وشوقهم، وهذا يوجب تحقّق التدافع في طريق الحقّ.

فالطّرد في خصوص المؤمنين والّذين يدعون إلى الله تعالى: ممنوع بأيٍّ عنوان كان، فإنّه سدّ عن سبيل تعالى، ولا سيّما من النّبيّ (ص) الّذي يبعث للدعوة وجلب النفوس إلى سبيل الحقّ.

نعم للنّبيّ (ص) أن ينهيهم عن المحرّمات ويزجرهم عن الانحرافات والشهوات ـ اُدعُ إلى سَبيلِ رَبِّكَ بالحِكْمةِ والموعظَةِ الحَسَنة.

www.attaweel.com

والآية الأُولى نهى عن طردهم في قِبال إظهار المشركين وقولهم بأن يطرد الفقراء من المسلمين، مع أنّ الغنى والفقر من الأُمور المادِّيّة، ولا ارتباط لهما بالايمان والروحانية والكمالات الحقيقية.

* * *

طرف :

مصبا ـ طرَفَ البصرُ طَرفاً من باب ضرب: تحرّك. وطرفُ العين: نظرها، ويُطلق على الواحد وغيره، لأنّه مصدر. وطرفتُ عينَه طرفاً من باب ضرب أيضاً: أصبتُها بشيء، فهي مطروفة. وطرفتُ البصرَ عنه: صرفته. والطَرَف: الناحية، والجمع أطراف. وطرّفت المرأة بناتها تطريفاً: خضبت أطراف أصابعها. والطّريف: المال المستحدث، وهو خلاف التليد. والمِطرَف: ثوب من خزّ له أعلام، وأطرفته إطرافاً: جعلت له في طرفيه علمين، فهو مُطرَف، وربّما جعل اسماً برأسه غير جارٍ على فعله، وكسرت الميم تشبيهاً بالآلة، والجمع مَطارف. وطرّفته: مثل أطرفته. والطُّرفة ما يُستطرف أي يُستملح، والجمع طُرَف. وطَرُفَ فهو طَريف.

مقا ـ طرف: أصلان، فالأوّل يدلّ على حدِّ الشيء وحَرفه، والثاني ـ يدلّ على حركة في بعض الأطراف. فالأوّل ـ طرف الشيء والثّوب والحائط، ويقال ناقة طَرِفة، ترعى أطراف المَرعى ولاتختلط بالنُّوق. وقولهم عين مَطروفة، من هذا، وذلك أن يصيبها طَرَف شيء ثوب أو غيره فتَغرورِق معاً، ويستعار ذلك حتّى يقال طَرَفها الحُزن. ومن الباب: الطَّوارِف من الخِباء، وهي ما رفعت من جوانبه لتَنظر. فأمّا قولهم جاء فلان بطارفة عين: فهو من الّذي ذكرناه في قولهم طُرِفت العينُ إذا أصابها طَرَف شيء فاغرورقت. ومن الباب قولهم للشيء المستَحدث: طَريف، فإنّه شيء أُفيد الآن في طَرَف زمان قد مضى، يقولون منه اطّرفتُ الشيء إذا استحدثته.

www.attaweel.com

والرّجل الطَّرِف: الّذي لا يثبت على امرأة ولا صاحب، وذلك القياس لأنّه يطلب الأطراف فالأطراف، والمرأة المطروفة: كذلك. والأصل الآخر ـ فالطَّرْف: وهو تحريك الجفون في النظر، ثمّ يسمّون العينَ: الطّرف مجازاً. فأمّا الطِّراف: فإنّه بيت من أدَم، وهو شاذّ.

الجمهرة ٢ / ٣٦٩ ـ والطّرف: طرف العين، وهو امتداد لَحظها حيث أدرك، طرَف يطرِف طرفاً، وطرفت عينَه: إذا ضربتها بيدك أو بشيء حتّى تدمع. والاسم الطّرفة. والطّرف للشيء: منتهى آخره. والطّريف والطّارِف: ما استطرفته من مال، أي استزدته إلى مالك وهو ضدّ التالد. والشيء طريف ومستطرف.

قع ـ (طِرِف) = خضَّ، هَزَّ، حَرّك.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو منتهى الشيء وآخر خطّ من الجسم أو آخر نقطة من الخط.

وقلنا في الشطر: إنّ الجنب هو ما يلي الشيء من غير انفصال. والشطر: ما يعمّ الجنب والطّرف.

ولا يبعد أن يكون مفهوم الحركة في الجفون وامتداد اللّحظ مأخوذاً من العبريّة ـ كما رأيت.

أو أنّ هذا المعنى أيضاً مأخوذ من الأصل في المادّة، باعتبار أنّ تحريك الجَفن واللّحظ إنّما يتحقّق في الجَفن وهو غطاء العين، وهو آخر عضو أو آخر خطّ من مراتب العين وطبقاتها.

www.attaweel.com

فيقال: طرَفَت تَطرِف طَرفاً العينُ: إذا صارت ذات طَرَف، وذلك تحرّك طَرَفها ويُنسَب العمل إلى طَرَفها. وطرفتُ البصَر عنه: إذا جعلتَ طرف الإبصار والرؤية منحرفاً عنه. وهكذا.

فمفهوم الطرفيّة ملحوظ في جميع موارد استعمالاتها، كالتطريف والخضاب في أطراف الأصابع. والطَريف في المال الجديد اللّاحق في منتهى الزمان السابق. والمُطرَف في الثوب له خطوط في أطرافه. والطَّرِفة للناقة الراعية في أطراف المَرعى.

وَأقِم الصّلاةَ طَرَفي النّهارِ وزُلَفاً مِنَ اللّيل ـ ١١ / ١١٤.

وَمِن آناء اللّيلِ فَسَبِّح وأطرافَ النّهار ـ ٢٠ / ١٣٠.

أوَلَم يَروا أنّا نأتِي الأرْضَ نَنقصُها من أطرافِها ـ ١٣ / ٤١.

أطراف النهار زمانيّة، وأطراف الأرض مكانيّة، والمراد من طرفي النهار: أوّل ساعة عرفيّة من طلوع النهار عرفاً، وآخر ساعة عرفيّة من آخره. والمراد من إقامة الصلاة: إقامة التحيّة والتعظيم والدعاء والتوجّه إلى الله تعالى، وهذا أعمّ من الصلاة الشرعيّة المفروضة، والخطاب للنّبيّ (ص)، والتكليف للإرشاد إلى وظائف العبوديّة والخشوع، وسورة هود مكّيّة، وقلنا في الصلاة إنّها مأخوذة من العبريّة بمعنى الثناء الجميل، واستُعملت في العربيّة أيضاً بهذا المعنى، ولا حاجة إلى القول فيها بالحقيقة الشرعيّة.

ويدلّ على هذا التفسير: التصريح في الآية الثانية ـ

فاصْبِر على ما يَقولونَ وسَبِّح بحمدِ ربِّكَ قبلَ طلوع الشّمسِ وقبلَ غُروبها ومن آناءِ اللّيلِ فَسبِّح وأطرافَ النّهار.

فالتسبيح من مصاديق الصلاة، والمراد من الزمان قبل طلوع الشمس هو الزمان

www.attaweel.com

بعد الفجر إلى طلوع الشمس وهو أوّل طرف من النهار تقريباً. وأمّا أطراف النهار: فالمراد طرفاه وزمان نصف النهار، فإنّ النهار أثر من سير الأرض وحركتها في نصف دائرتها، أو ما يتراءى من حركة الشمس في نصف دائرة، فتكون النقطتان من المشرق والمغرب والنقطة من الزوال وهي وسط التحدّب والخطّ وأوّل القوس النزوليّ: أطرافاً للنهار.

فمفهوم الأطراف من النهار مغاير لمفهوم قبل الطلوع والغروب، والآيتان تدلّان على مطلق إقامة التحيّة والتسبيح في هذه الأوقات بأيِّ عنوان تتحقّق، بخشوع، أو عبوديّة، أو إطاعة أمر واجب.

وأمّا النقص في أطراف الأرض: فكل ما يتظاهر في ظاهر الأرض من نبات أو ماء أو عمارة، ممّا به حياة الانسان وإدامة عيشه: فهو في معرض الزيادة والنقيصة، باختلاف الفصول وبالحوادث وبمرّ الدهور، وفيها عبرة للانسان ومحدوديّة حياته.

وعندَهُم قاصِراتُ الطّرفِ أتراب ـ ٣٨ / ٥٢.

وعندَهُم قاصِراتُ الطّرفِ عِين ـ ٣٧ / ٤٨.

فيهنّ قاصِراتُ الطّرفِ لم يَطمِثْهنّ انسٌ قبلهم ولا جانّ ـ ٥٥ / ٥٦.

مُقنِعي رُؤوسِهِم لا يَرتدّ إليهم طرفهُم ـ ١٤ / ٤٣.

أنا آتيكَ به قبلَ أن يرتدّ إليك طرفك ـ ٢٧ / ٤٠.

خاشِعينَ من الذُّلِّ يَنظرونَ من طَرفٍ خَفيّ ـ ٤٢ / ٤٥.

قصور الطّرف بقرينة ـ تشخصُ فيه الأبصار، في الآية الرابعة، وقوله ـ ينظرون ـ في السادسة، وقوله ـ يرتدّ ـ في الخامسة: يراد منه القصور في تحريك الأجفان والنظر، بأن لا يمتدّ نظرهنّ.

www.attaweel.com

والشخوص: هو الترفّع، ويقابله الارتداد والغضّ، وشخوص البصر يستعمل في مقام التحيّر والهول.

وقصور الطّرف: يستعمل في مقام محصوريّة النظر ومحدوديّة التوجّه في قِبال طوله وامتداده، وذلك بحصول الطمأنينة.

والنظر أعمّ من الإبصار الحسّي والتوجّه الباطني.

فالقاصرات طرفاً: من النفوس والأرواح والملائكة، الّذين هم في مقام الاطمينان والاخلاص الكامل بحيث لا يتوجّهون إلى غير الله العزيز المتعال، مستغرقون في حبّه والتوجّه إليه، وليس لهم نظر إلّا إليه ولا غرض إلّا وجهه الكريم.

فظهر أنّ القصور في الطّرف: عبارة عن الطمأنينة والأمن، ورفع حالة الاضطراب والتحيّر والتشوّش.

والشخوص فيه: عبارة عن الترفّع في النظر والتحيّر والاضطراب.

والطّرف الخفيّ: عبارة عن تحريك الجفن خفاءً وبدون إظهار، وهذا النحو من النظر إنّما يتحقّق في مقام الوحشة والرّعب.

والتعبير بالقاصرات بالتأنيث واللّزوم: فإنّ المراد هو النفوس ومن الملكوت. وأنّ هذه الصفة صارت ملكة ثابتة فيهنّ.

والتعبير بالطّرف دون النظر والإبصار والرؤية: فإنّ القصور والارتداد والخفاء تناسب الطّرف وهو تحريك الجفن.

* * *

طرق:

مقا ـ طرق: أربعة أصول: أحدها ـ الإتيان مساءً. والثاني ـ الضّرب. والثالث ـ

www.attaweel.com

استرخاء الشيء. والرابع خصف شيء على شيء. فالأوّل ـ الطُّروق، ويقال إنّه إتيان المنزل ليلاً، قالوا ورجل طُرَقة إذا كان يسري حتّى يطرق أهله ليلاً. وذكر أنّ ذلك يدلّ بالنهار أيضاً، والأصل اللّـيل. والدليل على أنّ الأصل اللّـيل: تسميتهم النجم طارقاً، لأنّه يطلع ليلاً، قالوا: وكلّ مَن أتى ليلاً فقد طرَق. ومن الباب: الطّريق، لأنّه يُتورّد، ويجوز أن يكون من أصل آخر، من خصـف الشيء فوق الشيء. والأصل الثاني ـ الضّرب، يقال طرَق يطرُق طَرقاً، والشيء مِطرق ومِطرقة، ومنه الطَّرق وهو الضّرب بالحَصى تكهّناً. والطّرق: ضرب الصوف بالقضيب، وذلك القضـيب مِطرقة، ويقال طرَق الفحل الناقة: إذا ضربها. والأصل الثالث ـ استرخاء الشيء، من ذلك الطَّرَق، وهو لين في ريش الطائر. والأصل الرابع ـ خصف شيء على شيء، يقال نعل مطارَقة أي مَخصوفة، وكلّ خَصفة طِراق، وتُرس مُطرّق إذا طورِق بجلد على قدره، ومن هذا الباب الطِّرق وهو الشّحم والقوّة، لأنّه شيء كأنّه خُصف به. ومن الباب الطريق، وذلك أنّه شيء يعلو الأرض، فكأنّها قد طورقت وخُصفت به، وتطارقت الإبل إذا جاءت يتبع بعضها بعضاً، وكذلك الطريق وهو النخل الّذي على صفٍّ واحد كأنّه شُبِّه بالطريق في تتابعه وعلوّه الأرض.

مصبا ـ طرقتُ البابَ طرقاً من باب قتل، وطرقتُ الحديدةَ مددتها، وطرّقتها بالتثقيل مبالغة، وطرقت الطريق: سلكته، وطرق الفحلُ الناقة: ضربها، فهي طَروقة بمعنى فعولة. وطَرق النجم: طلع. وكلّ ما أتى ليلاً فقد طرق فهو طارق. والمِطرقة: ما يُطرَق به الحديد، والطريق يُذكر في لغة نجد، ويؤنّث في لغة الحجاز، والجمع طُرُق، وجمع الطُّرُق طُرُقات. واستطرقتُ إلى الباب: سلكتُ طريقاً إليه. وطرّقت التُّرس: خصفته على جلد آخر.

الاشتقاق ٤٧٠ ـ طارق: فاعل من طرقته أطرُقه ليلاً. والطَّرق أيضاً: فـعل

www.attaweel.com

الكاهنة تَطرق الحَصى، وطَرْق الصّوف وغيره بالمِطرقة. وجِئتك طُرقَةً أو طُرقتين: مرّة أو مرّتين. وطارَق بين دِرعين، مثل ظاهَر سَواء: إذا لبسهما. ورجل به طِـرِّيقة ورجل مَطروق: الّذي به استرخاء وبَلَه.

مفر ـ الطريق: السّبيل الّذي يُطرق بالأرجل، أي يُضرب، وعنه استُعير كلّ مسلك يسلكه الانسان في فعل محموداً كان أو مذموماً. والطّرق في الأصل كالضّرب إلّا أنّه أخصّ، لأنّه ضربُ توقّع.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ضرب وتثبيت على حالة وكيفيّة مخصوصة، فهو قريب من الطّبع والطّبق والطّحى والطّرح، وفي كلٍّ منها خصوصيّة وامتياز.

فيلاحظ في الطّبع مطلق الضّرب والتثبيت. وفي الطّرق: التثبيت على كيفـيّة مخصوصة.

فمن مصاديق الأصل: الطريق إذا لوحظ فيه تقديره وتنظيمه على خصوصيّة معيّنة. وضرب الصوف حتّى يجعل على لينة وانبساط. وطرق الفحل على الناقة إذا طرح عليها توليداً، وهكذا.

فمفاهيم مطلق الضّرب، والطّلوع، والخصف، والسّبيل: ليست من الأصل إلّا مجازاً، فلا بدّ من لحاظ القيدين.

فهذا التقدير والتثبيت في خصوصيّة إمّا في سبيل: كما في:

إلّا طريقَ جهنَّم خالدينَ فيها أبداً ـ ٤ / ١٦٩.

يَهدي إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مُستقيم ـ ٤٦ / ٣٠.

www.attaweel.com

إنّ الّذينَ كفَرُوا وظلَموا لم يكنِ اللهُ لِيَغفِرَ لَهُم ولا لِيَهديهم طريقا ـ ٤ / ١٦٨.

أن أسرِ بعبادي فاضرِب لهُم طريقاً في البحرِ يَبَسا ـ ٢٠ / ٧٧.

الأخيرة في الطريق المادّيّ، والسوابق في المعنويّ.

فهذه الطّرق لا يُراد منها مطلق السبيل الموصل إلى مطلوب، بل أنّ التعبير بهذه المادّة إشارة إلى كونها مقدّرة ومثبّتة على خصوصيّة مخصوصة مناسبة مربوطة، كما في الطّريق الخاصّ المقدّر المجعول في البحر لعبور موسى وأصحابه. وهكذا الطّريق المقدّر الّذي هو على كيفيّات مرتبطة مناسبة بجهنّم أو الحقّ أو الطريق المستقيم.

فكلّ من الطريقين يحتاج إلى طرق وتثبيت على خصوصيّة مناسبة، فطريقُ جَهنّم يحتاج إلى طرق وضرب في جانب البدن وقواه المادّيّة. وطريق الحقّ يحتاج إلى طرق في جانب الرّوح وقواه الرّوحانيّة، وأخذ برنامج مخصوص من هذه الحيثية.

وإمّا أن يكون هذا الطّرق في موضوع طبيعيّ خارجيّ لا من جهة كونه سبيلاً، بل من حيث هو: كما في:

ولَقد خَلَقنا فوقَكُم سبعَ طَرائِقَ وماكُنّا عن الخَلْقِ غافِلين ـ ٢٣ / ١٧.

إشارة إلى سبع منظومات في السماوات، مثبّتة ومقدّرة على نظم مخصوص وخصوصيّات معيّنة.

وإمّا أن يكون الطّرق من موضوع خارجيّ: كما في:

والسّماءِ والطّارقِ وما أدراكَ ما الطّارقُ النّجمُ الثّاقِب ـ ٨٦ / ٢.

إشارة إلى الشّمس في كلِّ منظومة، وهي الّتي ضياؤها ذاتيّة، وهي توجد حرارة ونوراً في منظومتها، وتُثبِت نظماً وحركة وكيفيّة خاصّة محدودة في كلِّ واحد من سيّاراتها وأقمارها.

www.attaweel.com

وإن أريد من السماء: السماء الرّوحانيّ، فيكون المراد من الطّارق هـو النـفس الرّوحانيّ المطمئنّ النورانيّ الكامل.

وإمّا أن يكون الطّرق في التشريع من برنامج أخلاقيّ أو عمليّ: كما في:

وأن لَو استَقامُوا على الطّريقةِ لأسقيناهُم ـ ٧٢ / ١٦.

إذ يقول أمثلُهم طريقةً إن لبثتُم إلّا يوماً ـ ٢٠ / ١٠٤.

بِسحْرهما ويذهْبا بطريقتكُم المُثلى ـ ٢٠ / ٦٣.

فالمُراد من الطّريقة ما يُتّخذ من برنامج معتدل صحيح منظّم في الحياة الجسمانيّة والروحانيّة، يعمل به.

والطريقة المُثلى، والأمثل طريقة: ما تكون أقرب إلى الاعتدال وأعدل بالنسبة إلى الطُّرق الأخرى، وكذا صاحبها.

وإمّا أن يفرض الطّرق في الخلق والتكوين: كما في:

وأنّا مِنّا الصّالِحونَ ومِنّا دونَ ذلكَ كنّا طَرائِقَ قِدَدا ـ ٧٢ / ١١.

يُراد اختلاف أنواعهم وتفرّقهم وامتيازهم من جهة الصِّفات الذاتيّة وخصوصيّات الخلق والتـقدير، ويوجب هذا الاخـتلاف الباطني اختلافاً في الأطـوار والأحـوال الظاهريّة.

فالطّرائق في السلوك والأعمال: أنّما تختلف وتتنوّع باختلاف الطّرائق في الأخلاق والصِّفات الباطنيّة، وهي أيضاً تختلف بمقتضى اختلاف في خصوصيات الخلق ومراتب التقدير.

فظهر أنّ الطّريقة: ما يتّصف بكونه مطروقاً وما يكون فيه الطّرق، وليس بمعنى السّبيل، وإنّما السّبيل المطروق من مصاديقها.

وبهذا الأصل الحقّ تنكشف حقائق التعبيرات المختلفة والإطلاقات المتفرِّقة في آيات القرآن الكريم، ولا نحتاج إلى تجوّز.

* * *

طرى :

مقا ـ طرى: أصل صحيح يدلّ على غضاضة وجِدّة. فالطَّريّ: الشيء الغضّ. ومصدره الطراوة والطراءة. ومنه أطريت فلاناً، وذلك إذا مدحته بأحسن ما فيه.

مصبا ـ طَرُوَ الشيءُ وزانَ قرب، فهو طريّ أي غضّ بيِّن الطّراوة. وطَرِئ وزان تعبَ لغة، فهو طرئ بيِّن الطراءة.

لسا ـ طَرا طُروّاً: أتى من مكانٍ بعيد. وقالوا: الطَّرا والثَّرى، فالطَّرا: كلّ ما كان عليه من غير جِبِلّة الأرض. وشيء طَرِيّ، أي غضّ بيِّن الطّراوة. وقال قُطرُب: طَرُو اللّحم وطَرِيَ ولحم طَرِيّ، غير مهموز. وأطرى الرّجلَ: أحسنَ الثناء عليه. والطَّرِيّ: الغريب. وطَرَى إذا أتى. وطَرَى إذا مضى. وطرى إذا تجدّد. وطَرِيَ يَطرَى: إذا أقبَل.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو التجدّد مع الغضاضة واللِّينة. وبهذا اللّحاظ تُطلق على المتجدِّد الغضّ، أو الغضّ المتجدِّد، ومَن يأتي من مكان بعيد وهو في هذا المورد متجدِّد، واللّحم الجديد اللّيِّن، وما يظهر أو ينبت على وجه الأرض، والغريب الّذي يظهر في البلد ويأتي من بلدٍ آخر، وهكذا.

فالقيدان (التجدّد، والغضاضة) مأخوذان في الأصل، والغضاضة عبارة عن

www.attaweel.com

الانخفاض كيفاً، واللِّينة نوع انخفاض.

فالإطراء: هو الثناء البالغ، وهو جعل الشيء طريّاً.

وهوَ الّذي سَخّرَ البحرَ لتأكُلوا مِنهُ لحماً طَرِيّاً ـ ١٦ / ١٤.

وهذا مِلحٌ أُجاجٌ ومِن كلٍّ تأكلونَ لحماً طَرِيّاً ـ ٣٥ / ١٣.

أي اللّحم الجديد الغضّ مباحاً لكم من دون أن تؤدّوا ثمناً.

فالبحر ذخيرة للماء اللّازم في الحياة ـ ومن الماء كلّ شيءٍ حيّ، وذخيرة أيضاً لغذاء الانسان في إدامة حياته ـ وهو اللّحم الطّريّ. مضافاً إلى منافع أُخَر ـ وحِلية تلبَسونها.

* * *

طس وطسم:

قلنا في ـ آلر، آلم، آلمص: ما يرتبط ويتعلّق بالحروف المقطّعة في أوائل السور.

والرّمز الأوّل في سورة النمل، والثاني في الشُّعراء والقَصص.

وحرفا الطاء والسين: موجودتان في كلٍّ منها، فالسُّوَر الثلاث تشترك في البحث عن موضوعات ترتبط بهاتين الحرفين.

ففي النمل: الطّاء يُشير إلى البحث عن موضوع طير إبراهيم، وارتداد الطّرف لعفريت من الجنّ، والطّائر والتطّير.

والسِّين: إشارة إلى البحث عن موضوع السّوء والسيِّئة، وعن السّير، وعن جريان أمر سليمان، وعن بلدة سبأ.

وفي القصص: الطّاء يشير إلى البحث عن جبل الطّور، وعن العمارة بالطِّين، وعن الاطِّلاع إلى إله موسى، وعن تطاول العمر.

www.attaweel.com

والسِّين: إشارة إلى البحث عن موضوع السّوءِ والسيِّئة، والسّقي في ماء مدين، والسؤال، والسّكنى، والسِّحر.

والميم: إشارة إلى البحث عن جريان أمر موسى، وماء مَدين، وامرأة فرعون، وامرأتين تَسقيان، والمتاع، والتمكين.

وفي الشّعراء: الطّاء يشير إلى الطّعام والإطعام، والطّمع، والمال، والإطاعة لله، والطّرد.

والسِّين: إشارة إلى جريان أمور السّحرَة، والسِّلم، والسّوء والسيِّئة، والسّرف.

والميم: إشارة إلى موسى، والمدائن، والمطر، والمتاع.

وهنا وجه آخر: وهو الاشارة إلى موضوع بعدد تلك الحروف، فإنّ طَسّ، يُقرأ ملفوظاً على ـ طاسين، ويوضع المدّ عليهما، فعدد هذه الحروف الخمسة يوافق ١٣٠، وهذا العدد من مبدأ البعثة يوافق ١١٧ سنة، بكسر ١٣ سنة، فيما بين البعثة والهجرة.

ويطابق العدد سنة ابتداء إمامة الامام السادس، وبه يظهر الوسع والحرِّيّة ونشر العلوم وبيان الحقائق، ويؤيِّد هذا المعنى ما يبتدء به سورة النمل:

تلكَ آياتُ القرآن وكتابٍ مُبين هُدى وبُشرى للمؤمنين.

وأمّا طَسَمّ في سورة الشُّعراء والقَصَص: فعددها [طا سين ميم] يوافق / ٢٢٠، وهذا يطابق سنة ٢٠٧ من البعثة، ومن هذا الزمان يظهر استيلاء بني عبّاس على مَنْ خالفهم، وإظهارهم العداوة والبغض في أهل البيت، وتوغّلهم في الدّنيا والسّلطنة، وعلى هذا ترى انتقال الامام الجواد محمّد بن عليّ الرِّضا (ع) من بغداد إلى المدينة، لما شاهد من المأمون (وهو أبو زوجته أمّ الفضل) من سوء النيّة والعمل.

www.attaweel.com

وقد اشتدّ هذا البغض وسوء النيّة في حقِّ أهل البيت الأطهار من جانب الخلفاء العبّاسيِّين، إلى أن وقعت الغيبة من الامام الثاني عشر (ع).

ويؤيِّد هذا المعنى ما يبتدء في السورتين الشعراء والقصص.

ففي الشعراء:

تلكَ آيات الكتابِ المُبين لعلّكَ باخِع نفسَك ألّا يكونوا مؤمنين إن نَشأ نُنزِّل عليهِم مِنَ السّماءِ آية فظلّت أعناقُهم لها خاضِعين.

وفي القصص:

تلكَ آياتُ الكتابِ المُبين نَتلو عَليْكَ مِن نَبأ موسىٰ وفِرْعَونَ بالحَقِّ لِقومٍ يُؤمنون إنّ فِرْعَونَ عَلا في الأرْض.

ووجه آخر في هذه الرموز: وهو حساب الحروف على الترتيب الطبيعي من دائرة أبجد، فيكون طس (ط = ٩، س = ١٥)، معادلاً عدد ٢٤، وهو يوافق السنة ١١ من بعد البعثة، ومن هذا الزمان يبتدء بظهور آثار الاسلام وإقبال الناس إليه.

ولمّا أُضيف إليه عدد ١٣ = م، ويوافق السنة بعد الرحلة، فيواجه المسلمون بالاختلاف وظهور الارتداد، والبغض على آل الرسول (ص).

وهذا الوجه أيضاً يناسب الآيات الكريمة في السّور المذكورة.

* * *

طعم:

مقا ـ طعم: أصل مطّرد منقاس في تذوّق الشيء، يقال طَعِمت الشيء طَعماً، والطّعام هو المأكول، وكان بعض أهل اللّغة يقول الطعام هو البُرّ خاصّة. ثمّ يحمل

www.attaweel.com

على باب الطعام استعارة ما ليس من باب التذوّق، فيُقال استطعمني فلان الحديث إذا أرادك على أن تحدِّثه. والإطعام يقع في كلِّ ما يطعم حتّى الماء ـ ومَن لم يَطعمه فإنّه منِّي. ويقال رجل طاعِم: حسن الحال في المَطعم. وتقول هو مُطعَم إذا كان مَرزوقاً. والطُّعمة: المأكلة ـ وجعلت هذه الضّيعة لفلان طُعمة. ويقال للنخلة إذا أدرك ثمرُها: قد أطعمت، والتطعّم: التذوّق. ويقال شاة طَعوم: إذا كان فيها بعض السِّمن.

مصبا ـ طعِمته أطعَمُه طَعماً من باب تَعِب، ويقع على كلِّ ما يُساغ حتّى الماء، وذوق الشيء. والطُّعم: الطّعام. وفي التهذيب: الطُّعم: الحَبّ الّذي يُلق للطّير، وإذا أطلق أهل الحجاز لفظ الطعام عنوا به البُرّ خاصّة. وفي العرف: الطّعام إسم لما يؤكَل مثل الشّراب إسم لما يُشرَب، وجمعه أطعِمَة. وأطعمتُه فطعِم. واستطعمته: سألته أن يُطعمني. واستطعمتُ الطّعام: ذقته لأعرف طعمَه، وتطعّمته كذلك. والطُّعْمة: الذّوق، يقال طعمه حلو أو حامض. وتغيّر طعمه إذا خرج عن وصفه الخَلقي. والطُّعم: ما يشتهى من الطّعام.

الاشتقاق ٨٨ ـ طعِمتُ أنا أطعم طُعماً: إذا أكلت. ويقولون: فلان خبيث الطُّعمة أي خبيث المكسب. والطُّعم والطّعام إسم للمأكول، ويقول للرّجل تطَعّم تُطْعَم، أي ذُق تَشتَهِ. والمَطعم: من الطّعام كلّه. ورجل مِطعام: يُطعِم النّاس. وناقة مُطعّم وطَعوم: إذا كان فيها أدنى سِمَن. ومُطعِمة الطّير الجارح: إصبعُه الّتي يأكل بها.

التهذيب ٢ / ١٨٩ ـ قال الليث: طَعم كلّ شيء: ذوقه، والطّعم: الأكل بالثنايا، وتقول إنّ فلاناً حسن المَطعم، وإنّه ليَطعم طعماً حسناً.

قع ـ (طاعَم) ذاق، تذوّق، أكل، شرب.

* * *

www.attaweel.com

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو أكل شيء أو شربه مع اشتهاء وذوق، قليلاً كان أو كثيراً. وهذا هو الفـارق بينها وبين الأكل والذّوق والشّرب: فإنّ الأكل هو تناول شيء بإزالة الصـورة منه بالمـضغ سـواء كان بـذوقٍ أم لا. والشّرب يختصّ بالمائعات. والذّوق إحساس شيء من خصوصيّات شيء بالذائقة أو بالحاسّة الباطنة.

فالأكل أعمّ من أن يكون في مطعوم وبالمضغ الحيواني أو في غير مطعوم وبغير المضغ المتداول، فيقال ـ أن يأكل لحمَ أخيه، ما يأكلونَ في بطونهم إلّا النّارَ، وأكلت النارُ الحطَب.

ويُعتبر في الطّعم القيدان: الأكل في الجملة والتذوّق، فالتذوّق إذا لم ينضمّ إلى الأكل لا يُقال أنّه طَعِمَ.

فإطلاق المادّة في مفاهيم ـ الأكل المطلق، والذّوق المطلق، ومـطلق الشّرب: مجاز، كإطلاقها في مطلق الحَبّ والبُرّ.

ثمّ إنّ المادّة قد أطلقت في القرآن الكريم: على الطّعام ممّا وراء المادّة في عوالم الآخرة ـ ولا طعامٌ إلّا مِن غِسْلين، إنّ شجرةَ الزقّوم طعامُ الأثيم.

ليسَ لهُم طَعامٌ إلّا مِن ضَريع ـ ٨٨ / ٦.

فتشمل المادّةُ على ما يكون مادّيّاً وعلى ما ورائه.

وسبقَ في السّقي: إنّه في مقابل الإطعام، كما أنّ الشّرب في مقابل الأكل:

والّذي هو يُطعِمُني ويَسقينِ ـ ٢٦ / ٧٩.

كُلُوا واَشْرَبوا مِن رِزْقِ الله ـ ٢ / ٦٠.

www.attaweel.com

وممّا يدلّ على أنّ الطّعم غير الأكل، قوله تعالى:

وأنهارٌ مِن لَبَنٍ لَمْ يَتَغيّر طَعمُه ـ ٤٧ / ١٥.

وقولهم استطعمتُه: ذقته لأعرف طَعْمه.

وممّا يدلّ على أنّه ليس بتذوّق صِرف، قوله تعالى:

الّذي أطعَمَهُم مِنْ جُوعٍ، وأطْعِمُوا البائِسَ الفَقيرَ، يَأكلانِ الطّعام.

وبهذا يظهر أنّ الأكل في الآيات الكريمة إنّما استعمل في موارد يُراد فيها مطلق مضغ شيء ومحو صورته في الفم في مورد التغذِّي. وهذا بخلاف الطّعم: فيستعمل في موارد يُراد فيها الأكل مع التذوّق.

وما أرسلنا قبلَكَ مِنَ المُرسَلين إلّا أنّهم لَيأكُلونَ الطّعام ـ ٢٥ / ٢٠.

ما لِهذا الرّسولِ يأكلُ الطّعامَ ويَمشي في الأسواق ـ ٢٥ / ٧.

وما جَعَلناهُم جَسَداً لا يأكُلونَ الطّعام ـ ٢١ / ٨.

فاطِرِ السّمٰواتِ والأرضِ وهُو يُطعِمُ ولا يُطعَم ـ ٦ / ١٦.

فإنّ الأنبياء والمرسلين إلى الانس لدعوتهم لابدّ وأن يكونوا من سنخ الإنس حتّى يستأنسوا، ولا يُعقل أن يكونوا أجساداً بلا أرواح لا حياة فيها حتّى يستغنوا عن التغذِّي، ولا أن يكونوا من سنخ عالم الروح والمجرّد عن المادّة، فإنّه حينئذ لايُحتاج إلى إرسال الرّسل والبعث إلى الناس لدعوتهم، لعدم حصول الأُنس والارتباط فيما بينهم حينئذ في الظاهر. وإن كان الارتباط الروحاني كافياً: فإنّ الله تعالى هو المحيط البصير الحكيم السميع، ولا حاجة إلى رسولٍ غيره، وإنّما يبعث الرّسل ليكونوا مستأنسين بهم ومؤتلفين ـ

ولو جَعَلناهُ مَلَكاً لَجَعلناهُ رَجُلاً ولَلَبسْنا عليه ما يَلبِسون ـ ٦ / ٩.

وإنّما الفرق بين الأنبياء وغيرهم: أنّ الأنبياء وأولياءهم إنّما يَطعمون لتقوية جانب الرّوح ولإدامة الحياة الروحانيّة، وأمّا الآخرون فإنّهم يطعمون لتقوية الأبدان ونظراً إلى تحصيل الشهوات المادّيّة، فالأنبياء ومَن تبعهم لا يزيدون من تناول الطّعام إلّا روحانيّة ونوراً، وأهل الدّنيا والمتمايلون إلى الشّهوات لا يزيدهم إلّا حجاباً وظلمة.

وعلى هذا ترى الأنبياء ينفقون طعامهم إذا رأوا فيه نوراً أزيد، وأمّا المتوغّلون في الدّنيا: فلا يرون الإنفاق إلّا خساراً:

ويُطْعِمونَ الطّعامَ على حُبِّهِ مِسكيناً ويتيماً وأسيراً إنّما نُطعِمُكُم لوَجْهِ اللهِ لا نُريدُ مِنكُم جَزاءً ولا شُكوراً ـ ٧٦ / ٨.

ولا يَحُضُّ على طَعامِ المِسكين ـ ٦٩ / ٣٤.

أنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشاءُ اللهُ أطعَمَهُ إن أنتُم إلّا في ضَلالٍ مُبين ـ ٣٦ / ٤٧.

نعم إذا لم يكن للإنسان نور ولا تمايل إلى تحصيل نور وروحانيّة: فإنّما ينظر إلى الدّنيا ومشتهياتها بنظرة مستقلّة مقصودة في ذاتها وبذاتها.

وأمّا قولهم ـ لو يَشاء اللهُ أطعمَه: فإنّما هو مغالطة وضلال عن الحقِّ، فإنّ الإطعام منشأه التوجّه إلى الروحانيّة والنور، والانصراف عن الطبيعة ومشتهياتها، وهذا العمل إنّما هو لإصلاح نفسه وتكميله وجلب الخير له، وأمّا مشيّة الله وعدمها: فلا ربطَ لها في هذا الموضوع.

* * *

طعن:

مصبا ـ طعنَه بالرُّمح طَعناً من باب قتل. وطعن في المفازة: ذهب. وطعن في السِّنّ: كبُر. وطعن الغصنُ في الدار: مالَ إليها معترضاً فيها. قال الزمخشريّ: طعنت

www.attaweel.com

في أمر كذا، وكلّ ما أخذت فيه ودخلت فقد طعنت فيه. وعلى هذا فقولهم طعنت المرأة في الحيضة، فيه حذف، والتقدير طعنت في أيّام الحيضة، أي دخلت فيها. وطعنتُ فيه بالقول، وطعنتُ عليه من باب قتل أيضاً، ومن باب نفع لغة، قدحتُ وعِبتُ، طـعناً وطعناناً، وهو طاعِن وطَعّان في أعراض الناس. والمَطعن: يكون مصدراً ويكون موضع طعن. والطاعون: الموت من الوباء.

مقا ـ طعن: أصل صحيح مطّرد، وهو النخس في الشيء بما يُنفذه، ثمّ يحمل عليه ويستعار، من ذلك الطّعن بالرّمح، ويقال تطاعن القوم واطّعنوا. ورجل طَعّان في أعراض الناس.

لسا ـ طعنَه بالرّمح يطعُنُه ويطعَنه، فهو مَطعون وطَعين، من قوم طُعن، ورجل مِطعن ومِطعان: كثير الطّعن للعدوّ، وهم مَطاعين، ورجل طِعِّين: حاذق بالطِّعان في الحرب، وطعنه بلسانه وطعن عليه طعناً وطعناناً: ثلبه على المَثَل.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو ضرب نقطة من شيء أو على شيء بقصد الإنفاذ فيه والإضرار سواء كان مادّياً أو معنويّاً. فيقال طعنت زيداً بالرمح، وطعنت عليه بالقول واللسان.

وهكذا الطعن في المفازة: وهو النفوذ والدخول في محيطها إذا كان على خلاف العرف. وطعن الغصن في البيت: إذا كان من غير توقّع. والطعن في أيّام الحيضة من غير انتظار. وطعن المرض النافذ.

فلابدّ من ملاحظة القيود المذكورة، وإلّا فيكون مجازاً.

واسمَعْ غيرَ مُسمَع وراعِنا ليّاً بألسنَتِهم وطَعناً في الدّين ـ ٤ / ٤٦.

وإن نكثوا أيمانَهم من بعد عهدهم وطعَنوا في دينكُم فقاتِلوا أئمّةَ الكُفر ـ ٩ / ١٢.

يراد إنفاذ ضرر ونقيصة في الدين، وهذا أمر معنويّ، فإنّ مقصدهم الاستهزاء والتقبيح والتكذيب والتعييب.

وهذا العمل بأيّ عنوان كان إذا انتهى إلى تقبيح الدين وتنقيصه وتعييبه والاعتراض في أحكامه وآرائه: فهو ينتهي إلى الكفر عن غير شعور.

وهذا المعنى متداول فيما بين أهل النفاق والّذين لم يتثبتوا في الإيمان بالله ورسوله ودينه، وهم في ريب ممّا يقولون.

يُرضونَكُم بأفواههم وتأبى قلوبُهم وأكثرُهم فاسِقون.

فليحذر المتديّن أن يطعن في شيء منتسب إلى الله ورسوله ودينه، إذا كان طعنه منتهياً إلى طعن دين الله عزّ وجلّ:

وذَرِ الَّذينَ اتَّخذوا دينَهم لَعِباً ولَهواً وغرّتهم الحياةُ الدُّنيا.

* * *

طغى:

مقا ـ طغى: أصل صحيح منقاس، وهو مجاوزة الحدّ في العصيان، يقال هو طاغ، وطغى السيلُ، إذا جاء بماء كثير ـ لمّا طغى الماء ـ يُريد خروجَه عن المقدار. وطغى البحر: هاجت أمواجُه. وطغى الدم: تبيّغ. قال الخليل: الطُّغيان، والطُّغوان لغة، والفعل منه طغيت وطغوت. وممّا شذّ عن هذا الأصل أنّ الطَّغية: الصفاة الملساء.

مصبا ـ طغا طَغواً من باب قال، وطغى من باب تعِب ومن باب نفع: لغة أيضاً،

فيقال طغيت. والطاغوت: تاؤها زائدة وهي مشتقّة من طغا، والطاغوت يذكّر ويؤنّث، والإسم الطغيان، وهو مجاوزة الحدّ، وكلّ شيء جاوز المقدار والحدّ في العصيان: فهو طاغ، وأطغيته جعلته طاغياً. وطغى السيل: إرتفع حتّى جاوز الحدّ في الكثرة.

التهذيب ٨ / ١٦٧ ـ قال الليث: الطغيان، والطُّغوان لغة فيه، والفعل طغَوتُ وطغيت، والإسم الطَّغوى، وكلّ شيء جاوز القدر: فقد طغا، كما طغا الماء على قوم نوح، وكما طغت الصيحة على ثمود، والريح على قوم عاد. وتقول سمعت طَغى فلان: أي صوته. قال الليث: الطاغية: الجبّار العنيد، وقال ابن شُميل: الطاغية الأحمق المستكبر الظالم. ومعنى ـ أُهلِكوا بالطّاغية ـ أي بطغيانهم.

صحا ـ طغَى يطغَى ويطغو: جاوز حدَّه بالعصيان، وأطغاه المال: جعله طاغياً. والطَّغية: أعلى الجبل، وكلّ مكان مرتفع طَغوة. والطاغوت: الكاهن والشيطان وكلّ رأس في الضلال. قد يكون واحداً وجمعاً، وطاغوت وإن كان على وزن لاهوت فهو مقلوب لأنّه من طغى، ولاهوت غير مقلوب لأنّه من لاهٍ بمنزلة الرغبوت.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الارتفاع والتجاوز عن الحدّ المتعارف، مادّياً أو معنويّاً.

وبهذه المناسبة تطلق الطَّغية والطَّغوة على رأس الجبل، وعلى مكان مرتفع، للتجاوز والاعتلاء عن الاعتدال والنظم.

فالارتفاع الخارج عن حدّ النظم والاعتدال: هو المناط.

فالطغيان إمّا في الموضوعات الخارجيّة: كما في:

إنّا لمّا طَغَا الماءُ حملناكُم في الجارية ـ ٦٩ / ١١.

أو في النفس بأيّ سبب كان: كما في:

كلّا إنَّ الإنسانَ لَيَطغى أن رآهُ استَغنى ـ ٩٦ / ٦.

إذهَب إلى فرعونَ إنَّهُ طَغى ـ ٢٠ / ٢٤.

ففي الأُولى بواسطة الاستغناء. وفي الثانية بالقدرة والتسلّط.

وإمّا في الضلال والانحراف والجهل: كما في:

ربَّنا ما أطغيتهُ ولكن كانَ في ضَلال بَعيد ـ ٥٠ / ٢٧.

يشير إلى أنّ طغيانه كان في مورد الضلال، فهو طغى في الضلال والانحراف عن الحق:

مَن يُضلِلِ الله فَلا هاديَ له ويَذرُهم في طُغيانهم يَعمهون ـ ٧ / ١٨٦.

ولا يخفى أنّ المعنى الجامع في منشأ الطغيان هو الاستغناء: وهو يتصوّر على أنحاء، فكلّما كان الاستغناء في سعة يكون الطغيان شديداً.

والاستغناء إمّا في جهة المال والثروة، وإمّا من جهة العنوان والمقام والشخصيّة، وإمّا من جهة القدرة والنفوذ والسلطنة، وإمّا أن يكون بلحاظ الجهل والغفلة والمحجوبيّة عن الجلال والعظمة الإلٰهيّة وعجز ذاته الفقيرة، وغيرها من الأسباب والعلل الموجبة للطغيان.

ثمّ إنّ الطغيان كما أنّه يتصوّر في أن يكون في نفس الضلال والجهل، بأن يشتدّ الضلال أو الجهل بحيث يعتلي ويرتفع على الحقّ والعلم حتّى يتحصّل الطغيان فيه: كذلك يتصوّر بأن يكون سبباً للطغيان المطلق.

فيكون الاستغناء في هذه الصورة على تصوّر الطاغي وتخيّله الباطل، وجهله

www.attaweel.com

التامّ، وإن كان الضلال أو الجهل موجوداً في جميع الصور في الجملة.

كما أنّ التمايل إلى الحياة الدنيا من آثار الطغيان المطلق: فإنّ النفس إذا ارتفع وتجاوز عن حدّه المعروف، فقد يتحصّل له الخروج عن الاعتدال ويتحقّق له الانكسار والانحطاط والمحروميّة عن عالم النور والمعرفة، فيتمايل إلى عالم الدنيا والظلمة:

فأمّا مَن طَغَى وآثرَ الحياةَ الدُّنيا فإنَّ الجَحيمَ هيَ المأوى ـ ٧٩ / ٣٧.

هذا وإنَّ لِلطّاغين لَشرَّ مآب ـ ٣٨ / ٥٥.

فأمّا ثمودُ فأُهْلِكُوا بالطّاغِيةِ وأمّا عادٌ فأُهْلِكُوا بريحٍ صَرْصَرٍ عاتِية ـ ٦٩ / ٥.

الطاغية إسم فاعل كالعاتية، والمراد ذكر وسيلة الهلاكة كما في الريح الصرصر، والطاغية الّتي تطغى من صيحة أو رجفة أو بليّة أخرى. وأمّا سبب الهلاكة فهو التكذيب الّذي ذكر قبلها ـ كذَّبت ثمودُ وعادٌ بالقارعة.

ولا يبعد أن تكون في ذكر الطاغية إشارة أيضاً إلى نفوسهم الطاغية وصفة الطغوى فيهم، فتكون الطاغية أعمّ من الوسيلة والسبب.

وقد جُمعت الصفتان في آية ١٢ / من سورة الشمس:

كذَّبت ثمودُ بطَغواها إذ انبَعَثَ أشقاها.

فأشار تعالى إلى التكذيب الحاصل من الطغوى المتحصّل في النفس.

وقلنا إنّ الطغيان يوجب الانحطاط وسقوط الإنسان عن عالم النور والروحانيّة إلى الدنيا، ويلازم هذا تكذيب ما وراء المادّة، وينتهي إلى الكفر المطلق:

فما يَزيدُهم إلّا طُغياناً كَبيراً ـ ١٧ / ٦٠.

ولَيَزيدَنَّ كَثيراً مِنهُم ما أُنزِل إليكَ مِن ربّك طُغياناً وكُفراً ـ ٥ / ٦٤.

فَمَن يَكفُرْ بالطّاغوتِ ويؤمِنْ باللهِ ـ ٢ / ٢٥٦.

والَّذينَ كَفَروا أولياؤهم الطّاغوت ـ ٢ / ٢٥٧.

والَّذينَ اجتنَبوا الطّاغوتَ أن يَعبُدوها ـ ٣٩ / ١٧.

الظاهر إنّ هذه الصيغة من صيغ المبالغة، وهي مأخوذة من صيغة فاعل، من مادّة الناقص الواويّ، من طغا يطغو، فهو طاغٍ، وزيدت التاء للمبالغة كما في علّامة وراوية. ويقال إنّ أصلها طغيوت فأبدلت الياء مكان الغين وصارت ألفاً.

وعلى أيّ حال فالطاغوت من اشتدّ طغيانه وتجاوز عن الحقّ، ويكون مَظهراً للدنيا والباطل، فهو في مقابل الله الحقّ.

فتشمل هذه الكلمة على من يكون بهذه الصفة من الجنّ أو الإنس. والشيطان من أظهر مصاديق الطاغوت، وبعده مَن يدعو إلى نفسه من أيّ شخص كان: من سلطان ظالم، وعالم متظاهر بالدنيا والعنوان، وغنيّ متوغّل في الثروة والمال، ورئيس مترئّس محبّ للرياسة.

فالطاغوت هو الشيطان ومظهره ممّن يسدّ عن سلوك طريق الحقّ ويمنع عن السير والتوجّه إلى الله العزيز المتعال، وهو الّذي يعلو في جهة الدنيا المادّية والتمايلات النفسانيّة، ويتجاوز عن صراط الله، وهو يناسب أن يتولّى أمور الكافرين المعرضين عن الحقّ ـ أولياؤهم الطّاغوت.

فظهر أنّ الطاغوت هو المستغني المستكبر، وليس له في الحقيقة غناء وكبرياء، وأمّا الجاهلون وأهل الدنيا إنّما يتوجّهون إلى الظاهر المتظاهر.

ألَمْ تَرَ إلى الَّذين أُوتوا نَصيباً مِن الكتاب يؤمنون بالجِبتِ والطّاغوت ـ ٤ / ٥١.

www.attaweel.com

قلنا إنّ الطاغوت هو المتجاوز عن الحدّ بالاستغناءِ والاستكبار، وأمّا الجبت سبق إنّه المتكبّر المتظاهر بالعلم والعقل وليس كذلك. وكلّ منهما في قبال الحقّ العزيز الحيّ القيّوم.

* * *

طفأ :

مصبا ـ طفا الشيء فوق الماء طَفْواً من باب قال، وطُفُوّاً: إذا علا ولم يرسُب. ومنه السمك الطافي: الّذي يموت في الماءِ ثمّ يعلو فوق وجهه. وطفئَت النار تطفأ من باب تعب طُفوءاً: خمِدت وأطفأتها. ومنه أطفأتُ الفتنةَ: إذا سكّنتَها على الاستعارة.

مقا ـ طفو: أصل صحيح وهو يدلّ على الشيء الخفيف يعلو الشيء. من ذلك قولهم طفا الشيء فوق الماء يطفو طَفْواً وطُفُوّاً إذا على ولم يرسُب، فإذا هُمزت كان في معنى آخر، يقال طفِئت النارُ تَطفأ، وأنا أطفأتها.

التهذيب ١٤ / ٣٣ ـ أطفأها اللهُ أي أهمدَها حتّى تبرُد، وقد طـفِئت تـطفأ طُفوءاً، والنار سكن لَهَبُها وجمرُها يتّقد فهي خامدة، فإذا سكن لهبُها وبرد جمرها فهي هامدة طافئة.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو سكون اللهب والجمر معاً، وإذا سكن اللهب فقط فهي خامدة.

واللهب: اتّقاد النار. والخُمود: سكون اللهب. والجمر: النار الملتهبة. والهمُود: برد النار وذهابها. فالطُّفوء: سكون اللّهب وبَرد النار معاً.

www.attaweel.com

والنار أعمّ من النار المادّية وغيرها، فيكون الطفوء أيضاً مستعملاً في الموردين، فقال تعالى:

كلَّما أوقَدوا ناراً للحَرْبِ أطْفَأها الله ـ ٥ / ٦٤.

فيراد التهاب نار الخصومة وتوقّد الغضب الباطنيّ.

وأيضاً إنّ الإطفاء هو تسكين ما يلتهب وإذهابها، أعمّ من أن يكون في نار أو في نور، فالنور إذا تنوّر واشتعل يصحّ أن يقال: إنّه قد أُطفئ فلا يختصّ الإطفاء بتعلّقه بالنار المتوقّدة.

يُريدونَ أن يُطفِئوا نورَ الله بأفواهِهم ويأبى الله إلّا أنْ يُتمَّ نوره ـ ٩ / ٣٣.

يُريدونَ لِيُطفئوا نورَ الله بأفواهِهم واللهُ مُتِمّ نوره ـ ٦١ / ٨ .

نور الله هو ما يتوقّد ويظهر ويتلألأ ويتجلّى من الله تعالى، من نور تكوينيّ مثل أنبيائه ورسله ومظاهر صفاته، ومن نور تشريعيّ كأحكامه وشرائعه وقوانينه وآياته وكلماته.

والتعبير بالإطفاءِ: إشارة إلى أنّ مقصدهم الهمود بالكلّية.

والتعبير بالأفواه: إشارة إلى ضعفهم وضعف ما به يُطفئون نور الله، فإنّ نور الله نور أقوى وأشدّ وأثبت منه، فكيف يمكن اطفاؤه بما هو في غاية الضعف وهو النفخ بالتنفّس الضعيف المحدود.

هذا مع مقابلة هذا النفخ بإرادة الله القاطع وحكمه بأنّ الله متمّ نوره ويأبى عن كلّ ما يخالف إلّا أن يتمّ ويديم إظهار نوره.

والتعبير في الآية الثانية بقوله ـ لِيُطفئوا: إشارة إلى أنّهم يتوسّلون بأيّ وسيلة ممكنة وبأيّ مقدّمة موصلة إلى نظرهم. وقد حكم الله تعالى في قبال هذا التشبّث

والتوسّل بالحكم القاطع بأنّه ـ مُتِمّ نوره.

وهذا بخلاف الآية الأُولى: فعبّر فيها بقوله تعالى ـ يُريدونَ أن يُطْفِئوا: فالإطفاء من حيث هو قد وقع متعلَّقاً للإرادة الضعيفة منهم، فيناسبه ما يقابله ـ ويأبى اللهُ إلّا أن يُتمّ نوره.

أي يمنع ويدفع عن نفوذ إرادتهم، ويعمل مستمرّاً في إتمام نوره وتكميله وإدامته، فإنّ المضارع يدلّ على التوقّع والإنتظار والإستمرار.

ثمّ إنّ الله تعالى قد عبّر في الآيتين الكريمتين: بقوله ـ يُطفئون ـ بصيغة المضارع. وفي الآية السابقة: بقوله ـ أطفأها الله ـ بصيغة الماضي: فإنّ الإطفاء المنتسب إلى الله تعالى ماض وقاطع ومتحقّق لا توقّع فيه ولا انتظار، كما لا يخفى، وهذا بخلاف ما ينتسب إليهم من الإرادة والإطفاء، ففيه التوقّع والانتظار.

❊ ❊ ❊

طفّ:

مصبا ـ الطفيف: مثل القليل وزناً ومعنى، ومنه قيل لتطفيف المكيال والميزان: تطفيف، وقد طفّف، فهو مُطفِّف إذا كالَ أو وَزَن ولم يوفِ.

مقا ـ طفّ: يدلّ على قلّة الشيء، يقال هذا شيء طفيف، ويقال إناء طَفّان أي مَلآن. ويقال لما فوق الإناء الطِّفاف والطُّفافة فأمّا قولهم طفّفت بفلان موضع كذا، أي رفعته إليه وحاذيته.

لسا ـ قُتل الحسين رضي الله عنه بطَفّ الفرات وهو شاطئه وما ارتفع من جانبه. وخذ ما طفّ لك واستطفّ: ما ارتفع لك، واستطفّ له الأمر واستطفّت حاجته: تهيّأت وتيسّرت. وإناء طَفّانُ وقربانُ: قاربَ أن يمتلي وشارفه. وأعطاني طَفاف المكيال

وطُفافَه وطَفَفه وطَفّه: مقدارَه الناقص عن مِلئه. وما بقي في الإناء إلّا طُفافة: شيء قليل. وأطفّ له السـيف وغيره: أهوى به إليه وغشيه به. ومن المجاز ـ طفّف على عياله: قتّر عليهم، وطفّفت الشمس: دنت للغروب. وطفّف بي الفرسُ مسجدَ بـني زُريق، أي غشي بي وأدناني.

التهذيب ١٣/٣٠٠ ـ قال الليث: الطَّفّ: طَفّ الفرات، وهو الشاطئ، والطُّفاف: ما فوق المكيال، والتطفيف: أن يؤخذ أعلاه ولا يُتمّ كيله، فهو طَفّاف. ويقال: هذا طَفّ المكيال وطِفافه: إذا قارب ملأه ولما يمتلئ، ولهذا قيل للّذي يُسيء الكـيلَ ولا يوفّيه مُطفِّف، يعني إنّه إنّما يبلغ الطِّفاف. وعن أبي عبـيدة: يقال ـ طَفاف المَكّـوك وطِفافه. وقال أبو إسحاق: ويلٌ للمُطَفِّفين: الّذين ينقصون المكيال والميزان، وإنّمـا قيل للفاعل مُطفِّف لأنّه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان إلّا الشيء الخفيّ الخفيف، وإنّما اُخذ من طفّ الشيءِ وهو جانبه.

قع ـ (طِفاه) قطرة، كمّية قليلة، مقدار ضئيل.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحـد في هذه المادّة: هو ما يقرب من الطـرف أي الجانب من الشيءِ متّصلاً به وهو في جهة العـلوّ. وبهذا الاعتبار تطلق المـادّة عـلى الشـاطئ، الجانب، ما فوق المكيال إذا خلا من المكيل، وتستعمل أيضاً في مـفاهيم ـ القـرب والدنوّ إذا كان كالجانب المتّصل من الشيء، والتهيّؤ والتيسّر بمناسبة الوقوع في الجانب الفوق من الشيء، وما ارتفع فوق شيء، وغيرها.

فهذه المعاني إذا لوحظت بالقيود المذكورة: تكون من مصاديق الأصل حقيقة، وإلّا فتكون من المعاني المجازيّة.

وأمّا مفهوم الحـقارة والقلّة: فمأخوذ من اللغة العبريّـة كما رأيت، مع وجود تناسب بين المفهومين، فإنّ الطرف الباقي الخالي من الشيء مقدار قليل بالنسـبة إلى الكلّ.

وَيلٌ للمُطَـفِّفينَ الَّذينَ إذا اكتالوا عَلى النّـاسِ يَسـتوفون وإذا كـالوهم أو وَزنوهُم يُخسِرون ـ ٨٣ / ١.

التطفيف: جعل شيء ذا طفاف أي غير ممتلئ خالياً من أطرافه. ولا يبعد أن يكون هذا المفهوم عامّاً يشمل كلّ مورد لا يـوفّى فـيه حـقّ التأديـة اللّازم في أيّ موضوع كان، فيكون المراد من المطفِّفين في الآية الكريمة: الّذين لا يُوفّون ما عليهم ويُنقصون في تأديته من أيّ شيء مادّي أو معنويّ.

ومنشأ هذا العمل: إنّما هو الحبّ للدنيا والتعلّق بها، وهذا يقتضي أن يُمسك عن إيفاء الحقّ وإعطاء ما عليه.

وتقديم الاكتيال على الوزن: فإنّ الإيفاء في الاكتيال أقرب إلى مفهوم التطفيف وعدمه، والتطفيف فيه محسوس في الخارج.

وتقديم جملة ـ إذا اكتالوا يَستَوفون: إشارة إلى منشأ التطفيف وهو حبّ جلب النفع لنفسه وحبّ الدنيا وزينتها، وهو الموجب لتقديم نفسه وترجيحه على آخرين.

والتعبـير بقوله تعالى ـ ويلٌ للمطفِّفين: فإنّ هذه الجملة بمـنزلة كبرى كلّية، وجملة ـ وإذا كالوهم: كالصغرى، فيشملها الحكم.

وقلنا إنّ التطفيف أعمّ، وكذلك الوزن والكيل والميزان، فإنّ الميزان ما يوزن به أيّ شيء محسوساً أو غير محسوس.

فتعمّ الآية الكريمـة التطفيف في أيّ مبادلة ومعاملة من العقود، من مبايعة أو

www.attaweel.com

إجارة أو شركة أو مضاربة أو مصالحة أو معاهدة أو مزاوجة أو غيرها ممّا يتصوّر فيه الإخسار في المعاملة وجلب النفع للنفس وعدم ملاحظة العدل والقسط والميزان التامّ الحقّ.

فالويل لمن يُقدِّم ويرجّح نفسه في مقام معاملة، على أخيه المؤمن.

* * *

طفق :

مقا ـ طفق: كلمة صحيحة، يقولون ـ طفِق يفعل كذا، كما يقال ظلّ يفعل ـ فطفِق مسحاً بالسُّوقِ والأعناق.

شرح الكافية للجامي ـ أفعال المقاربة: والثالث وهو ما وضع لدنوّ الخبر وقرب ثبوته للفاعل دُنوَّ أخذ وشروع في الخبر: طفق بمعنى أخذ في الفعل، يقال طفِق يطفَق كعلم يعلم، طِفقاً وطفوقاً، وقد جاء طفَق يطفِق كضرب يضرب. وكرب، وجعل، وأخذ.

وفي البهجة للسيوطي ـ وتركُ أن مع ذي الشُّروع وَجَبا: لأنّه دال على الحال وأن للاستقبال، كأنشأ السائقُ يَحدُو وطَفِق، زيد يدعو، ويقال طبق بالباء. و ـ كذا جعلتُ ـ أنظم، وأخذت ـ أتكلّم، وعَلِق زيد يفعل، وزاد في التسهيل ـ هبّ.

لسا ـ طفق: طفِق طفَقاً: لزم. وطفِق يفعل كذا يطفَق طفَقاً: جعل يفعل وأخذ. الليث: طفِق: بمعنى عَلِق يفعَل كذا وهو يجمع ظلّ وباتَ. قال: ولغة رديئة ـ طفَق. فطَفِقَ مَسحاً بالسُّوق والأعناق ـ أراد طفِق يمسحُ مَسحاً. قال أبو سعيد: الأعراب يقولون: طفق فلان بما أراد، أي ظفر، وأطفقه الله به إطفاقاً، إذا أظفره الله به.

الجمهرة ٣ / ١٠٩ ـ طفِق يفعل كذا وكذا، كما قالوا زال يفعل كذا وكذا، ويقال

www.attaweel.com

ما زال يفعل، ولا يقال ما طفِق يفعل كذا وكذا، لا يقولون إلّا إيجاباً.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو القرب مقارناً للشروع وفعليّة الشروع، كما أنّ كاد يدلّ على القرب فقط من دون أن يشرع. وأنشأ وأخذ وشرع تدلّ على ابتداء نقطة من الشروع. وأمّا طفق فهو يدلّ على القرب وتحقّق الشروع وفعليّته، كما في قول تعالى:

وطَفِقا يخصِفانِ عَليهما مِن ورَق الجنَّة ـ ٧ / ٢٢.

وقوله تعالى:

فطَفِقَ مَسْحاً بالسُّوق والأعناق ـ ٣٨ / ٣٣.

فإنّ المنظور تحقّق القرب من الخصف والمسح وفعليّتهما عملاً.

ولازم أن نشير في هذا المورد إلى أمور:

١ ـ أفعال المقاربة في اصطلاح النحويّين: عبارة عن أفعال خاصّة تدلّ على مطلق القرب، سواء كان مع فصل أو بالوصل. وهذا المعنى يلاحظ في قبال البُعد، يقول تعالى ـ ونحْنُ أقربُ إليه مِن حَبلِ الوَريد، فلا نحتاج إلى القول بالمغالبة في مقام التسمية.

٢ ـ وكلّ ما كان من هذا النوع: فهو يرفع الإسم وينصب الخبر، أو يرفعهما، أمّا رفع الأوّل: فعلى الفاعليّة، ولا خلاف فيه. وأمّا نصب الثاني أو رفعه: فالتحقيق فيه أنّ هذه الأفعال تختلف بحسب الموادّ، وبلحاظ كيفيّة الاستعمال.

www.attaweel.com

فإذا أُريد منها مجرّد الربط في حالة القرب من غيره من دون نظر إلى خصوصيّة المعنى والمفهوم مستقلاً وفي نفسه، كما في أغلب الأفعال الناقصة، فيكون الثاني حينئذ حالاً، أو مفعولاً أو شبه مفعول أو منصوباً بنزع الخافض أو مرفوعاً على البدليّة من الأوّل. فيقال إنّ هذه الأفعال ناقصة أو للتقارب، وليست بتامّة يلاحظ فيها المعنى الاستقلاليّ للفعل، حتى تكون تامّة ملحوظة بنفسها.

فكما أن الفعل التامّ يرفع وينصب على مقتضى العامل والمعمول، فكذلك الفعل غير التامّ بحسب اقتضاء المقام يرفع وينصب أيَّ نحو من أنواع المعمولات.

فلا يجوز لنا حصر عملها في كيفيّة خاصّة محدودة في مختلف الموارد. فقوله تعالى ـ فطَفِقا يَخصفانِ: إنّما ذكر لتأكيد الربط وفي مقام الإشعار إلى الشروع في الخصف، فهو من أفعال المقاربة، وجملة يخصفان حاليّة، أي خاصفَينِ عليهما من الورق، أو على الخبريّة والتشبّه بالمفعول به، كما هو رأي الأكثر.

وأمّا قوله تعالى ـ فطَفِق مسحاً: فالفعل تامّ وليس للربط، وهو بمعنى الشروع والظفر، ويدلّ على حدث وحركة مستقلّة ملحوظة في نفسها، وكلمة مسحاً مفعول به، أي فشرع وعمل أن يمسح مسحاً.

وأمّا في قوله تعالى ـ عَسى اللهُ أن يعفوَ: فمقتضى المفهوم أن يكون بدلاً للاشتمال، كما يقول به الكوفيّون، فيكون الخبر في مقام الرفع أيضاً.

٣ ـ فلازم أن نتوجّه إلى أنّ تشخيص الإعراب إنّما هو بتشخيص الاقتضاء في المفهوم، من الفاعليّة والمفعوليّة والإضافة وما يلحقها ولا يجوز أن نجعل الميزان الكلّي هو اللفظ، كما أنّ الفاعل أو المفعول في قولنا ـ ضرب موسى عيسى: إنّما يتعيّن بتشخيص المفهوم، ثمّ باقتضائه يتعيّن الإعراب ظاهراً أو تقديراً.

www.attaweel.com

٤ ـ وقد يشتبه الأمر في تشخيص الخصوصيّة للمفهوم، ويتوقّف على تعيين إرادة المتكلّم، بقرائن مقاليّة أو حاليّة، كما في قوله تعالى ـ **وأُزلِفت الجنَّةُ للمُتَّقينَ غيرَ بعيد**: فيحتمل المصدريّة ـ إزلاقاً غيرَ بعـيد، أو الظرفيّة ـ زمناً غيرَ بعيد، أو الحاليّة ـ في حالة كون غير بعيد. فلابدّ من الدقّة والتحقيق في كشف المراد.

وهذا التحقيق في تشخيص المراد في كلام الله المتعال من أوجب الواجبات، ولا يمكن هذا إلّا بانشراح الصدر وتنوّر القلب والروحانيّة والمعرفة والارتباط المعنويّ.

فمعرفة قواعد الإعراب وإن كانت لازمة ومن أهمّ المقدّمات في فهم الآيـات والروايات الشريفة، إلّا أنّ حصول الانشراح والنورانيّة ومعرفة الحقائق وحـضور الذهن علّة متمّمة ومقدّمة لازمة في آخر المراتب، ولا يتمّ كشف الحقائق إلّا بها.

* * *

طفل:

مقا ـ طفل: أصل صحيح مطّرِد ثمّ يقاس عليه، والأصل: المـولود الصـغير، يقال هو طِفل والأُنثى طِفلة. والمُطفِل: الظَّبية معها طفلها، وهي قريبة عهد بالنِّتاج، ويقال طفّلنا إبلَنا تطفيلاً: إذا كان معها أولادها فرفقنا بها في السير، فهذا هو الأصل، وممّا اشتقّ منه قولهم للمرأة الناعمة طَفلة، كأنّها مشبّهة في رطوبتها ونَعمتها بالطِّفلة، ثمّ فُرّق بينهما بفتح هذه وكسر الأُولى. ومن الباب أو قريب منه طِفل الظَّلام وهـو أوّله، وإنّما سمّي طفلاً لقلّته ودقّته، وذلك قبل مجيء مُعظَم الليل.

مصبا ـ الطِّفل: الولد الصغير من الإنسان والدوابّ. قال ابن الأنباري: ويكون الطفل بلفظ واحد للمذكّر والمؤنّث والجمع ـ أو الطِّفل الّذين لم يَظهروا على عَوراتِ النِّساء، ويجوز المطابقة في التثنية والجمع والتأنيث، فيقال طِفلة وأطفال وطِـفلات.

وأطفلَت كلُّ أُنثى: إذا ولدت فهي مُطفِل، وقال بعضهم: ويبقى هذا الإسم للولد حتّى يُميّز، ثمّ لا يقال له بعد ذلك طفل بل صبيّ وحزور ويافع ومُراهق وبالغ. والطُّفيليّ: هو الّذي يدخل الوليمة من غير أن يُدعى إليها. قال ابن السكّيت: هو نسبة إلى طُفيل يدخل وليمة العُرس من غير أن يُدعى إليها.

الاشتقاق ٨٣ ـ الطُّفَيل: تصغير طِفل، والطِّفل: الوليد. قال الأصمعيّ: لا أدري ما حدّ الطُّفولة والطِّفل. ويقال امرأة طَفلة: رَخصة اللّحم بَيّنة الطَّفالة، وقالوا الطُّفولة أيضاً. وقال يونس: طفلَت المرأة طَفالة: إذا صارت طَفلة. والطَّفَل: اختلاط ظلمة الليل بباقي ضَوء النهار. طفَّل الليلُ تطفيلاً، إذا أقبل. وأمّا قول العامّة: طُفيليّ، فمنسوب إلى طُفيل العرائس رجلٍ من أهل الكوفة.

التهذيب ١٣ / ٣٤٧ ـ طفل: ابن السكّيت: الطَّفل: البَنان الرَّخص، يقال جارية طَفلة إذا كانت رَخصة. وقال أبو الهَيثم: الصَبيّ يُدعى طِفلاً حين يسقط من اُمّه إلى أن يحتلم ـ ثُمَّ يُخرجكُم طِفْلاً، أو الطِفل الّذين لم يَظهروا على عَوراتِ النِّساء. وقال الليث: غلام طَفل: إذا كان رَخص القدمين واليدين، وامرأة طفلة البنان رخصتها في بياض، بيِّنة الطُّفولة، وقد طفُل طَفالة أيضاً. وقال غيره: ريح طِفل إذا كانت ليِّنة الهُبوب، وعُشب طِفل لم يَطُل، وطَفْل: ناعم.

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو نُعومة في حداثة، سواء كانت في إنسان أو حيوان أو نبات أو شيء يفرض فيه تولّد وحداثة. ومن أتمّ مصاديقه الوليد الصغير من الإنسان ما دام بدنه لطيفاً ليّناً ناعماً، وقد كثر استعماله فيه.

www.attaweel.com

وبهذا اللحاظ يطلق على المتولّد الناعم من الحيوان، ومن النبات، بل ومن الريح إذا حدثت ولطفت ولانت، وعلى امرأة بقيت لها من نعامة حداثتها ولطافة بدنها، وعلى نور أو ظلمة متولّدة رقيقة.

فهذا هو الفارق بينه وبين الصبيّ والصغير: فإنّ الصبيّ يلاحظ فيه جهة التمايل والحنّة. والصغير يلاحظ فيه الصغارة.

وبالنظر إلى هذه القيود يطلق كلّ منها ويستعمل في مورد يناسبه، فقال تعالى:

وآتيناه الحُكمَ صَبيّاً، مَن كانَ في المَهدِ صَبيّاً.

فإنّ إيتاء الحكم أو التكلّم لا يلائم من يتمايل إلى المشتهيات أو يحنّ إلى أُمّه، وليس له توجّه إلى عالم الحقيقة والمعرفة والرشاد، فهذا أمر خارق للطبيعة وخلاف الجريان المادّيّ، وليس إلّا بإرادة نافذة من الله المتعال.

وهكذا قوله تعالى:

رَبِّ ارحمهُما كَما رَبَّياني صَغيراً.

فإنّ النظر إلى الصغر في مقابل الكبر، وكونه ضعيفاً مفتقراً إلى التربية والتقوية.

ولمّا كان الطفل يشعر بمادته إلى نعومة ولينة وحداثة في الوجود: يؤتىٰ به في موارد تقتضي وجود هذه الخصوصيّة، فقال تعالى:

ثُمَّ مِن نُطفة ثُمِّ مِن عَلَقَة ثُمَّ يُخرِجكُم طِفلاً ـ ٤٠ / ٦٧.

ونُقِرُّ في الأَرحام ما نَشاء إلى أجَل مُسمّى ثُمَّ نُخرِجكُم طِفلاً ـ ٢٢ / ٥.

أو الطِّفْل الَّذين لم يَظهروا عَلى عَوراتِ النِّساءِ ـ ٢٤ / ٣١.

وإذا بلَغ الأَطفالُ مِنكُم الحُلم فليستأذنوا ـ ٢٤ / ٥٩.

في الآيتين الأولين يشار إلى لطف في الخلقة وحدوث نعومة ورَخصة بعدما كان نطفة وعلقة وفي محيط غير ملائم لا نظافة فيه.

وفي الآيتين الأُخريين: يشار إلى تحوّل تلك الحالة الناعمة إلى حالة محدودة بالتكاليف وعروض مشقّة وكلفة ومحيط فعاليّة وعمل ومجاهدة.

وتوضيح ذلك: أنّ النعومة تقتضي لطافة وصفاء وبهاء وطهارة ولينة وحسن نيّة، وهذه الحالات والصفات النورانيّة تدوم وتبقى في الطفل إلى أن تظهر آثار القوى الحيوانيّة من الغضب والشهوة والتمايل وحبّ الحياة الدنيا وزينتها وجلب المنافع والاستكبار والرِّياء والبخل والحسد والطمع وغيرها من صفات البهايم وخصوصيّات السباع.

فهذه الصفات إذا ظهرت وقويت في النفس: تجعلها في مضيقة ومجاهدة ومبارزة وفعّالية، ولا تزال تتفكّر وتعمل في الوصول إلى مشتهياتها وتأمين آمالها والبلوغ إلى أمانيها والدفاع في منويّاتها.

وفي هذه المرحلة تزول النعومة الزاكية واللّيِّنة الطاهرة، وتتحوّل النفس إلى محيط خشن ظلمانيّ فيه شدّة وصعوبة وزحمة واضطراب وتزلزل، وهذه الحالة يعبّر عنها بالبلوغ إلى التمييز.

ثمّ إذا اشتدّت هذه الحالات وتظاهرت هذه الصفات: فتحتاج إلى حدود وتقييدات وتكاليف وإلزامات وإرشاد وتنبيه وأمر ونهي وترغيب وزجر وتخويف، حتّى يهتدي ويتّقي ويفوز ويُفلح. وهذه الحالة يعبّر عنها بالبلوغ والوصول إلى حدّ التكليف.

ولا يخفى ما فيما بين موادّ الطفل والطفو (الشيء الخفيف) واللطف والطفح: من الاشتقاق الأكبر.

www.attaweel.com

وأمّا التعبـير في آية ـ **وإذا بلَغ الأطفالُ منكُم الحُلُم**: بصيغة الجمع، وفي باقي الآيات بصيغة إسم الجنس: فإنّ النظر فيها إلى المصاديق دون المفهوم المطلق الجنسي كما في الآيات الاُخر.

❊ ❊ ❊

طلب:

مقا ـ طلب: أصل واحد يدلّ على ابتغاءِ الشيء، يقال طلبتُ الشيء أطـلُبه طَلَباً، وهذا مَطلبي، وهذه طَلِبَتي وأطلبت فلاناً بما ابتغاه: أي أسعفته به، وربّما قالوا أطلبتُه إذا أحوجتَه إلى الطلب. وأطلب الكلأ: تباعد عن الماء حتّى طلبه القوم، وهو ماء مُطلِب.

مصبا ـ طلبته أطلُبه طلباً، فأنا طالب، والجمع طُلّاب وطَلَبَةٌ مثل كافر وكُفّار وكَفَرة، وطالبون، وامرأة طالبة ونساء طالبات وطوالب. واطّلبت على افتعلت بمعنى طلبت، وباسم الفاعل سمّي عبدالمطّلب، وينسب إلى الثاني. والمَطلب: يكون مصدراً وموضعَ الطلب. والطِّلاب: ما تطلبه من غيرك، وهو مصدر في الأصل، تقول طالبته مطالَبة وطِلاباً. والطَّلِبة وزان كَلِمة، والجمع طَلِبات مثله. وتطلّبتُه: تبغّيته. وأطلبت زيداً: أسعفته بما طلب.

التهذيب ١٣ / ٣٥١ ـ قال الليث: الطَّلَب: محاولة وِجـدان الشيء وأخـذه. والطِلبة: ما كان لك عند آخر من حقّ تُطالبه به، والمطالَبة: أن تُطالب إنساناً بحقّ لك عنده ولا تزال تُطالبه وتتقاضاه بذلك. والغالب في باب الهوى الطِّلاب. والتَّـطلّب: طلب في مهلة من مواضع. أبو عبيـدة: أطلبت الرجل: أعطيته ما طلب. وأطلبته: ألجأته إلى أن يطلب إليّ.

❊ ❊ ❊

www.attaweel.com

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما نقلنا عن التهذيب من محاولة وجدان الشيء وأخذه، أي ابتغاء شيء ليأخذه في أمر مادّيّ أو معنويّ قريباً أو بعيداً. والدعوة سبق أنّه طلب شيء للتوجّه إليه فقط لا لأخذه والنيل عليه.

وهذا المعنى ملحوظ في جميع مشتقّات المادّة، يضاف إليه ما يستفاد من هيآت الصيغ، كما في أفعَل وتفعّل وفاعَل وافتعل.

فصيغة أطلبَ تدلّ على جعل شيء ذا طلب وعلى جهة قيام الفعل بالفاعل، وفاعَلَ على المداومة والاستمرار، وافتعلَ وتفعّل على المطاوعة.

إنَّ الَّذينَ تَدعونَ مِن دون اللهِ لَن يَخلُقوا ذُباباً ولو اجتَمعوا له وإن يَسلُبهم الذُّبابُ شَيئاً لا يَستنقِذوه مِنهُ ضَعُفَ الطّالِبُ والمَطلوب ـ ٢٢ / ٧٣.

الطالب هو الّذي يدعو معبوداً من دون الله تعالى، وهو ضعيف حيث إنّه يتوجّه ويعبد إلهاً لا يقدر على جلب نفع أو دفع مضرّة له ولغيره، فهو جاهل غافل قاصر لا يدري إلى أين يتوجّه ولا يعرف صلاحه وفلاحه، وهذا غاية الضعف والقصور، فإنّه يطلب شيئاً لا ينفعه.

وأمّا المطلوب: فهو الّذي يجعله الطالب مطلوباً لنفسه ويبتغي الوصول إليه وتحصيل رضاه ووفاقه وإرادته، وهو المعبود له من أيّ نوع كان، إنساناً، أو حيواناً، أو جماداً، أو ملَكاً، فإنّ كلّ شيء من دون الله مملوك فقير محتاج عاجز لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً ولا موتاً ولا حياة.

ومن آثار ضعفه: عجزه في قبال مخلوق من أضعف الخلق وهو الذُّباب.

والتعبير بقوله ـ تدعون، دون تعبدون: إشارة إلى ما هو أعمّ من العبادة فإنّ

www.attaweel.com

الدعـوة من دون الله ولو لم يكن ظاهراً بقصد العـبادة، يكون من مصـاديق الآيـة الكريمة، فيشمل كلّ دعوة من دون الله، في جهة عنوان أو غنى أو حكومة أو جهات أخرى مادّية أو معنوية.

نعم إذا كان النظر إلى مدعوّ من جهة كونه وجهاً وظلّاً من الله تعالى، وليس النظر إلى نفس ذلك المدعوّ بذاته وبخصوصه: فهو يدعو الله.

إنَّ رَبَّكُم اللهُ الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والأَرضَ في سِتَّةِ أيّامٍ ثُمَّ استَوى عَلى العَرش يُغشي اللَّيلَ النَّهارَ يَطلُبه حَثيثاً والشَّمسَ والقَمَرَ والنّجومَ مُسَـخَّراتٍ بأمرِهِ ألا لَـهُ الخَلْقُ والأَمْرُ ـ ٧ / ٥٤.

تبيين وجوه هذه الآية الكريمة (آية السُّخرة) يتوقّف على أمور:

١ ـ قلنا في الخلق، إنّه عبارة عن إيجاد شيء على كيفيّة وخصوصيّات مخصوصة تقتضيها الحكمة والتدبير. وهذا المعنى يناسب العنوان وهو الربّ ـ إنّ ربّكُم اللهُ الّذي خلَق. فإنّ الإيجاد المطلق وهو الإبداع فقط لا يلائم التربية والربّ، والآية في بيان كيفيّات الإيجاد وتقـديرها، ولذا ترى الاسـتنتاج فيها بقوله تعالى ـ تَبارك الله ربُّ العالمَين.

٢ ـ قلنا في السماءِ، إنّه بمعنى العلوّ، مادّياً أو معنويّاً، فيشمل ما يعلو في عالم المادّة وما يعلو من جهة المرتبة الوجوديّة، كعوالم ماوراء المادّة.

وهذه العوالم مختلفة بعضها فوق بعض ولا يجمعها في ظواهرها مـادّة واحـدة وعلى هذا يعبّر بصيغة الجمع، دون الأرض.

وقلنا في الأرض، إنّه ما سفل ويكون منتسباً إلى السماء والعلوّ.

٣ ـ لمّا كان المقامُ في بيان مرتبة الربوبيّة وحقيقتها من جانب الله وبإظهاره:

www.attaweel.com

فيقتضي أن يلاحظ نظره العالي المحيط الفائق على جميع مـراتب الوجـود بـطبقاتها المادّية والروحانيّة، فيكون المراد من السماءِ والأرض: كلّ مرتبة عالية من أيّ نوع وكلّ ما تسفّل في مقابل السماء.

ولا يصحّ تخصيصها بعوالم المادّة وما يشاهد لنا، فإنّ الله تعالى وتبارك كما أنّه متعال محيط ومن وراء كلّ شيء: كذلك قوله وبيانه.

وأيضاً إنّ الآية الكريمة في مقام بيان تقدير خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام، ولا معنى باختصاص ذلك بالسماوات والأرض المادّيـة والسكوت عن خـلق السماوات الروحانيّة.

وأيضاً إنّ قـوله تعالى ـ ثُمَّ اسْـتَوى عَلَى العَرْش: يـدلّ عـلى إرادة الأرض والسماوات قاطبة، حتّى يصحّ ذكر العرش بعدها، فإنّ العرش هو مجمع عالم الكون ومجموع عوالم الخلق، من جهة كون الحكومة والسلطة التامة متعلّقة به، ولا يناسب ذكر العرش بعد عوالم المادّة فقط.

٤ ـ في ستّة أيّام: لا يصحّ تفسير اليوم بما هو متعيّن في عالم المادّة من جـهة طلوع الشمس وغروبها، فإنّ الخلق قبل هذه العوالم، وبالخلق يتصوّر هذه التقديرات.

وعلى هذا يقال: إنّ الأفعال من الله تعالى منسلخة عن الزمان، وكما أنّ الله تعالى محيط وقيّوم وفوق مراتب الوجود، والموجودات كلّاً تحت إحاطته وسلطته وقيّوميّته: كذلك أفعاله، حيث إنّها تجلّيات صفاته ومظاهر إرادته ومشيّته، وبالمشـيّة تـتجلّى الأفعال، ثمّ بعد تكوّن الموجودات ونظمها: يلاحظ الزمان وتقديراته.

فلابدّ أن تتقدّر الأيّام والليالي بمناسبة ذلك العالم (مرتبة الأفعال)، ولا يصحّ القول بتقدير الأيّام بمقدار الأيّام المادّية، فإنّها في غاية الهوان والضعف من جـهات مختلفة.

www.attaweel.com

٥ ـ وأمّا حقيقة الأيّام والليالي: فإنّها في عالمنا عبارة عن طلوع الشمس وظهور النور والضياء، فيعبّر عنه باليوم. وعن غروب الشمس واختفاء النور وظهور الظلمة وسريانها، فيكون ليلاً.

وكما أنّ عالم المادّة محدود جدّاً وضيّق: كذلك يومه وليلته باختلاف الشموس والأراضي ومقادير حركتها: وهذا بخلاف اليوم والليلة في عالم الروحانيّة، فإنّ اليوم فيه بظهور النور وتوجّه الحقّ وتجلّي الرحمة من مبدأ الفيض، والليلة بغيبوبة ذلك النور وانصرافه وإقبال الظلمة.

وتوضيح ذلك: إنّ للروحانيّات وجهتين، وجهةً متوجهة إلى الله النور الحقّ ومتنوّرة بفيضه ونوره، فمادامت تلك الوجهة مستمرة باقية جارية: فقد يتحقّق اليوم وتظهر حقيقته.

ووجهةً متوجّهة إلى أنفسها غافلة عن الفيض والنور القدسي، وحينئذٍ يُدبر النور ويُقبل الظلام فيكون ليلاً.

وأمّا فلسفة الليل، فإنّ الوجهة إلى الأنفس والتوجّه إلى أمور متعلّقة بالذوات: توجب تدبير اُمور الأنفس والتوجّه إلى إدامة جريانها في ذواتها من حيث هي.

فظهر أنّ حقيقة اليوم في أيّ عالم كان: عبارة عن ظهور النور ونشره وتجلّيه وإقباله. ويقابله الليل.

وأمّا الأيّام الكليّة الإلهيّة: فهي عبارة عن توجّه وإفاضة وإنارة إلهيّة إلى عالم بخصوصه، فإدامة هذا التوجّه بالإفاضة إلى ذلك العالم بجميع خصوصيّاته من جهة التكوين يوم ـ راجع اليوم.

ولمّا كانت العوالم التكوينيّة ومراتب السماوات والأرض المخلوقة ستّة، فتكون

www.attaweel.com

الأيّام الربّانيّة أيضاً ستّة، عالم الجماد، النبات، الحيوان، الإنسان، الملائكة، العقول والأرواح.

فخلق السماوات والأرض إنّما هو واقع بهذه المميّزات والمشخّصات والكيفيّات، فقد عبّرت عنها بالأيّام الربوبيّة.

وقلنا إنّ أفعال الله منسلخة عن الزمان، ولا فرق في أفعاله بين الأزمنة، فلا تتقدّر بزمان، ولا تكون محدودة ومتعيّنة بالزمان أو المكان، ومن أفعاله تعالى الخلق، والتكوين، والإيجاد، وهذا المعنى غير جارٍ في المخلوق المتحصَّل من الخلق.

٦ ـ يُغشي الليلَ النهارَ: فإنّ الإقبال يلازم الانتفاء والتحوّل والإدبار، فالنهار إذا تمّ له الصعود والإعتلاء ينعكس إلى قوس نزول وانحطاط إلى أن يتحوّل ليلاً وظلاماً.

مضافاً إلى أنّ تقدير النهار والليل وتدبيرهما وتعيين خصوصيّاتهما من أيّ جهة كانت: بحكمة الربّ الجليل القدير المتعال.

فالنهار والإضاءة يعقَّب بالليل والظلمة، فإنّ الله تعالى جعل تقدير العوالم وتدبيرها ونظمها على هذا البرنامج التامّ اللّازم في الحياة، ليتمّ نظام الحياة في جميع أنواع الموجودات وفي العوالم بأجمعها.

فإنّ امتداد الضياء والنهار يوجب كسلاً وضعفاً وابتلاء ومضيقة، فهو بلسان الحال وباقتضاء الطبيعة يطلب ليلاً وظلاماً، للاستراحة ورفع الضعف وتجديد القوّة والتهيؤ الجديد وتقوية النفس وتحصيل الفراغ.

وهذا معنى قوله تعالى ـ يَطلبُه حَثيثاً ـ أي يطلب النهار باقتضاء أمره إقبالَ ليل، ليحصل التحوّل ويتجدّد الشوق والعمل والحركة.

www.attaweel.com

٧ ـ قلنا إنّ الطلب هو محاولة وجدان شيء وأخذُه، وسبق أنّ الحثّ هو الحضّ والسوق. فتدلّ الآية الكريمة على أنّ اليوم هو بنفسه يطلب الليل ليأخذه ويتصل به، وهو في حالة الطلب والسوق وجرّ الليل إلى جانبه ليضمّه إليه ويعقّبه حتّى يسير الليل في عقبه.

فتدلّ الآية الكريمة على أنّ تماميّة النهار بتعقّب الليل، وعلى أنّ الأصل الأصيل في العالم هو النهار المتحصّل بالإفاضة والإضاءة، وعلى أنّ الليل مع كونه غشاءً وحجاباً وظلاماً: له تأثير كالنهار في التربية والترقّي والسير.

٨ ـ والشمسَ والقمرَ: عطف على السماوات، أي وخلق الشمس والقمر والنجوم من بين السماوات والأرض مسخَّرات بأمره، فالجملة الأُولى راجعة إلى أصل الخلق وتكوين قاطبة السماوات والأرض على كيفيّات مخصوصة والثانية ـ على خلق هذه الموضوعات على حالة كونها مسخّرات، والتسخّر ليس من الكيفيّات المأخوذة في أصل الخلقة، بل من الحالات العارضة اللّاحقة بعد تحقّق الخلق.

وعلى هذا عبّر بقوله ـ بأمره، دون خلقه.

وعطفُ الشمس من دون أن يذكر ـ خَلَق: إشارة إلى أنّ الخلق دخيل في هذه الموضوعات المسخَّرة، باطناً، وإنّه غير داخل فيها، حيث إنّ هذا التسخّر إنّما هو واقع ومتحقّق بعد تحقّق الخلق.

فالسماوات والأرض محكومة بالخلق، ثمّ بالأمر ـ لَه الخَلقُ والأمر.

ثمّ إنّ الخلق حاكم على جميع الموجودات، بخلاف الأمر بالتسخّر، فإنّ للحيوان والإنسان اختياراً في جريان حياتها.

ثمّ إنّ الطلب أعمّ من أن يكون على سبيل الإرادة وقاصداً له، أو على اقتضاء

الطبيعة وطلباً طبيعيّاً، كما في هذه الآية الكريمة.

راجع ـ عرش ـ غشى ـ يوم.

* * *

طالوت:

المعرّب ٢٢٧ ـ طالوت: إسم أعجميّ ـ فلمّا فصَل طالوتُ بالجُنود ـ فتركُ صرفه دليل على أنّه أعجميّ، إذ لو كان فَعَلوتاً من الطول كالرَّغَبوت والرَّهَبوت والتَّرَبوت: لَصُرِف. وإن كان قد روي في بعض الآثار أنّه كان أطول من كان في ذلك الوقت.

قاموس كتاب ٢٨٩ ـ معرّباً ـ جليات: يقول العرب إنّه جالوت وكان رجلاً من أهالي جت، ومن شجعان الفلسطينيّين، وكانت قامته تسعة أقدام... ويذكر مغلوبيّته بيد داود في أوّل سموئيل، وفي أوّل التواريخ ٢٠ / ٥.

صموئيل الأوّل ١٧ / ٢٢ ـ فقال داود لشاوُل لا يسقط قلب أحد بسببه، عبدك يذهب ويُحارب هذا الفلسطينيّ... وقال: الربّ الّذي أنقذني من يد الأسد ومن يد الدُّبّ، هو يُنقذني من يد هذا الفلسطيني، فقال شاول لداود إذهب وليكن الربّ معك... فتمكّن داود من الفلسطينيّ بالمِقلاع والحجر وضربَ الفلسطينيَّ وقتله.

المعارف ٤٤ ـ إشماويل بن هلقانا، وهو بالعربيّة إسماعيل وإسم أُمّه حَنّه، وهو من بني إسرائيل، وهو الّذي ذكره الله ـ وقالَ لَهُم نبيّهم إنَّ اللهَ قَد بَعَثَ لكُم طالوتَ مَلِكاً.

قال وهب: طالوت من سبط بنيامين بن يعقوب، والأسباط من أولاد يعقوب بمنزلة القبائل من أولاد إسماعيل، وكان مسكيناً راعيَ حَمير، فنزل بإشماويل، وأعلمهم

أنّه من سبط بنيامين وأنّه ملكهم فقالوا قد علمت إنّه لم يكن من هذا السبط ملك. فقال إشماويل: أوأنتم أعلم أم الله. ثمّ استخلف الله بعد إشماويل داودَ، وكان تزوّج ابنة طالوت ـ وكان شرط على طالوت أن قتل جالوت.

المروج ١ / ٣٢ ـ ودبَّر بني إسرائيل بعد غيلام الكاهن شمويلُ بن بروحان بن ناحور، ونبئ فمكث فيهم عشرين سنة، ووضع الله عنهم القتال وصلح أمرهم فخلطوا بعد ذلك، فقالوا لشمويل ابعث لنا ملكاً يقاتل معنا في سبيل الله، فأمر بتمليك طالوت وهو ساود بن بشر، فملكه عليهم ولم يجمعهم قبل ذلك مثل طالوت، وكان بين خروج موسى ببني إسرائيل من مصر إلى أن ملك طالوت خمسمأة سنة واثنتان وسبعون وثلاثة أشهر، وكان طالوت دبّاغاً.

البدء والتاريخ ٣ / ٩٨ ـ قصّة شمويل بن هلقانا وهو بالعربيّة: إسماعيل وهو نبيّ القوم الّذي قال الله عزّ وجلّ ـ أَلَمْ تَرَ إِلَى المَلأ من بَني إسرائيل مِن بَعدِ موسى إذ قالوا لِنبيٍّ لَهُم ابعَث لَنا مَلِكاً نُقاتل في سَبيل الله ـ وكان لبني إسرائيل تابوت تَوارثوه عن الأنبياءِ يتبرّكون به ويستنصرون على أعدائهم، وسألوا شمويل أن يبعث لهم ملكاً يقاتل معهم فجاءهم طالوت ملِكاً وكان من سبط بنيامين، فأبوا أن يذعنوا له إلّا بآية، فقال لهم نبيّهم ـ إنّ آية ملكه أن يأتيكم التابوت، فأتاهم بحملة الملائكة، وقاتل به طالوت عدوّهم، فقتل داودُ جالوتَ رأسَ العمالقة.

تاريخ ابن الورديّ ١ / ٢٣ ـ شاول وهو طالوت بن قيس كان راعياً وقيل سقّاء وقيل دبّاغاً، فملك سنتين، واقتتل هو وجالوت، وجالوت من جبابرة الكنعانيّين، وكان مُلكه بجهات فلسطين، فأمر طالوت داود بمبارزة جالوت، فبارزه وقتل داود جالوت. فموت طالوت في أواخر سنة ٤٩٥ لوفاة موسى.

قع ـ (طِيلِطِل) حَرّك، أزاح، نقل، ألقى، رَمى، شرّد.

(طَيبِلِت) مُتنزِّهة، مشترِكة في مسيرة.

(طِيبيل) تنزّهَ، سارَ، قامَ برِجله، اشتركَ في سَفرة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل المسلّم في هذه الكلمة: أنّها إسم لملك صالح لبني إسرائيل ومنهم، معاصراً لداود النّبيّ وأبي زوجته، وهو الّذي أشار بحكومته وجعلَه ملكاً إشمويلُ النبيّ بوحي من الله العزيز.

وهو الّذي قاتل ملك الفلسطينيّين من العمالقة وقتله وهزم بهم، وهو جالوت، وسبق إجمال حالاته.

وسبق أنّ جالوت كلمة عربيّة مأخوذة من جاليت بمعنى المتظاهر المتجوّل المهاجر، ويناسب أن تكون كلمة طالوت بمعنى الرامي الدافع المرتفع العالي، ويؤيده أنّ مادّة الطول أيضاً في العربيّة بمعنى المرتفع.

وأمّا إشمويل بمعنى سمع الله: فهو من الأنبياء، وبمناسبة أنّ الكتابين [صموئيل الأوّل والثاني] من كتب العهد العتيق، يحتويان مجاري الأُمور في زمانه، يسمّيان باسمه.

وفي الكتاب الأوّل تفصيل جريان أُمور طالوت وجالوت وداود، وسبق أنّ طالوت مات سنة ٤٩٥ لوفاة موسى (ع).

ويذكر في القرآن الكريم ما تلخّص من هذا الجريان بتحقيق كامل تامّ:

ألم تَرَ إلى المَلأ مِن بَني إسرائيل مِن بَعد موسى إذ قالوا لِنَبيّ لَهُم إبعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ في سَبيل الله قالَ هَل عَسَيتُم إن كُتبَ عَلَيكُم القِتالُ ألّا تُقاتِلوا ... ـ ٢ / ٢٤٦.

www.attaweel.com

وقالَ لَهُم نبيّهُم إنّ الله قَد بَعَثَ لَكُم طالوتَ مَلِكاً قالوا أنّى يكون لَهُ المُلكُ عَلينا ونَحنُ أحقُّ بالمُلك منه ولَم يؤتَ سَعَةً مِن المال قالَ إنَّ الله اصطَفاهُ عَلَيكُم وزادَه بسطةً في العِلم والجِسم ... وقالَ لَهُم نبيّهُم إنَّ آيَة مُلكه أن يأتيكُم التّابوتُ فيهِ سَكينة مِن ربّكُم وبقيّة ممّا ترك آلُ موسى وآلُ هارون تحمِلهُ الملائكَة ... فلمّا فصلَ طالوتُ بالجنود قالَ إنَّ الله مُبتليكُم بِنَهَر فَمَن شرب مِنهُ فَليسَ مِنِّي ولَم يَطعمه فإنَّهُ مِنِّي إلاّ مَن اغتَرَفَ غُرفة بيَده فَشرِبوا مِنهُ إلاّ قَليلاً مِنهُم فلمّا جاوَزه هوَ والَّذينَ آمَنوا مَعَه قالوا لا طاقَةَ لَنا اليومَ بجالوتَ وجُنودِه ... ولمّا بَرزوا لجالوتَ وجُنودِه قالوا ربَّنا أفرِغ عَلَينا صَبراً وثَبِّت ... فهزَموهُم بإذن الله وقتلَ داودُ جالوتَ وآتيه الله المُلكَ والحِكمة وعلَّمه ممّا يَشاء ولَولا دفعُ الله الناسَ بعضَهُم ببَعض لَفَسَدَت الأَرضُ ـ ٢٥١.

فهذه الآيات الكريمة تشير إلى أُمور من جريان هذا التاريخ.

١ ـ إنّ الملأ كانوا من بني إسرائيل، وكذلك النبيّ لهم، فإنّ النبيّ إنّما يُبعث من القوم الّذين يُبعث عليهم ـ ربَّنا وابعَث فيهم رَسولاً مِنهُم.

٢ ـ إنّ المَلِك الحقّ العادل لابدّ وأن يُختار بإرشاد من مبدأٍ مطمئن، من مَبدأ وحي أو عقل سالم كامل متقن ـ إبعث لنا مَلِكاً.

٣ ـ إنّ منتهى المقصد من نظم الاجتماع وحفظ الاستقلال في الجامعة: إيجاد قوّة قاهرة لدفع الأشرار والمخالفين في داخل أو خارج، وذلك بعد أن يتشخّص لهم الهدف وتتحصّل لهم الوحدة في السلوك، حتّى يتوافقوا في الدفاع عن مقصدهم وفي حفظه وتقويته ونشره ـ نُقاتِل في سَبيل الله.

٤ ـ تحقّق الصدق والحقّ في جميع المراحل وفيما بين قاطبة الطوائف مشكل ويحتاج إلى تمرينات ومجاهدات وتصبّر على الابتلاءات والمشقّات، وإنّ القول لا يفيد

www.attaweel.com

من الحقّ شيئاً:

هَل عَسيتُم إن كُتِبَ عَلَيكُم القِتالُ ألّا تُقاتِلوا، فلمّا كُتِبَ عَليهم القِتالُ تَولّوا إلّا قَليلاً مِنهُم.

٥ ـ أكثر الناس مفتونون بالظواهر من زينة الدنيا، ويتخيّلون أنّ مقامات الروحانيّة والمادّيّة متلازمة، وبهذا الاشتباه يحتجبون عن مشاهدة الحقّ ويُحرَمون عن ادراك الحقيقة ـ ولَم يؤتَ سَعةً مِن المال.

٦ ـ الّذي يلزم تحقّقه في المَلِك أمران: الأوّل ـ العلم بوظائف الإمارة والمعرفة بشؤونها وكيفيّاتها وخصوصيّات التدبير وإدارة البلد والاجتماع. والثاني ـ سلامة الظاهر وقوّة البدن والبسطة في الجسم ـ بسطة في العلم والجسم ـ فيكون مقتدراً نافذاً مسلّطاً من جهة الإحاطة العلميّة والقوّة الباطنيّة، وبلحاظ البدن والقوى الظاهريّة.

٧ ـ يصرَّح بأنّ بعث طالوت كان من جانب الله:

إنَّ الله قَد بَعَثَ لَكُم طالوتَ مَلِكاً ... إنَّ الله اصطَفيٰهُ عَلَيكُم.

٨ ـ قد جعل لبعثه طالوت مَلِكاً: إتيان التابوت، وهو صُندوق لموسى (ع) وله خصوصيّات وخواصّ وآثار معنويّة خارجة عن عالم الظاهر:

أن يأتيكُم التّابوتُ فيهِ سَكينة مِن رَبّكُم وبَقيّةٌ مِمّا ترَكَ آلُ موسى وآلُ هٰرون تَحملهُ الملائكَةُ إنَّ في ذلِكَ لآيَة لَكُم.

٩ ـ وقد امتحن الله تعالى جنود طالوت حتّى تتميّز مراتبهم ويكون الاعتماد عليهم في الحرب على اختبار واطّلاع صحيح ـ إنّ اللهَ مُبتليكُم بِنَهَر.

١٠ ـ إذا كان هدف المجاهد هو الله ولقاؤه: فلا يضطرب ولا يَهِنُ، فإنّه يصل إلى لقاءِ الله سواء قتَل أو قُتِل:

قالَ الَّذينَ يَظنّون أ نَّهُم مُلاقو الله كَم مِن فِئَةٍ قَليلةٍ غَلبت فِئَةً كَثيرةً.

مع أنّ الموفقيّة والظفر مع الّذين صبروا واستقاموا.

١١ ـ وطالوت هو الّذي كان ملِكاً وفي رأس الجنود ـ فَلَمّا فصَل طالوتُ بالجُنود. وأمّا الّذي قتل جالوت هو داود، وكان من الجنود.

١٢ ـ فغلَب جنودُ طالوت جالوتَ، من جهة تصبّرِهم وتثبّت أقدامهم واستنصارهم من الله:

رَبَّنا افرِغ عَلَينا صَبْراً وثَبِّت أقدامَنا.

فظهر أنّ طالوت كان بعد موسى، ومن بني إسرائيل، ومبعوثاً في فئة منهم، وقد بُعث بتعيين الله وإرشاد النبيّ، وكان ذا بسطة في العلم والجسم، ولم يؤتَ مالاً دنيويّاً، واصطفاه الله عليهم، وكان داود (ع) من أصحابه وأعوانه، وصاحب جريانات أُخر.

وقد ذكر أيضاً أنّ المقصد الأتمّ في بعث طالوت: هو دفع إفساد جالوت واضراره وإضلاله وظلمه، وهذا من الأُمور اللّازمة الواقعة من جانب الله ومن جهة لطفه وعنايته، رعاية لجانب الحقّ إذا وقع في معرض خطر وسقوط وانهدام، ولجانب المستضعفين:

ولَولا دَفعُ الله النّاسَ بَعْضَهُم ببَعْضٍ لفسَدَت الأرْض.

وفساد الأرض منشأ الفساد في جميع الشؤون الانفراديّة والاجتماعيّة وقد احتوت هذه الآيات الكريمة مباحث لطيفة مهمّة في موضوعات المَلِك والحرب وشرائطها وخصوصيّاتها والتجنّد وفلسفة المحاربة وغير ذلك من المطالب، لا يسعها المقام أزيد من هذا المقدار.

* * *

www.attaweel.com

طلح :

مصبا ـ الطَّلح: الموز، الواحدة طلحة مثل تمر وتمرة. والطَّلح من شجر العِضاه، الواحدة طلحة أيضاً، وبعير طليح: مهزول، طلَحته أطلَحُه بفتحتين إذا هزلته.

مقا ـ طلح: أصلان صحيحان: أحدهما ـ جنس من الشجر والآخر باب من الهُزال وما أشبهه. فالأوّل ـ الطَّلح وهو شجر معروف. وذو طُلوح: مكان، ولعلّ به طلحاً. ويقال إبل طَلاحَى وطَلِحة، إذا شكت عن أكل الطلح. والثاني ـ قولهم ـ ناقة طِلحُ أسفار، إذا جهدها السير وهزلها.

الاشتقاق ٥٥ ـ طلحة واحدة الطَّلح وهو ضرب من شجر العِضاه له شَوك. والطالح ضدّ الصالح. وجمل طليح: إذا أعيا فلم يتحرّك. وإبل طَلاحى تأكل الطَّلح.

التهذيب ٤ / ٢٨٣ ـ الطلح: شجر أُمّ غَيلان له شوك أحجنُ وهو من أعظم العِضاه شَوكاً وأصلبه عوداً وأجوده صَمغاً. قال والطَّلح في القرآن المَوز. وقال أبو إسحاق: جاء في التفسير إنّه شجر الموز، قال: والطَلح شجر أمّ غيلان أيضاً، وجاز أن يكون عُني به ذلك الشجر، لأنّ له نَوراً طيّب الرائحة جدّاً، فخوطبوا ووُعدوا ما يُحبّون مثله. وعن ابن السكّيت: الطلح مصدر طلَح البعير يطلَح طَلحاً: إذا أعيا وكَلَّ. والطَّلَح: النِّعمة.

❊ ❊ ❊

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الهُزال وخفّة البدن واللطف. وبهذه المناسبة قد أطلقت في موارد الكَلال والعَيّ.

ولعلّ إطلاق الطلح على أمّ غيلان بمناسبة اللطف والهزال في ذلك الشجر مع

www.attaweel.com

كونه أصلبَ وأجود ثمراً. وهكذا شجر الموز بالنسبة إلى ثمره.

وأمّا النعمة: فإنّ الهزال واللّطف في البدن من أعظم الأسباب في حصول التوفيق والسلوك إلى الخير والصلاح والشدّة في العمل والاستقامة في سبيل الحق، إذا كان توأماً بالصلابة والسلامة.

فلُطف البدن نعمة وتوفيق في نفسه يوجب كثرة الثمر ويلازم العافية والسلامة ودوام العمل، وفي قباله: السمن والثقل، فإنّ حمل الزائد على مقدار اللزوم والحاجة تكلّف وزحمة.

ما أصحابُ اليَمين في سِدر مَخضود وطَلح مَنضود وظِلّ مَمدود وماءٍ مَسكوب وفاكِهة كَثيرة ـ ٥٦ / ٢٥.

قلنا في سدر: إنّه بمعنى التحيّر من دون مقدّمة. وهو حالة الهَيَمان. والخَضد الانعطاف والليِنة.

فيكون الطَّلح إشارة إلى كونهم في لطف وهُزال وخفّة وصلب من دون أن يكون فيهم ثقل وكلفة يوجب استرخاءً وتساهاً وتوانياً.

والنضد هو التراكم والانضمام، إشارة إلى كونهم في حالة لطف وهزال مع كونهم في تراكم من لحوق الآلاء والألطاف الإلهيّة الروحانيّة.

ولا يخفى أنّ تفسير السدر والطلح بالشجر أيّ شجر كان: لا يناسب مقام أصحاب اليمين، مع أنّ الاستراحة والاستقرار تحت ظلّ هذه الأشجار ليس لها التذاذ وحظوظ روحانيّة لهم.

مضافاً إلى أنّ هذه النعم قد ذكرت بعدها:

وظلٍّ مَمدودٍ وفاكهةٍ كَثيرَة.

www.attaweel.com

وذكر جزئيّ من الفواكه والظلّ غير مناسب.

وفي انتخاب كلمتي السدر والطلح: لطف آخر، وهو سوق ذهن المستمع العاميّ المحجوب إلى معاني تناسب فهمه وتلائم إدراكه. ونظائر هذا كثيرة في كلمات القرآن الكريم. وهذا نهاية مرتبة الفصاحة والبلاغة.

ثمّ إنّ المراد من الهُزال واللطف في عالم المثال والقيامة: هو الخلوص عن أثقال الآثام وأوزار المعاصي وأحمال الذنوب وأوساخ الأعمال وأرجاس الأخلاق والصفات الرذيلة.

ولَيحملُنّ أثقالَهم وأثقالاً مَعَ أثقالهم.

والتعبير بالحمل مسامحة: فإنّ النورانيّة والظّلمة الحاصلة من الأعمال والصفات تكون زائدة محمولة على النفس، بل هي تكون من أطوارها وهذا حمل معنويّ، وفيها ثقل أكثر من الثقل المادّيّ. كما أنّ السمن والهزال في البدن كذلك، وليس أمراً زائداً على البدن.

* * *

طلع :

مصبا ـ طلعت الشمس طلوعاً من باب قعد، ومَطلعاً، بفتح اللّام وكسرها، وكلّ ما بدا لك من علوّ فقد طلع عليك، وطلعت الجبلَ طلوعاً، يتعدّى بنفسه، أي علوتُه. وطلعت فيه: رقيته وأطلعت زيداً على كذا مثل أعلمته وزناً ومعنىً، فاطّلع على افتعل، أي أشرف عليه وعلم به. والمطّلَع مفتَعل: موضع الاطّلاع من المكان المرتفع إلى المنخفض، وهول المطّلَع من ذلك، شبّه ما يُشرف عليه من أُمور الآخرة بذلك. والطليعة: القوم يُبعَثون أمام الجيش يتعرّفون طِلع العدوّ ـ أي خبره، والجمع طلائع. والطَّلع: ما يطلع من النخلة ثمّ يصير تمراً إن كانت أُنثى، وإن كانت ذكراً لم

www.attaweel.com

يصر تمراً بل يؤكل طريّاً ويترك على النخلة أيّاماً معلومة حتّى يصير فيه شيء أبيض مثل الدقيق، وله رائحة زكيّة فيلقح به الأُنثى.

مقا ـ طلع: أصل واحد صحيح يدلّ على ظهور وبروز، يقال طلعت الشمس طُلوعاً ومَطلَعاً، والمَطلِع: موضع طلوعها. ويقال طلع علينا فلان: إذا هجم. والطِّلاع: ما طلعت عليه الشمس من الأرض. والطَّلع طَلع النخلة، وهو الّذي يكون في جوفه الكافور. ومن الباب استطلعتُ رأيَ فلان إذا نظرت ما الّذي يبرز إليك منه. وطَلعة الإنسان: رؤيته لأنّها تطلُع.

التهذيب ٢ / ١٦٨ ـ طلعت الشمس تَطلُع طُلوعاً ومَطلَعاً، فهي طالعة. وكذلك طَلع الفجر والنجم والقمر. والمَطلِع: الموضع الّذي تَطلُع عليه الشمسُ ـ **إذا بلغ مَطلِع الشّمس**. وأمّا ـ **حتّى مَطلَعِ الفجر** ـ فإنّ الكسائيّ قرأها بكسر اللّام. وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وغيرهم بفتح اللّام. وقال الفراء: أكثر القرّاء على مطلَع، وهو أقوى في قياس العربيّة، بمعنى الطلوع. وقال الليث: طلع فلان علينا من بعيد، قال: وطَلعَتُه: رؤيتُه، يقال حيّا الله طَلْعتَك. قال: واطّلع فلان إذا أشرف على شيء، وأطلَع غيرَه. والطِّلاع: المطالعة، يقال طالعته مطالَعة وطِلاعاً. ويقال طلعتُ الجبل إذا علوته.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو العلوّ والظهور على شيء. فيقال طلعت الشمسُ على الأرض إذا ارتفعت وظهرت على الأرض بنورها. وهكذا يقال طلعتُ الجبلَ إذا علاه وأشرف عليه.

وأطلعت زيداً: جعلته طالعاً ومُشرِفاً. وطالعت الكتابَ: استمررت الإشراف

www.attaweel.com

عليه، مطالعة وطِلاعاً. واستطلعت رأيه: طلبت ظهور رأيه. واطّلعت الأمر: إذا اخترتَ الإشراف عليه. والطَّلعة للمرّة. والمَطلَع: مصدر ميميّ. والمطلِع للمكان.

وتَرى الشّمسَ إذا طلعت، قَبلَ طُلوع الشّمس، حتّى إذا بلغ مَطلِعَ الشّمس، سَلامٌ هيَ حَتّى مَطلَعِ الفَجر ـ يراد الظهور في اعتلاء.

وَما كانَ اللهُ لِيُطلِعَكُم عَلى الغَيب ـ ٣ / ١٧٩.

ليجعلكم مشرِفين عليه.

فاطّلَع فرآه في سَواءِ الجَحيم، أطّلعَ الغيبَ أم اتّخذَ، لو اطّلعتَ عليهم، لَعَلّي أطّلعُ إلى إله موسى، ولا تَزالُ تطّلعُ على خائِنةٍ منهم، نارُ اللهِ الموقَدة الّتي تَطَّلِعُ عَلى الأَفئِدَة ـ يراد الإشراف بقصد واختيار.

ولا يخفى أنّ الاطّلاع هو مطلق الظهور في اعتلاء بالقصد والاختيار، فإنّ الافتعال يدلّ على المطاوعة والرغبة. وهو إذا استعمل بحرف على: يدلّ على الاستعلاء والإحاطة. وإذا استعمل بحرف إلى: يدلّ على إشراف إلى جهة المطلوب وجانبه، لا على المطلوب نفسه. وإذا استعمل بلا واسطة حرف: يدلّ على مطلق الإشراف والاطّلاع. وإذا استعمل بحذف المتعلّق والمفعول: يدلّ على الاطّلاع العامّ بلا تقيّد.

فهذه الوجوه منظورة في هذه الآيات باختلاف استعمالاتها.

وأمّا الطَلع: وهو ما يظهر من النخلة حين بدوّ ثمرها أو غيره، وهو واقع في أعلى الشجرة من النخلة مُشرِفاً عليها ـ لَها طَلع نَضيد، ومن النخل مِن طَلعِها قِنوانٌ دانِية، وزروعٍ ونخلٍ طلعُها هَضيم.

والنضيد: المتراكم المنضمّ بعضه على بعض. والهَضيم: لطيف سريع الهضم. والقِنوان جمع قِنو كالصِّنو وهو العذق.

أم شجرةُ الزقّوم ... طَلعُها كأنّه رُءوسُ الشّياطين ـ ٣٧ / ٦٥.

قلنا إنّ الشجر هو المتجلّي المتظاهر المرتفع، وإذا نبت في أصل الجحيم وأكل منه الظالمون، فيناسب من جهة المعنى ما يتجلّى وينمو ويتظاهر من بواطن أهل جهنّمَ المحجوبين المبعَدين، من الاستكبار والأنانيّة الّتي هي من أعلى صفات الشياطين، فإنّ الشياطين مظاهر البُعد والاستكبار والظلمة، فيكون طلع الزقّوم وثمره المتظاهر المتجلّي منه كرؤوس الشياطين، الّتي فيها تتجلّى ما في بواطنهم وسرائرهم ـ راجع الشجر ـ الزقم.

إنّ شَجرةَ الزَّقّوم طعامُ الأثيم ـ ٤٤ / ٤٣.

❊ ❊ ❊

طلق :

مقا ـ طلق: أصل صحيح مطّرِد واحد، وهو يدلّ على التخلية والإرسال، يقال إنطلق الرجل ينطلق انطلاقاً ثمّ ترجع الفروع إليه، تقول أطلقته اطلاقاً. والطِّلق: الشيء الحلال، كأنّه قد خُلّي عنه فلم يُحظَر. ومن الباب عدا الفرس طَلَقاً أو طَلَقين، وامرأة طالق. وأطلقتُ الناقةَ من عِقالها وطلّقتها فطلقت. ورجل طَلْق الوجه وطَليقه، كأنّه منطلق، وهو ضدّ الباسر الّذي لا يكاد يهشّ ولا ينفسح ببشاشة. ورجل طَلِق اللسان وطَليقه. وهذا لسان طَلِق ذَلِق. وهذا أمر ما تَطّلق نفسي له: أي لا تنشرح له.

مصبا ـ طلّق الرجلُ امرأته تطليقاً، فهو مُطلِّق، فإن كثر تطليقه للنساء قيل مِطليق ومِطلاق، والإسم الطَّلاق. وطلقَتْ وهي تَطلُق من باب قتل، وفي لغة من باب قرُب، فهي طالق. فقال الليث: أراد طالقة غداً. وقال ابن الأنباري: إذا كان النعت منفرداً به الأُنثى دون الذكر لم تدخله الهاء نحو طالِق وطامِث وحائِض، لأنّه لا يحتاج

إلى فارق لاختصاص الأُنثى به. ويقال الطِّلق: المطلَق الّذي يتمكّن صاحبه فيه من جميع التصرّفات، فيكون بمعنى مفعول، مثل الذِّبح بمعنى المذبوح، وأعطيته من طِلق مالي، أي من حلّه أو من مطلَقه. وطُلِقت المرأة، بالبناء للمفعول طلقاً، فهي مَطلوقة: إذا أخذها المخاض وهو وجع الولادة. وطلُق لسانه طُلوقاً وطُلوقة، فهو طلق اللسان، وطَليقه أيضاً: أي فصيح عذب المنطق. واستطلقت من صاحب الدين كذا فأطلَقه. واستطلَق بطنُه، وأطلقه الدواء.

مفر ـ طلق: أصل الطلاق التخلية من الوثاق، يقال أطلقتُ البعير من عقاله وطلّقته، وهو طالق وطَلق بلا قيد. ومنه استعير طلّقت المرأةَ نحو خلّيتها، فهي طالِق، أي مُخلّاة عن حبالة النكاح. وانطلق فلان إذا مرَّ متخلِّفاً. وقيل للحلال طَلْق أي مُطلَق لا حظرَ عليه. وطلَقَ يدَه وأطلقها: عبارة عن الجود.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو رفع حصر، سواء كانت المحصوريّة طبيعيّة، أو بتقييد ثانويّ، أو بتعهّد.

فالأوّل كما في:

ولا ينطلق لساني ـ ٢٦ / ١٣.

والثاني كما في:

إذا انطلقتُم إلى مَغانم لِتأخذوها ذَرونا نَتَّبعكُم ـ ٤٨ / ١٥.

والثالث كما في:

وإذا طلّقتم النِّساءَ فبلغنَ أجلَهنّ ـ ٢ / ٢٣١.

www.attaweel.com

فالنكاح والتزوّج محصوريّة حاصلة بعقد وتعهّد فيما بين الزوجين، يوجب الالتزام بلوازمه، والطلاق رفع تلك المحصوريّة، وجعل المرأة منطلِقة مرسَلة من حدود الزوجيّة.

والفرق بين الإطلاق والتطليق: أنّ النظر في الأوّل إلى جهة الصدور من الفاعل، وفي الثاني إلى جهة الوقوع والتعلّق بالمفعول. ففي التطليق يلاحظ رفع الحصر من المفعول به وكونه مطلّقاً.

إذا طلَّقتم النِّساء، ثُمَّ طلّقتُموهنّ، إن طلَّقكنّ، فطلِّقوهنّ.

وهذا بخلاف قولهم ـ أطلقتُه إطلاقاً ـ فالنظر إلى جهة الصدور.

وأمّا الطلاق: فهو إسم مصدر، ويدلّ على ما يتحصّل من التطليق.

وأمّا الفعل المجرّد: فيستعمل لازماً فيقال طلُق فهو طليق وطِلق. ومتعدّياً فيقال طلقتُه فهو مطلوق.

والانطلاق يدلّ على القبول، فيقال أطلقتهُ فانطلق، فهو بمعنى ارتفاع المحصوريّة وأن يكون العمل والحركة بلا مانع، فيستعمل في حركة أو عمل أو مشي أو سير يرتفع فيها المانع والتقيّد والمحدوديّة ـ **إذا انطلَقْتُم إلى مَغانم لتأخذوها ذَرونا** ـ أي حين يرتفع الحدّ والحصر من جانب العدوّ وتحصّل الانطلاق ممتدّاً إلى جهة المغانم.

وانطلَق المَلأُ مِنهُم أن امشوا واصبروا على آلِهتكُم ـ ٣٨ / ٦.

أي فإذا ارتفع التقيّد في قبال الدعوة والمخاطبة قالوا أن امشوا.

انطلِقوا إلى ما كُنتُم به تُكذِّبون انطلِقوا إلى ظِلّ ذي ثَلاث شُعَب ـ ٧٧ / ٢٩.

أي فيرتفع عنهم الحصر ويقال لهم: أنتم مختارون في الحركة إلى هذا الجانب.

فالانطلاق هو ارتفاع الحصر، وأمّا الذهاب والسير والحركة وأمثالها: فمن آثار

www.attaweel.com

ارتفاع الحصر وتستفاد بالقرينة الحاليّة والكلاميّة.

فالنظر في موارد استعمال هذه الكلمة إلى جهة ارتفاع الحصر فقط.

وأمّا شرائط الطلاق وأحكامه وآثاره: فقد تذكر في أواخر سورة البقرة، وفيها:

وإن عزَموا الطّلاقَ فإن الله سَميعٌ عَليم - ٢ / ٢٢٢.

فأشار إلى لزوم رعاية العدل الكامل وحفظ الحقوق، بحيث يَرون الله تعالى حاضراً وشاهداً عليهم وعلى أقوالهم وأعمالهم وأفكارهم ونيّاتهم، فهو تعالى يسمع ما يقولون ويعلم ما ينوون في قلوبهم ويُخفون في ضمائرهم.

ثمّ يصرّح تعالى بلزوم إجراء برنامج - الإمساك بمعروفٍ أو التسريح بإحسان - حين العمل بعزم الطلاق إثباتاً أو نفياً.

فقد ذكر التسريح والمفارقة في القرآن الكريم في سبعة مواضع مقيّداً بالمعروف والجميل والإحسان، ونهي عن الإمساك ضِراراً.

فكما أنّ النكاح قد وقع بمعروف وصلاح وتوافق ورغبة: كذلك يلزم أن يقع الفراق بينهما أيضاً بمعروف وبسراح جميل وتوافق كامل، وذلك إذا شاهدا أنّ الفراق خير وصلاح لهما.

ثمّ يذكر بعد وقوع الطلاق: لزوم رعاية أمر آخر في حقّ المطلّقة:

وللمطلَّقاتِ متاعٌ بالمعروف حقّاً عَلى المتّقين - ٢ / ٢٤١.

فعلى الرجل المتّقي تأمين متاع المطلّقة ومعيشتها ما دام لم تؤمَّن من جانب آخر، وهذا أعمّ من النفقة في زمان العِدّة، بقرينة قوله تعالى - عَلى المتَّقين - ولم يقل على الرجال الّذين طلَّقوا، والتعميم ليشمل كلّ متّقٍ إذا فُقِد الزوج.

* * *

طلّ:

مصبا ـ الطَّلَل: الشاخص من الآثار، والجمع أطلال وربّما قيل طُلول، وشخصُ الشيء: طَلَلُه، وطَلَل السفينة: غطاء يغشى به كالسقف. وطَلَّ السلطانُ الدمَ طَلّاً من باب قتل: أهدرَ. ويستعمل لازماً أيضاً فيقال طلّ الدمُ من باب قتل، ومن باب تعِب لغة. وأنكره أبو زيد وقال لا يستعمل إلّا متعدّياً، فيقال طلّه السلطان إذا أبطله وأطلّه بالألف أيضاً، فطُلَّ وأُطِلّ. وأطلّ الرجل على الشيء مثل أشرف عليه وزناً ومعنى. وأطلّ الزمان أيضاً: قرب. والطَّلّ: المطر الخفيف ويقال أضعفُ المطر.

مقا ـ طلّ: يدلّ على أصول ثلاثة: أحدها ـ غَضاضة الشيء وغَضارته. والآخر الإشراف. والثالث ـ إبطال الشيء. فالأوّل الطَّلّ وهو أضعف المطر، إنّما سمّي به لأنّه يحسّن الأرض، ولذلك تسمّى امرأة الرجل طَلّته، قال بعضهم: إنّما سمّيت بذلك لأنّها غَضّة في عينه كأنّها طَلّ. والباب الآخر ـ الطَّلَل: وهو ما شخَص من آثار الديار، ومن ذلك أطلّ على الشيء إذا أشرف. وطَلَل السفينة: جلالها، والجمع أطلال. وتطاللتُ إذا مددتَ عنقك تنظر إلى الشيء ببعد عنك. وأمّا إبطال الشيء: فهو إطلال الدماء وهو إبطالها، وذلك إذا لم يُطلَب لها.

التهذيب ١٣ / ٢٩٤ ـ قال الليث: الطَّلّ: المطر الصغار القطر الدائم وهو أرسخ المطر ندىً، ويقال طلّت الأرض، ويقال رحُبت بلادك وطلّت. أبو عبيد الأصمعي: أخفّ المطر وأضعفه: الطَّلّ، ثمّ الرَّذاذ، ثمّ البغش، وقد طُلّت السماء. وقال الكسائيّ: أرض مطلولة من الطَّلّ. وقال الليث: الإطلال: الإشراف على الشيء. وعن الأصمعيّ: الطَّلَل: ما شخص من الديار، والرسم ما كان لاصقاً بالأرض. وعن الفرّاء: الطُّلّة: الشربة من اللّبن. والطَّلّة: النعمة. والطَّلّة: الخمرة السلسة. والطِّلّة: الحُصر. وعن ابن الأعرابيّ: الطَّليل: الحصير. وقال أبو زيد: للنَدى الذي يُخرجه عروق الشجر إلى

غصونها طَلّ، ويقال: رأيت نساءً يتطاللن من السطوح، أي يتشوّفن، وطُلّ دمه، وطَلّه الله. عن خالد: طلَّ بنو فلان فلاناً حقَّه، إذا منعوه إيّاه وحبسوه منه.

قع ـ (طِلّل) (١) ـ ظَلَّل، سَقَّف.

= (طِلّل) (٢) ـ نَدّىٰ، بَلّل، خَضّل.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو طراوة مع نَدى، ومن مصاديقه: المطر بقطرات صغار مع الرخوة، والأرض الطريّة.

وبتناسب هذا المعنى تطلق على الحصير، وما يخرج من عروق الشجر إلى الغصون، والمرأة الناعمة الليّنة، وما ينبت ويشخص من الديار إذا كان طريّاً، وعلى إشراف فيه طراوة وطيبة ولطف.

وأمّا إطلال الدم: فباعتبار إبقائه رطباً، وهو غير يابس ولم يُثأر له.

وأمّا السقف والجلال: فهو مأخوذ من اللغة العبريّة. مضافاً إلى أنّ التسقيف يوجب طراوة ونداوة في المكان.

فكلّ من هذه المعاني لازم أن يلاحظ فيه القيدان، لا مطلقاً.

ومَثَلُ الَّذينَ يُنفِقونَ أموالَهُم ابتغاءَ مَرضات الله ... كَمَثَل جَنَّة بِرَبوة أصابَها وابلٌ فآتت أُكُلها ضِعفَين فإن لم يُصِبها وابلٌ فطَلّ ـ ٢ / ٢٦٤.

الطَّلّ كالصَّعب صفة، والمراد هو الجنّة وما يتعلّق بها، فإنّ ذلك المحيط الواقع في ارتفاع: طلّ فيه طراوة ونداوة، بلطافة الهواء وبترشّحات الندى من داخل وخارج.

www.attaweel.com

فالإنفاق إذا كان في الله وفي سبيل مرضاته: فهو في نفسه كالمحيط الطَّلّ فيه طراوة ونداوة وفيه اقتضاء التزايد والتضاعف والنموّ، ولا سيّما إذا لحقه لطف غيبيّ وأصابه وابل من الرحمة والفضل الرحمانيّة.

ولا يصحّ تفسير الطلّ في هذا المورد بالمطر الضعيف: فإنّ موضوع الكلام هو الجنّة فإذا أصابها وابل فهي حينئذ تأتي بأُكلها ضعفين، وإذا لم يُصبها وابل فتكون طَلّاً فيها طراوة ونداوة بمقتضى محلّها وبرودة هوائها.

وأمّا استعمال الطَّلّ في مورد التأنيث: مضافاً إلى غلبة الإسميّة على الوصفيّة فيه، أنّ نظائره كثيرة، كالزَّوج والكَلّ والقَرن.

ولا يخفى أنّ إرادة المطر من الطلّ لا يلائم هذا التعبير في الآية، واللّازم أن يعبّر كذلك ـ فإن لم يوجد وابل فطلّ محتمل، فإنّ المطر الوابل وهو كبار القطر ليس بنقيض الطلّ بمعنى المطر صغار القطر، حتّى لا يرتفعان بل ضدّان لا يجتمعان ويرتفعان.

فتفريع وجود الطلّ على انتفاء الوابل بمعنى المطر فيهما غير صحيح.

ثمّ إنّ إصابة وابل الرحمة والرأفة والعناية الإلهيّة متوقفة على ابتغاء مرضاة الله وأن يكون الإنفاق لله.

❊ ❊ ❊

طمث:

مصبا ـ طمَث الرجلُ امرأته طمثاً من بابي ضرب وقتل: اقتضّها وافترعها، ولا يكون الطمث نكاحاً إلّا بالتدمية، وعليه ـ لم يَطمِثهنّ ـ أي لم يُدَمِّهنّ بالنكاح. وفي تفسير الآية عن ابن عبّاس: لم يطمث الإنسيّةَ إنسيّ ولا الجنّيّةَ جِنّيّ. وطمثت المرأة طمثاً من باب ضرب: إذا حاضت. وبعضهم يزيد عليه أوّلَ ما تحيض، فهي طامث بغير هاء. ومن باب تعِب لغة.

www.attaweel.com

مقا ـ طمث: أصل صحيح يدلّ على مسّ الشيء. قال الشيبانيّ: الطـمث في كلام العرب: المسّ، وذلك في كلّ شيء. يقال ما طمثَ ذا المَرتعَ قبلنا أحدٌ. ومن ذلك الطامِث وهي الحائض. ويقال طمَث الرجلُ المرأة: مسّها بجماع. وهذا في هذا الموضع لا يكون بجماع وحده. قال الخليل: طمثتُ البعيرَ: إذا عقلتَه.

الاشتقاق ٣٧٤ ـ ما طمث هذا البعيرَ حبلٌ قطّ ـ أي ما مسّـه ـ لم يَطمِثهنّ ـ أي لم يمسسهنّ. والطمث معروف، كأنّه مأخوذ من طَمثَها الدم أي مسّها وخالطها.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحـد في المادّة: هو مسّ مؤثّر يوجب تصرّفاً في الشيء. ومن ذلك الاقتضاض والافتراع، أي الجماع بالتدميـة وإخراج الدم، كما في إزالة البكارة. ومن ذلك حالة الحيض الموجب في البدن تأثّراً مخصوصاً بخروج الدم، فالطامث في الحقيقة هو تلك الحالة، ثمّ أطلق على مَن يتأثّر منها، ومن ذلك العقال والحبل المقيِّد للبعير.

وبينها وبين مادّة الطمس اشتقاق أكبر.

فيهنّ قاصراتُ الطرف لَم يَطمِثهنّ إنسٌ قبلَهم ولا جانّ ـ ٥٥ / ٥٦.

حورٌ مقصورات في الخِيام ... لم يطمِثهنّ إنسٌ قبلهم ولا جانّ ـ ٥٥ / ٧٤.

ولا يخفى أنّ الحور مخلوقة لطيفة متناسبة روحانيّة بتناسب روحانيّة كلّ من أهل الجنّة، يستأنسون بها ويلتذّون من مصاحبتها في الجنّة.

ولمّا كان أهل الجـنّة يتنزّهون من الأرجاس ويتطهّرون من كثافات الجسـد المادّيّ، ويصيرون أجساماً لطيفة مطهّرة، جسماً وروحاً، ظاهراً وباطناً، فيتقرّبون من

عوالم الملكوت الأدنى والأعلى، كلّ بحسب مرتبته ومقامه: فتكون الحـور أيضاً من ذلك العالم.

فحينئذ يصحّ التعبير بقوله تعالى:

لَم يَطمِثهنّ إنس قبلهم ولا جانّ.

وهذا إشارة إلى كمال الطّهارة والقداسة والنّزاهة فيها، بحيث لم يَطمـثهنّ أحد من الجنّ والإنس، وهذا المعنى بمقتضى فطـرتها الطاهرة القادسـة المسـتفادة مـن القاصرات المقصورات.

وأمّا التعبير بالجانّ: فإنّ التعدّي والنظر السوء والتأثير غير الجائز إنّما يتصوّر أن يتحقّق من جانب أفراد الإنس أو الجانّ في أيّ عالم.

وأمّا الملائكـة والأرواح الطيِّـبة: فهم مبرّأون ومنزّهـون مـن أمـثال هـذه الانحرافات والتمايلات المتعدّية عن الحقّ.

فالطمث هو المسّ المؤثّر بحيث يصدق فيه التصرّف بأيّ نحو كان.

* * *

طمس:

مصبا ـ طمست الرجل طمساً من باب ضرب: محوتُه، وطمسَ هو، يَتعدّى ولا يَتعدّى. وطمسَ الطريقُ يطمِس ويَطمُس طُموساً: درس.

مقا ـ طمس: أصل يدلّ على محـو الشيء ومسـحه، يقال: طمستُ الخـطَّ، وطمستُ الأثر. والشيءُ طامِسُ أيضاً.

مفر ـ الطَّمْس: إزالة الأثـر بالمحـو ـ وإذا النّجـومُ طُمِست. لطَمَسْـنا على أعينهم، أي أزَلنا ضوءها وصورتها كما يُطمس الأثر. مِن قبل أن نَطمِس وجوهاً ـ

فتصيرَ صُوَرهم كصور القِردة والكلاب، أو أن تصير عيونهم في قفاهم في الآخرة، أو يردّهم عن الهداية، أو الأعيان والرؤساء، ونجعلَ رؤساءهم أذناباً، وذلك أعظم سبب البَوار.

الجمهرة ٣ / ٢٨ ـ والطَّمْس: طمسُك الأثر وغيره، مثل المحو، وكلّ شيء غطّيته فقد طمستَه، ومنه قولهم ـ طمسَ الله عينَه، وطريق طامِس أي دارس. وطاسم أيضاً، إذا دثرت أعلامه.

الأفعال ٢ / ٢٩١ ـ طمس الشيءُ طموساً: درَس، والقمر والنجم والبصرُ: ذهب ضوؤها، والقلبُ: فسد، والشيء: بعد. وطمستُ الشيءَ طمساً: أهلكته، وأيضاً محوته. وطَسَم الشيءُ: درس، وطسمته أنا.

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو المَسّ الشديد يوجب زوال نظم وصورة في الشيء. وهذا أقوى من مفهوم الطمث، كما أنّ المسّ أعمّ منهما.

وأمّا مفاهيم ـ ذهاب الضوءِ، إزالة الأثر، إزالة الصورة، الفساد، التغيير: فمن مصاديق الأصل. وأمّا المسح المطلق، والدرس، والبُعد، وأمثالها: فمن آثاره أو لوازمه.

وَلَقَد راوَدُوه عَن ضَيفِه فَطمسنا أعيُنَهم ـ ٥٤ / ٣٧.

آمنوا بِما نزَّلنا مُصدِّقاً لما معكُم مِن قَبلِ أن نَطمِسَ وجوهاً ـ ٤ / ٤٧.

فإذا النّجومُ طُمِست وإذا السَّماء فُرجَت ـ ٧٧ / ٨ .

يراد إزالة نظم الصورة فيها، بحيث تختلّ آثارها ونتائجها المترتّبة عليها.

www.attaweel.com

وأمّا خصوصيّات الطمس في هذه الموارد: فأمور جزئيّة غير قابلة البحث.

ربّنا اطمِسْ عَلى أمواِلهم واشدُد على قلوبهم ـ ١٠ / ٨٨ .

ولو نَشاء لَطَمَسْنا عَلى أعيُنِهم فاستَبقوا الصِّراطَ ـ ٣٦ / ٦٦.

فاستعمل الطمس في الآيتين بحرف على: إشارة إلى تحقّقه بالاستيلاء والاستعلاء والتسلّط فإنّ النظر في التعبير الأوّل إلى مطلق وقوع الطمس، بخلاف هذين الموردين فالمنظور فيهما تحقّقه بإحاطة واستيلاء وبأيّ نحو يُشاء.

والموردان أيضاً يقتضيان ذلك المعنى: فإنّ موسى (ع) يطلب من الله تعالى كون أموالهم خارجة عن تسلّطهم، حيث إنّ المال هو السبب لطغيانهم ـ إنَّ الإنسانَ لَيَطغى أن رآهُ استَغنى ـ وبوسيلته يفعلون ما يفعلون.

والثانية في مقام إثبات الاستيلاء الكامل عليهم إذا شاء، والطمس على أعينهم بحيث لا يقدرون الاستباق في أيّ طريق ولا يستطيعون مشاهدة ما بين أيديهم.

والتعبير بالأعيُن دون الأبصار: إشارة إلى أنّ بصائرهم المعنويّة وإدراكاتهم الباطنيّة قد عميت وكانت مطموسة، ولم تبق لهم إلّا هذه الأعين الظاهريّة من أعضاء البدن.

والتعبير بالوجوه: إشارة إلى جهة الوجهة والتوجّه وإزالة نظمها.

* * *

طمع :

مصبا ـ طمِعَ في الشيءِ طَمَعاً وطَماعاً وطَماعِيّةً، فهو طمِعٌ وطامِع، ويَتعدّى بالهمزة فيقال أطمعتُه، وأكثر ما يستعمل فيما يقرب حصوله، وقد يستعمل بمعنى الأمل، ومن كلامهم ـ طمَعٌ في غير مَطمَع، إذا أملَ ما يبعُد حصوله.

www.attaweel.com

مقا ـ طمع: أصل واحد صحيح يدلّ على رجاء في القلب قويّ للشيء، يقال طمِع في الشيء طَمَعاً. ولَطَمُعتَ يا زيد ـ عند التعجّب، ويقال امرأة مِطماع ـ لِلّتي تُطمِع ولا تُمكِن.

صحا ـ طمع في الشيء طَمَعاً، فهو طَمِع وطَمْعٌ. وأطمعَه فيه غيرُه، ويقال في التعجّب ـ طَمُعَ الرجلُ، أي صار كثير الطمع، وخرُجت المرأةُ فُلانةٌ، إذا صارت كثيرةَ الخروج، وقَضُوَ القاضي فلان، وكذلك التعجّب في كلّ شيء، لأنّ صور التعجّب ثلاث: ما أحسنَ زيداً، وأسمِع به، وكبُرت كلمةً. وقد شذّ عنها نِعم وبئس.

مفر ـ الطمع نُزوع النفس إلى الشيء شهوةً له. ولمّا كان أكثر الطمع من أجل الهوى قيل الطمع طبع.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يقابل الاستغناء في النفس، فهو عبارة عن تمايل النفس إلى ما هو خارج عن يده.

وهذا من الصفات المهلكة، ومن آثار حبّ الدنيا، وقد ورد أنّ الطمع ذلّ كما أنّ الاستغناء عمّا في أيدي الناس عزّ.

وقد يكون الطمع إلى أمر مستحسن وإن لم يكن الطامع مستحقّاً: وهذا ليس بقبيح، بل يكون مستحسناً، إذا كان التمايل صحيحاً.

فالطّمع المذموم القبيح، وهو التمايل إلى الوصول بشيء ليس بحقّ، كالتمايل إلى ما في يد غيره ولا استحقاق له فيه بوجه: كما في:

إن اتقيتُنّ فلا تخضعنَ بالقول فيَطمعَ الَّذي في قَلبه مَرَض ـ ٣٣ / ٣٢.

فهذا تمايل إلى ما لا يجوز له وليس له وجه صحيح في ذلك التمايل.

www.attaweel.com

وكما في:

فما لِلَّذينَ كَفَروا... أيَطمع كُلُّ امرئ مِنهُم أن يُدخَل جنَّةَ نَعيم ـ ٧٠ / ٣٨.

وهذا تمايل إلى أمر من دون أن يُهيِّئ أسبابَه وشرائطه.

وهكذا قوله تعالى:

ذَرني ومَن خَلقتُ وَحيداً وجعلتُ لَهُ مالاً مَمدوداً ... ثُمَّ يَطمع أن أزيد ـ ٧٤ / ١٥.

من دون استحقاق وبلا جهة.

وأمّا الطمع المستحسَن، وهو إذا كان التمايل إلى أمر مستحسن صحيح وهو يستعدّ له ويُهيِّئ وسائله ومقدّماته: كما في:

والَّذي أطمعُ أن يغفر لي ـ ٢٦ / ٨٢.

ونَطمع أن يُدخِلنا ربُّنا مَعَ القَوم الصّالحين ـ ٥ / ٨٤.

انّا نَطمع أن يَغفر لَنا ربُّنا خطايانا ـ ٢٦ / ٥١.

فطمع المغفرة ودخوله مع الصالحين من الله الرحمن الرحيم لا مانع له إذا استعدّ له، بل إنّه مأمور به وممّا تقتضيه العبوديّة، كما قال تعالى:

وادعوه خَوفاً وطمَعاً ـ ٧ / ٥٦.

تَتجافى جُنوبُهم عَن المَضاجع يَدعون ربّهم خَوفاً وطَمعاً ـ ٣٢ / ١٦.

فالخوف: بلحاظ التوجّه إلى قصور نفسه وتقصيره وكونه مذنباً في جنب مولاه ولو جاهد بأيّ مجاهدة. والطمع: بلحاظ النظر إلى رحمته ورأفته وجوده وكرمه العامّ، وبتوقّع الإفاضة منه تعالى.

وهاتان الجهتان الناظرتان إلى جانب المثبَت وهو الطمع، وإلى جانب المنفيّ

www.attaweel.com

وهو الخوف: لابدّ من أن تكونا ملحوظتينِ في تمام المراحل.

فيقول تعالى:

هوَ الَّذي يُريكُم البَرْقَ خَوْفاً وطَمَعاً ويُنشئ السّحابَ الثِّقال ـ ٢٣ / ١٢.

ومِن آياتِهِ يُريكُم البَرْقَ خَوْفاً وطَمَعاً ـ ٣٠ / ٢٤.

نصب خوفاً: لأنّه مفعول لأجله، أي يـريكم البرق لأجـل حـصول حـالة الخوف والطمع اللّازمين للسالك إلى الله تعالى.

فإنّ البرق إنارة، والإنارة فيها إضاءة ونور ورحمة، ونارٌ وإحراق. فالبرق فيه استعداد كلّ منهما، ويوجب للشاهد حصولَ حالة الخوف من نزول عذاب، وحالة الطمع من توجّه نور ورحمة.

وأمّا كـون إراءة البرق آيـة، أي إراءة اللّـمعان المخـصوص الحـاصل بشـدّة وضغطة: فإنّ التوجّه إلى حدوثه وخصوصيّاته وعلل وجوده في السماء: من آيـات عظمته وقدرته وتدبيره وربوبيّته.

والتعبير بالإراءة: فإنّ إراءة البرق توجب حصول خـوف وطـمع، لا البرق ووجوده في نفسه بدون قيد الإراءة، كما في سائر المنظومات السماويّة.

فظهر أنّ حكم الطمع يختلف باختلاف نيّة الطامع وموارد الطمع وما به يتعلّق الطمع، فيكون مستحسناً أو قبيحاً.

* * *

طمّ:

مقا ـ طمّ: أصل صحيح يدلّ على تغطية الشيء للشيء حتّى يسوّيه به الأرض أو غيرها. من ذلك قولهم ـ طمَّ البئرَ بالتراب: ملأها وسوّاها، ثمّ يحمل على ذلك،

www.attaweel.com

فيقال للبحر الطِّمّ، كأنّه طمّ الماءُ ذلك القرار. ويقولون: له الطِّمّ والرِّمّ ـ فالطِّمّ: البحر، والرِّمّ: الثرى، ومن ذلك قولهم: طمَّ الأمرُ: إذا علا وغلب. ولذلك سمّيت القيامة: الطامّة. فأمّا قولهم: طمَّ شَعَره إذا أخذ منه: ففيه معنى التسوية وإن لم يكن فيه التغطية. ومن الباب الطِّمطِم: الرجل الّذي لا يُفصح كأنّه قد طُمّ كما يُطمّ البئر.

مصبا ـ طممت البئرَ وغيرَها بالتراب طَمّاً من باب قتل: ملأتها حتّى استوت مع الأرض، وطمّها التراب: فعل بها ذلك.

التهذيب ١٣ / ٣٠٦ ـ قال الليث: الطمّ: طمُّ البئرِ بالتراب وهو الكَبْس. ويقال للشيء الّذي يَكثر حتّى يعلو: قد طَمّ، وهو يَطُمّ طمّاً، وجاء السّيل فَطَمّ على كلّ شيء: أي علاه. وقال الفرّاء: فإذا جاءت الطامّة ـ هي القيامة تَطُمّ على كلّ شيء، ويقال تَطِمّ. وقال الزجّاج: الطامّة: هي الصّيحة الّتي تطِمّ على كلّ شيء. وقال الأصمعيّ: طمّ البعير يطُمّ طمياً: إذا مرّ يعدو عَدواً سهلاً.

قع ـ (طامَم) أغلَق، سدَّ، أحكم السدادَ والإغلاق.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو علوّ في تغطية وإغلاق. وأمّا مطلق التغطية أو العلوّ أو الإغلاق أو الملء أو الغلبة أو غيرها: فليس بأصل، بل من لوازمه.

فكلّ من موارد استعمال المادّة لابدّ أن تلاحظ فيه هذه القيود، كما في قولهم ـ طمّ البئرَ، وطمّ السيلُ كلَّ شيء، وطمّ الأمرُ.

وأمّا بقيّة الموارد: فمعاني مجازيّة تناسب الأصل.

فإذا جاءَت الطامّةُ الكُبرى يَوْمَ يَتَذكَّرُ الإنسانُ ما سَعىٰ وبُرِّزت الجَحيمُ لِمَن

www.attaweel.com

يَرى ـ ٧٩ / ٣٥.

أي عالَمٌ يَطمّ كلَّ شيء من مجاري الأُمـور وآمال الناس وأفكارهم وأعمالهم والحوادث الدنيويّة والجريانات العامّة المادّية والعناوين الظاهريّة.

فمحيط هذا العالم يَعلو ويُغطّي ويُغلق كلّ شيء، ويجعلها تحت سيطرته وحكومته ونفوذه، ويملأ ويُسوّي ويحيط كلّ محلّ:

يَومَ تُبدّل الأرضُ غيرَ الأرض والسَّمٰوات وبَرزوا لِلّهِ ـ ١٤ / ٤٩.

فيومئذ يُطَمّ كلّ شيء إلّا ما كان فيه وجهُه:

كُلُّ مَن عَلَيها فانٍ ويَبقَى وجهُ ربّك، وبَرزوا لِلّهِ.

ولا يخفى التناسب لفظاً ومعنىً بين المادّة وموادّ الطمث والطمس، فالطمّ يدلّ على مسّ أشدَّ من الطمس، كما أنّ الطمس كان أشدّ من الطمث، والطمث أيضاً أشدّ من الطّمع. وهذه المراتـب يدلّ عليها الشـدّة في حروف ـ ع ـ ث ـ س ـ م ـ على الترتيب.

مضافاً إلى التضاعف في كلمة الطمّ.

وأمّا تتمّة الآية ـ وبُرِّزَت الجَحيمُ ـ وذكر بروز الجحيم: فإنّ الطامّة إنّما يظهر أثرها في المذنبين، وهم الّذين تعلّقوا بالدنيا وزخارفها وشهواتها وملتذّاتهـا، فـتُطَمّ تلك الأُمور وتفنى بإقبال عالـم الآخرة، وبُرّزت الجحيمُ الّتي في بواطـن أفكـارهم وأعمالهم.

وأمّا أهل الله: فلا تعلّق لهم بالدّنيا، فهم أهل آخرة وروحانيّة قد طَمّوا آمالهم الدنيويّة وأفنوها وأماتوا نفوسهم قبل أن يموتوا.

فالطامّة لاتؤثّر في خصوص أشخاصهم، ولاتتعلّق بهم، فإنّهم يومئذ يتذكّرون

www.attaweel.com

في مساعيهم الحقّ، ويشاهدون في بواطن سلوكهم الجنّة، ولا يتوجّهون إلّا إلى وجه الربّ ـ يَومئذٍ يَتذكَّر الإنسانُ ما سَعى.

* * *

طمن :

مصبا ـ اطمأنَّ القلبُ: سكن ولم يَقلق، والإسم الطُّمأنينة. واطمأنّ بالموضع: أقام به واتّخذه وطناً. وموضع مطمئنّ: منخفض. قال بعضهم: والأصل في اطمأنّ الألف مثل احمارّ واسوادّ، لكنّهم همّزوا فراراً من الساكنين على غير قياس. وقيل الأصل طَأمن الرجلُ ظهرَه على فأعل، وأُخّرت على الميم. ويجوز تسهيل الهمزة فيقال طامَن، ومعناه حناه وخفضه.

مقا ـ طمن: أُصيل بزيادة همزة، يقال إطمأنَّ المكانُ يطمئنّ طُمأنينةً. وطامنت منه: سَكّنت.

مفر ـ الطُّمأنينة والاطمينان: السكون بعد الانزعاج ـ ولتطمئنَّ به قلوبُكم. يا أيّتُها النَّفسُ المطمئِنَّة: وهي أن لا تصير أمّارةً بالسوء.

التهذيب ١٣ / ٣٧٧ ـ طمن: قال اللّيث: اطمأنّ قلبُه إذا سكن، وقيل في تفسير ـ يا أَيَّتُها النَّفسُ المُطمئنَّة: هي الّتي اطمأنّت بالإيمان وأخبتت لربّها. وقوله ـ ولكن لِيَطمئنَّ قَلبي: أي ليسكن إلى المعاينة بعد الإيمان بالغيب. والإسم الطُّمأنينة. ويقال طامَن ظهرَه إذا حناه، بغير همز، لأنّ الهمزة الّتي حلّت في اطمأنّ إنّما حلّت فيها حذار الجمع بين الساكنين. ومنهم من يقول: طأمَن بالهمزة.

لسا ـ طمن: طأمَن الشيءَ: سكّنه. والطُّمأنينة: السكون، واطمأنّ الرجل اطمئناناً وطُمأنينة: أي سكن. ذهب سيبويه إلى أنّ اطمأنّ مقلوب وأنّ أصله من

www.attaweel.com

طأمَن، وخالفه أبو عمرو فرأى ضدّ ذلك. وحجّة سيبويه: أنّ طأمَن غير ذي زيادة، واطمأنّ ذو زيادة، والزيادة إذا لحقت الكلمةَ لحقها ضرب من الوهن لذلك، وذلك إذا لحقها ضربٌ من الضعف أسرع إليها ضعف آخر، وطمن غير مستعمل.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو سكون بعد اضطراب، أي رفع الاضطراب واستقرار حالة السكون، مادّياً أو معنويّاً.

فالاطمينان المادّيّ: كما في:

ضَربَ الله مَثلاً قَريةً كانَت آمِنةً مطمئـنَّةً يأتيها رزقُها رَغَداً مِن كُلّ مَكان فكفرت بأنعُم الله فأذاقَها الله لباسَ الجوع والخوف ـ ١٦ / ١١٢.

فالقرية: مجموع محلّ فيها عمارة وزراعة وجمع من الناس مع وسائل تعيّشهم. والاطمينان فيها إنّما يحصل بنظم أمورهم وتهيّؤ أسباب حياتهم وعيشهم وجريان برنامج العدالة بينهم. بحيث لا يُرى فيها اضطراب واختلال من جوع أو خوف أو ظلم أو فساد أو عصيان.

والاطمينان المعنويّ: كما في:

وما جَعَلَه اللهُ إلّا بُشرى ولتَطمئنَّ به قُلوبُكم ـ ٨ / ١٠.

ألا بِذِكر الله تَطمئنُّ القُلوب ـ ١٣ / ٢٨.

يا أَيَّتُها النَّفسُ المُطمئنَّة ارجِعي إلى ربّك راضيةً مَرضيّة ـ ٨٩ / ٢٧.

إلّا مَن أُكره وقلبُه مطمئنّ بالإيمان ـ ١٦ / ١٠٦.

www.attaweel.com

فالاطمينان في القلب إنّما يتحصّل بنور اليقين والشهود بحيث يرتفع الاضطراب والتزلزل والتردّد.

وهو إمّا مطلق أو في مقابل أمر معيّن وبالنسبة إليه: فالأوّل ـ كما في آيتي ـ ٢، ٣. والثاني كما في ـ ١، ٤. فإنّ اطمينان قلوبهم في الأُولى في مورد غزوة بدر من جهة العدوّ:

إذ تستَغيثونَ رَبّكُم فاسْتَجابَ لَكُم أنّي مُمِدُّكُم بألفٍ مِنَ الملائِكَةِ مُرْدِفين.

والرابعة ـ تتعلّق بما أُكره فيه من جهات الأُصول والاعتقاد.

وأمّا حصول الاطمينان في ـ ٢، ٣: فمطلق، ويراد تحقّق الطمأنينة المطلقة في النفس وخروجها عن مطلق الاضطراب والتردّد والتزلزل في جميع مراحل الإيمان بالله تعالى وبأسمائه وصفاته وأفعاله ويوم البعث.

وهذه الطُمأنينة لا تستقرّ في قلب إلّا بعد تحقّق المعرفة الشهوديّة ورسوخ نور اليقين، حتّى يشاهد إحاطته وعلمه وقدرته وقيّوميّته ونفوذ إرادته وحكمه وسلطانه، ثمّ عبوديّة نفسه وفقره وذلّه.

وتدلّ آية ٣: على أنّ للطمأنينة آثاراً ونتائج مترتّبة عليها:

١ ـ إرجِعي إلى رَبِّك: فإنّ من تحصّل له الاطمينان واليقين ونور المعرفة في الله وبالله: فهو منقطع قهراً إلى الله ومتعلّق به، ولا يمكن له التعلّق بالدنيا والتمايل إلى مشتهياتها، فإنّ التعلّق بها في مقابل الاطمينان بالله:

إنَّ الّذينَ لا يَرجون لِقاءَنا ورَضوا بالحَياة الدُّنيا واطمأنّوا بها... أُولئكَ مأواهم النّار ـ ١٠ / ٧.

٢ ـ إلى ربّك: فإنّ مَنْ وصل إلى درجة الاطمينان عرف بالعلم الشهوديّ

اليقينيّ أنّ سلوكه وتوفيقه واهتداءه ونورانيّته كان من الله تعالى وبإفاضاته وإعانته، وهو المربّي له في جميع الحالات.

٣ ـ راضِيَةً: فإنّه في هذا المقام يُشاهد تجلّي رحمته وشمول فيضه وجودِه على العالمين عامّة، وعليه في قاطبة حالاتـه الظاهريّة والباطنيّة خاصّة، فهو خاضع في مقابل إحسانه وكرمه ولطفه.

٤ ـ مَرضيَّةً: فإنّ الرضا التامّ والخضوع الكامل يستلزم الوفاق والتسليم، وينفي الخلافَ والعصيان والتمرّد والانحراف، وهذا المعنى يوجب كونه مرضيّاً عند الله تعالى، ومن عباده الصالحين.

٥ ـ فادخُلي في عِبادي: فإنّ كونه مرضيّاً يلازم مقام العبوديّة، وأن لا يكون له هوى وتمايل إلّا في الله تعالى، وهو في طاعة خالصة، فيدخل في زمرة عباده الّذين لا يشاءون إلّا ما يشاء الله، وهنا يتحـقّق حقّ الطمأنينة، ولا يبقى من الاضـطراب والتزلزل أثر.

٦ ـ وادخُلي جَنَّتي: فإنّ تحقّق حقيقة العبوديّة يوجب انتفاء الأنانيّة، والخلاف، وحصولَ الارتباط والمواجهة واللقاء والنظر إلى وجهه الكـريم، وارتـفاع المـوانـع والحجب الظلمانيّة والنورانيّة. فالمراد جنّة اللقاء وهي الجنّة المخصوصة لخواصّ أولياء الله الّذين يرجون لقاءه.

٧ ـ فظهر أنّ الترتيب والتقدّم الذاتي موجـود بين هذه المراتب الملحوظة في موضوع الإطمينان: ١ ـ الرجوع إلى الله المتعال. ٢ ـ شهود مقام الربوبيّة. ٣ ـ مقام الرضا وتحقّقه. ٤ ـ تحقّق مقام كونه مَرضيّاً. ٥ ـ الورود في لواء مقام العباد الصالحين. ٦ ـ الدخول في الجنّة المخصوصة باللقاء وأوليائه.

وأمّا ما يتقدّم على الطمأنينة: فهو الذكر لفظاً وباطناً بمراتبه، فقال تعالى:

www.attaweel.com

ألا بِذِكرِ الله تَطمئنّ القُلوب ـ ١٣ / ٢٨.

فالتذكّر وإدامته يوجب الانصراف والانقطاع عن الدنيا وتمايلاتها وشهواتها إليه تعالى، وهذا مقدّمة تحصّل الاطمينان.

وأمّا مادّة الاطمينان: فالظاهر أنّ طأمَن كدحرج رباعيّ مجرّد، والاطمينان كالاقشعرار مزيد رباعيّ، وأمّا القلب فللتخفيف.

* * *

طٰه:

طٰه ما أنزلنا عَليكَ القُرآنَ لِتَشقَ إلّا تَذكرَةً لِمَن يَخشى ـ ٢٠.

في هذه الكلمة وجوه محتملة، فإنّها من الرموز الّتي ما أُوتينا من علمه، والعقل لا طريق له إلى معرفة الجزئيّات.

١ ـ هذان الحرفان يُشيران إلى أنّ البحث في هذه السورة المباركة مربوط بموضوعات فيها هذان الحرفان، فالبحث المهمّ فيها إنّما هو فيما يتعلّق بالطغيان من فرعون، وطريق البحر فيه هلاكُه ونجاةُ موسى وبني إسرائيل، ثمّ بالهدى المطلق، والهدى في التكوين، والهدى من الأنبياء. وجريان أمر هارون، وهكذا الطور الأيمن، واتّباع الهوى.

وصدر السورة ـ إلّا تَذكرَةً: فيه إشارة إلى أنّ النبيّ (ص) يؤمَر بهداية الناس، والقرآن وسيلة للهداية، لا للزحمة والتكلّف.

فيكون التوجّه في السورة إلى الطغيان وهداية الطاغين.

٢ ـ أن يكون الحرفان فيهما إشارة إلى عدد ١٤ = ٥ + ٩.

www.attaweel.com

وهذا العدد ١٤ إمّا إشارة إلى بشارة بأربعة عشر معصوماً، وتتميم هذا العدد في عترته، وإدامة هذا المقام (وظيفة التذكرة والهداية) إلى أن ينتهي إلى تمام العدد.

وبوجودهم تستمرّ الهداية والتبليغ وتبيين الحقّ في قبال الطغاة.

والتعبير بهذين الحرفين: إشارة إلى خمسة أصيلة، ثمّ تسعة متفرّعة، والبشارة تقتضي تقدّم التسعة الّذين ليسوا بحاضرين.

وإمّا أنّ العدد إشارة إلى بداية ظهور أمر الهداية وأوّل زمان تحقّق التبليغ والرسالة، وذلك بانتهاء ١٣ سنة، ثمّ وقوع الهجرة وانتقال المسلمين إلى المدينة وحرّيتهم في بيان الحقائق.

وإمّا أنّ العدد إشارة إلى امتداد زمان حياة الرسول (ص) إلى أربع عشرة سنة، من نزول السورة والآية، بناء على أنّ نزولها كان في سنة أربع قبل الهجرة، فيمتدّ التبليغ والهداية والعبوديّة إلى الأجل المسمّى.

وهذه السورة الكريمة قد نزلت بمكّة وقبل الهجرة ـ وفي آخر السورة المباركة:

قُل كُلٌّ مُتربِّصٌ فتَربّصوا فَسَتَعلمون مَن أصْحابُ الصِّراط السَّوِيّ ومَن اهتَدىٰ.

وبهذا الرمز يشار إلى أنّ برنامج الرسول الأكرم وعنوان مسؤوليته وفهرس مأموريّته في الرسالة: هو التوجّه إلى وجود الطغيان في أفراد الناس والجهاد في رفعه بالهداية وتبيين الرشاد والفلاح.

هذا مبلغُنا من العلم، وما أُوتينا من العلم إلّا قليلاً، والله أعلم.

* * *

www.attaweel.com

طهر:

مصبا ـ طهر الشيء من بابي قتلَ وقرُب، طهارةً والإسم الطُّهر، وهو النـقاء من الدنَس والنَّجَس، وهو طاهر العِرض، أي بريء من العيـب، ومنه قيل للحالة المناقضـة للحـيض طُهر، والجمع أطهـار، وامرأة طاهـرة من الأدناس وطاهر من الحـيض. وقد طهرت من الحيض من باب قتـل، وفي لغـة قليـلة من باب قـرب. وتطهّرت: اغتسلت. وتكون الطهارة بمعـنى التطهّر، ومـاء طـاهر: خـلاف نجس، وطاهر: صالح للتطهّر به، وطَهور: قيل مبالغة وأنّه بمعنى طاهر، والأكثر أنّه لوصف زائد، قال ثعلب: الطَّهور هو الطاهر في نفسه المطهِّر لغيره. ويقال: وما لم يكن مطهِّراً فليس بطَهور.

مقا ـ طهر: أصل واحد صحيح يدلّ على نَقاءٍ وزوالِ دَنَس. ومن ذلك الطُّهر: خلاف الدَّنَس. والتطهّر: التنزّه عن الذمّ وكلِّ قبيح. وفـلانٌ طـاهر النـيّات: إذا لم يُدَنّس. والطَّهور: الماء ـ ماءً طَهوراً.

لسا ـ طهَرَ وطهُر واطّهَر وتَطهَّر، وقد طهُرت طَهوراً وطُهوراً. واطلب لي ماءً طَهوراً: بليغاً في الطهارة لا شبهة فيه. وامرأة طاهر، ونِساء طواهر، وهي ذات طُهر، وهنّ ذوات أطهار. وتطهَّر بالماء: استنجى به.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يقابل النَّجَس والقَذَر، أعمّ من أن يكون في مادّيّ أو معنويّ.

فالطهارة المادّيّة كما في:

ويُنزِّلُ عَلَيكُم مِن السَّماءِ ماءً لِيُطهِّركُم بِه ـ ٨ / ١١.

وثِيابَكَ فَطَهِّر والرُّجزَ فاهجُر ـ ٧٤ / ٤.

فيراد التنزّه من النَّجَس والدَّنَس الظاهريّ المادّيّ.

والمعنويّة، كما في:

إنَّ اللهَ اصطَفاكِ وطهَّرَكِ ـ ٣ / ٤٢.

إنَّما يُريدُ الله ليُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البَيت ويُطهِّرَكُم تَطهيراً ـ ٣٣ / ٣٣.

أُولئكَ الَّذينَ لَم يُرِد اللهُ أن يُطهِّر قلوبَهم ـ ٥ / ٤١.

فيراد تنزيههم عن الأدناس والأرجاس الروحانيّة.

والمطلقة كما في:

فيهِ رِجالٌ يُحِبُّون أن يتَطهَّروا والله يُحِبُّ المطَّهِّرين ـ ٩ / ١٠٨.

إنَّ الله يُحبّ التَّوّابينَ ويُحبّ المتَطَهِّرين ـ ٢ / ٢٢٢.

وأزواجٌ مُطَهَّرة ـ ٢ / ٢٥.

فيراد مطلق حصول الطهارة في جهة مادّية أو معنويّة باطنيّة.

فظهر أنّ التدنّس من جهة نجاسة أو قذارة أو دم حيض أو نفاس أو جنابة أو نيّة فاسدة أو صفة ذميمة أو عقيدة منحرفة: ممّا يقابل الطهارة، والتنزّه عن كلّ منها مصداق من مصاديقها، فهذا التنزّه والنقاء أعمّ من أن يكون في جهة مادّية أو معنويّة.

ثمّ إنّ الطهارة والطُّهر: يلاحظ فيهما نفس النَقاء والتنزّه. والتطهّر والاطّهار: يلاحظ فيهما اختيار الطهارة وإظهارها. والتطهير يلاحظ فيه جعل الشيء طاهراً.

والطهارة بوجه آخر: إمّا في التكوين، أو في الأفكار والاعتقاد، أو في الصفات

والأخلاق، أو في الأعمال والأفعال الاختياريّة، أو في الجريان الطبيعيّ.

١ ـ في التكوين وذاتِ الشيء: كما في:

وأنزَلنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهوراً ـ ٢٥ / ٤٨.

وسَقاهُم ربُّهم شراباً طَهوراً ـ ٧٦ / ٢١.

والطهور يدلّ على ثبوت الطهارة لشيء كالذَّلول وفيه مبالغة ليست في فعيل، وفي فَعيل تثبّت مع استمرار ورسوخ ليس في فَعول.

فالماء الطَّهور: هو المتّصف ذاتاً بهذه الصفة وهو طاهر في نفسه، وأمّا كونه مُطَهِّراً لغيره: فليس من حقيقة مدلوله، بل من لوازمه عرفاً أو شرعاً مع شرائط مخصوصة.

٢ ـ في الأفكار والإعتقادات: كما في:

يُحرِّفون الكَلِم مِن بَعدِ مَواضعه يقولونَ إن أُوتيتُم هذا فخُذوه ... أُولئكَ الَّذينَ لَم يُرِد الله أن يُطهِّر قلوبَهم لَهُم في الدُّنيا خِزيٌ ـ ٥ / ٤٥.

أي في الأفكار والأحكام والاعتقادات الثابتة في اليهود والتوراة، وتطهير قلوبهم بالتوجّه إلى الله عزّ وجلّ والتمسّك بالعقائد الحقّة والتقيّد بأحكام الله.

٣ ـ في الصفات والأخلاق الباطنيّة: كما في:

فاسئلوهُنَّ مِن وَراءِ حجابٍ ذلكُم أطْهَرُ لقلوبكُم وقلوبِهنّ ـ ٣٣ / ٥٣.

أي يوجب تنزّههم عن أيّ دَنَس في القلب، وعن أيّ كَدر ومرض باطنيّ.

٤ ـ في الأعمال والأفعال: كما في:

إنَّ الله يُحبّ التّوابينَ ويحبّ المتطهِّرين ـ ٢ / ٢٢٢.

فيهِ رجالٌ يُحبّون أن يَتَطهّروا والله يُحبّ المتطهِّرين ـ ٩ / ١٠٨.

أي يختارون الطهارة في أعمالهم والصلاح.

٥ ـ وفي مطلق الطهارة في أيّ مرتبة: كما في:

إنَّما يُريدُ اللهُ ليُذهِبَ عَنكُم الرِّجسَ أهلَ البيت ويُطهِّركُم تَطهيراً ـ ٣٣ / ٣٣.

إنَّ اللهَ اصطفاكِ وطهَّركِ واصطفاكِ عَلى نساءِ العالَمين ـ ٣ / ٤٢.

ولَهُم فيها أزواج مُطَهَّرة ـ ٢ / ٢٥.

فيراد مطلق الطهارة في أيّ مرتبة.

٦ ـ في الطبيعة وجريانها: كما في:

وَلا تقربوهنّ حتّى يَطْهُرْن ـ ٢ / ٢٢٢.

أي حتّى تحصل لهنّ الطهارة عن الجريان العادّي من أيّام الحيض.

فظهر أنّ التطهير في أيّ شأن من الشؤون وفي أيّ حالة من الحالات وفي أيّ مرتبة ومقام: محبوبٌ ومطلوب، وهو أوّل شرط في تحقّق الصفاء والخلوص والنورانيّة، كما أنّ الكدورة والقذارة من أهمّ الموانع في مقام طلب الروحانيّة وإدراك الفيوضات والرحمة الإلهيّة.

فالتطهير معنى عامّ ومفهوم جامع: يجري في جميع منازل السلوك ويحتوي قاطبة وظائف السير في المراتب، في كلّ مرتبة بما تقتضيه وتناسبه.

فالتطهير المطلق هو التنزّه عن كلّ عيب ورجس مادّيّ أو معنويّ، وفي أيّ مرتبة من مراتب الأفكار والصفات والأعمال وفي التكوين وهذا هو الكمال الأتمّ والبلوغ إلى منتهى حدّ النورانيّة:

إنَّما يُريد الله ليُذهِبَ عَنكُم الرِّجسَ أهلَ البيت ويُطهِّركُم تَطهيراً.

إذ قالَ اللهُ يا عيسى إنّي مُتَوفّيكَ ورافِعُكَ إليَّ ومُطهِّرك مِن الَّذينَ كَفَروا ـ ٣ / ٥٥.

أي من اختلاطهم وكدورة معاشرتهم والابتلاء بمصاحبتهم ومقابلتهم في الحياة الدنيا، ومن رَجاستهم.

وهذا المعنى لا فرق فيه بين أن يكون المراد موتاً أو انتقالاً إلى البرزخ، وقلنا في الصلب ما يؤيّد انتقاله ـ راجعه.

ولا يخفى أنّ السالك إنّما يتمكّن من تهيئة مقدّمات الطهارة والعمل بما يوجب البُعد عن الأرجاس. وأمّا التطهير وجعل النفس طاهراً بقدرته وقوّته: فغير ميسور له. وعلى هذا ينسب التطهير في كلام الله تعالى إلى الله عزّ وجلّ، والتطهّر إلى العبد.

فتطهير الله كما في:

إنَّ اللهَ اصطفاكِ وطهَّركِ، أن يُطهِّر قلوبَهم، ولكن يُريد ليُطهِّركُم، ويُطهِّركُم تَطهيراً، ومُطهِّرُكَ مِن الَّذين.

والتطهّر للانسان كما في:

رجال يُحبّون أن يَتَطَهَّروا والله يُحبّ المطَّهِّرين، انّهم أُناس يَتَطَهَّرون، ويُحبّ المتطهِّرين.

فإنّ التطهير مرتبة عالية فوق الهداية، وقد قال الله تعالى:

إنَّكَ لا تَهدي مَن أحببتَ ولكنّ الله يَهدي مَن يَشاء.

وإنّما يتصوّر التطهير بعد تحقّق الهداية، وكلّ منهما إنّما يتحقّق بمعناه الحقيقي بالتأثير والتغيير في النفس، وهو لا يحصل إلّا بالإشهاد وإراءة الحقائق وجعل النفس نورانيّاً وروحانيّاً بحصول الشهود.

نعم إنّ مجاهدة الإنسان وأعماله الصالحة في السلوك إلى الله: هي الوسيلة إلى الهداية والتطهير:

وَمَن جاهَدَ فينا لَنَهدينَّهُم .

* * *

طود :

مقا ـ طود: أصل صحيح وفيه كلمة واحدة. فالطَّود: الجبل العظيم ـ فانفلَقَ فكانَ كُلُّ فِرق كالطّود العَظيم . ويقولون طوَّد في الجبل، إذا طوّف، كأنّه فعل مشتقّ من الطَّود.

مفر ـ الطَّوْد: هو الجبل العظيم، ووصفه بالعظيم لكونه فيما بين الأطواد عظيماً، لا لكونه فيما بين سائر الجبال عظيماً.

أسا ـ ما هو إلّا طَود من الأطواد، وهو الجبل المُنطاد في السماء الذاهب صُعُداً. وطوَّده الله تطويداً: طوّله. وأسرعُ من ابن الطَّود: وهو الجُلمود المنحطّ من أعلاه. أو الصَّدى.

التهذيب ١٤ / ٤ ـ طاد: إذا ثبَت. وطاد: إذا حَمُق. ووَطَد: إذا سار. وعن ابن الأعرابيّ: طوَّد: إذا طوَّفَ في البلاد لطلب المعاش. وقال أبو عبيد: الطَّود: الجبل العظيم، وجمعه أطواد. وقال غيره: طوّد فلان بفلان تطويداً وطوَّح به تطويحاً، وطوّد بنفسه في المَطاود، وطوّح بها في المَطاوح، وهي المَذاهب.

لسا ـ الطَّود: الجبل العظيم. والطَّود: الهضبة. والطادي: الثابت. الفرّاء: طاد: إذا ثبت. وداط: اذا حَمُق. ووطَد: إذا حَمُق. ووطَد: إذا سار.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في الكلمة: هو ما ارتفع وامتدّ. ومن أحسن مصاديقه:

www.attaweel.com

الجَبل، والهضبة أي التلّ المرتفع.

وأمّا التطويل والثبوت والسير في البلاد والحمق: فباعتبار الامتداد في مفهوم الكلمة والتظاهر بين الناس في البلاد والترفّع والاستعلاء حمقاً، مضافاً إلى اختلاط بين مفاهيم ـ الطود، الوطد، الطوء، الطوح، الطوف، الطول. وبينها اشتقاق أكبر.

فيقال: وَطَدَ الشيءُ إذا ثبت وسار. وطال إذا امتدّ. وطاء إذا ذهب وجاء وأبعد في ذهابه. وأطاحه: أهلكه وأسقطه وأذهبه.

فأوْحَينا إلى موسى أن اضرِب بعَصاكَ البَحْر فانفلَقَ فكانَ كُلُّ فِرق كالطَّوْد العَظيم ـ ٢٦ / ٦٥.

الانفلاق: الانشقاق. والفِرق: القِسم والقطيع من الشيء المنفلق. والطَّود: ما ارتفع واستطال.

والمراد كون الماء المنفلق من البحر متراكماً بعضه فوق بعضه، وتشكّل تلك المنفلقات على اثني عشر طوداً بأمر الله تعالى، أو على طودين إذا كان المَسلك واحداً، أو أزيد.

وعلى أيّ حال فتراكم ماء البحر وانفلاقه: إنّما هو بأمر الله وبوسيلة ضرب عصا موسى في البحر. وهذا خارج عن جريان الطبيعة.

راجع البحر، الفلق.

* * *

طور:

مصبا ـ الطور بالضمّ: إسم جبل. والطور بالفتح: التارة، وفعَل ذلك طَوراً بعد طَور: أي مرّة بعد مرّة. والطَور الحال والهيئة، والجمع أطوار. وتَعدّى طورَه أي حاله الّتي تليق به.

www.attaweel.com

مقا ـ طور: أصل صحيح يدلّ على معنى واحد، وهو الامتداد في شيء، من مكان أو زمان. من ذلك طَوار الدار، وهو الّذي يمتدّ معها من فِنائها، ولذلك يقال عدا طَورَه، أي جاز الحـدّ الّذي هو له من داره، ثمّ اسـتعير ذلك في كلّ شيءٍ يَتعدّى. والطُّور جبل، فيجوز أن يكون إسماً علَماً موضوعاً، ويجوز أن يكون سمّي بذلك لما فيه من امتداد طولاً وعرضاً. ومن الباب قولهم ـ فعل ذلك طَوراً بعد طَور فهذا هو الّذي ذكرناه من الزمان، كأنّه فعـله مدّة بعـد مدّة. وقولهم للوحشيّ من الطير وغيرها: طُوريّ وطُورانيّ، فهو من هذا، كأنّه توحّش فعَدا الطَّور، أي تباعد عن حدّ الأنيس.

صحا ـ ويقال: لا أطور به، أي لا أقربه، ولا تَطُر حَـرانا، أي لا تقرب ما حولَنا. خلَقكُم أطواراً: قال الأخفش: طَوراً علقةً وطَوراً مُضغةً. والناس أطوار، أي أخياف على حالات شتّى. وبلغ فلان في العلم أطورَيْه، أي حدّيه أوّله وآخره، وكان أبو زيد يقول بكسر الراء أي بلغ أقصـاه. والطُّوريّ: الوحشيّ من الطير والنـاس، يقال حَمام طُوريّ.

التهذيب ١٤ / ١٠ ـ الطُّور: في كلام العرب الجبل، وقيل إنّ سيناء حجارة، وقيل إنّه إسم المكان. والعرب تقول: ما بالدار طُورِيّ ولا دُوريّ. وقال أبو عمرو: رجل طُوريّ أي غريب، وحمام طُوريّ: إذا جاء من بلد بعيد. وقال الليث: الطَّور التارة يقول طَوراً بعد طَور، والناس أطوار أي أصناف على حالات شتّى، وعن ابن الأعرابيّ: الطَّور الحدّ.

الحَرَى: الساحة. الأخياف: الأصناف.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المـادّة: هو كيفيّة مقدّرة معيّـنة في الشيء. ويَقرب هذا

www.attaweel.com

المعنى من الحالة، إلّا أنّ الحالة تطلق على كيفيّة في الشيء بلحاظ تحوّلها.

وبهذه المناسبة تطلق على مفاهيم الحالة، الهيئة، والحدّ.

وأمّا مفاهيم التارة والامتداد والتوحّش والبُعد: فمعاني مجازيّة ومن لوازم الأصل، بمناسبة امتداد تلك الكيفيّة والحالة، وبلحاظ تبدّل الحالة ومحدوديّتها، وهذا المعنى يوجب امتيازها وافتراقها وبُعدها عن الجريان الطبيعي.

فيقال: طوراً بعد طور، أي كيفيّة مخصوصة بعد كيفيّة، ويفهم منه التزاماً مفهوم المرّة والتارة. وطَوار الدار: فِناؤها، وهو كيفيّة في خارج الدار متّصلة بها، وهي حالة مخصوصة في امتدادها وبُعدها. وعدا طَورَه: أي بُعده وامتداده وعمّا هو حدّ له. والطُّوريّ: المتوحِّش، وهو في قبال الدُّورِيّ، فإنّه على حالة مخصوصة متوحِّشة خلاف الأنيس.

وأمّا الجبل: فإنّه ممتدّ وعلى كيفيّة مخصوصة في الأرض.

ما لكُم لا تَرجونَ لِلهِ وَقاراً وقَد خَلقكُم أطواراً ـ ٧١ / ١٥.

الخطاب لقوم نوح، حيث إنّهم بعد مشاهدة ما أنعم الله عليهم من بركاته الأرضيّة والسماويّة، غفلوا عن عظمته وجبروته وشأنه المتجلّي، ولم يتحصّل لهم توجّه ورجاء وظنّ بوقار الله ومقامه وجلاله.

مع أنّه تعالى خلق أفراد الإنسان على حالات مختلفة وكيفيّات مخصوصة وخصوصيّات مقدّرة، في كلّ فرد منهم على كيفيّة خاصّة به، كما في اختلاف ظواهرهم وألسنتهم وصورهم، وهذا ممّا يوجب التفطّن الكثير والتنبّه الزائد والتوجّه التامّ إلى وقاره وعظمته.

والأطوار حال من ضمير ـ كُم، ويدلّ على تحقّق الكيفيّة فيهم في حال الخلقة

www.attaweel.com

فعلاً. وأمّا التفسير بمراتب النشوء مرتبة بعد مرتبة، كالنطفة والعلقة والمضغة، وغيرها: فلا يناسب التعبير لفظاً ومعنى، والمناسب بذلك المعنى التعبير بمثل قوله تعالى ـ والله خَلَقكُم مِن تُراب ثُمَّ مِن نُطفَة.

مضافاً إلى أنّ تلك الأطوار المختلفة إنّما هي في مجموع الأفراد من حيث هي مجموعة، لا في كلّ واحد منها.

وأمّا طُورُ سيناء: فقد مرّ في سني ما يرتبط بالمقام.

وفي معجم البلدان ـ طُور: في كلام العرب الجبل. وقال بعض أهل اللغة: لا يسمّى طُوراً حتّى يكون ذا شجر، ولا يقال للأجرد طور. وقيل: سمّي طوراً ببطور بن إسماعيل (ع) أسقطت باؤه للاستثقال، ويقال لجميع بلاد الشام الطور، وكان يملكها فنسبت إليه. وقد ذكر بعض العلماء إنّ الطور هذا الجبل المشرف على نابلس، ولهذا يَحِجُّه السامرة. وأمّا اليهود: فلهم فيه اعتقاد عظيم ويزعمون أنّ إبراهيم أُمر بذبح إسماعيل فيه، وبالقرب من مَدين جبل يسمّى الطور. وبلسان النَّبْط كلّ جبل يقال له طور، فإذا كان عليه نبت وشجر قيل طور سيناء. وطور زيتا ـ عَلَم مرتَجَل لجبل بقرب رأس عين عند قنطرة الخابور، على رأسه شجر زيتون يسقيه المطر، ولذلك سمّي طور زيتا، وفي فضائل البيت المقدّس: وفيه طور زيتا وقد مات فيه سبعون ألف نبيّ قتلهم الجوع والعُري والقَمل، وهو مشرِف على المسجد، وفيما بينهما وادي جهنّم، ومنه رفع عيسى (ع). وأمّا طور سيناء: قيل إنّ سيناء حجارة، وهو إسم جبل بقرب أيلَة، وعنده بُليد فتح في زمن النّبيّ (ص). طُور عَبدِين: بلدة من أعمال نَصيبين في بطن الجبل المشرِف عليها.

تاريخ سينا ـ ٢٢ ـ وهي تنقسم بحسب طبيعة أرضها إلى ثلاثة أقسام كبيرة: وهي: ١ ـ بلاد الطور في الجَنوب، ٢ ـ بلاد التيه في الوسط، ٣ ـ بلاد العريش في

www.attaweel.com

الشمال. أمّا بلاد الطّور: في شبه الجزيرة نفسها بين شطري البحر الأحمر، ومساحتها بوجه التقريب نحو عشرة آلاف ميل مربّع، وهي بلاد جبليّة وعرة، ولعلّها أوعَر بلاد جبليّة على سطح الكرة الأرضيّة، فترى الجبال فيها متراكمة بعضها فوق بعض.

٢٩ ـ وأشهر جبال بلاد الطور: جبل طور سيناء، وإليه تنسب الجزيرة كلّها، وهو واقع على نحو ستّين كيلومتراً إلى الشمال الشرقيّ من مدينة الطور، وإنّه الجبل المعروف في التوراة بجبل حوريب أو جبل سيناء أو جبل الله، أي الجبل الّذي جاءه موسى النبيّ (ص) لرعي غنم حَمِيه يثرون كاهن مَديَن فظهر له الربّ في عليقة مشتعلة.

قع ـ (طُور) ـ جبل، مرتفع.

فرهنگ تطبيقي ـ عبري، سرياني، آرامي: طورا = جبل.

فظهر أنّ الطور في العبريّ وغيره بمعنى الجبل، ويدلّ عليه إطلاقه بالتقييد على جبال مختلفة، كطور زيتا، وطور سيناء، وطور عبدين، وطور هارون. وسبق في معجم البلدان: إنّ الطور بلسان النَّبط يقال لكلّ جبل.

ثمّ إنّه جعل علماً بالغلبة للطور الّذي ناجى فيه موسى عليه السّلام.

وهذا الجبل واقع في جَنوب سيناء، فيما بين خليج العقبة المنتهي إلى أيلة وخليج السويس المنتهي إلى السويس، متمايلاً إلى جهة الجنوب.

وهل المراد من الطور عند الإطلاق: هو جبل سيناء، أو جبل موسى، أو جبل المناجاة، أو جبل هارون، أو مجموع هذه الجبال! والحقّ أنّ طور سيناء عبارة عن مجموع السلسلة المؤلّفة منها، وأعلى القمم منها قمّة تدعى بجبل موسى، ويعلو نحو ٧٣٦٣ قدماً.

آنَسَ مِن جانِبِ الطُّورِ ناراً ـ ٢٨ / ٢٩.

www.attaweel.com

وما كُنتَ بجانِبِ الطُّورِ إذ نادَينا ولكن رحمةً مِن ربِّك لِتُنذر قَوماً ـ ٢٨/ ٤٦.

والطّورِ وكتابٍ مَسطور ـ ٥٢ / ١.

الظاهر أنّ اللّام للعهد والتعريف، والمراد الجبل الّذي تشرّف بمناجاة موسى ومشاهدة النور فيه.

ونادَيناه مِن جانب الطُّور الأيمن وقرّبناه ـ ١٩ / ٥٢.

قَد أنجيناكُم مِن عدوّكُم وواعدناكُم جانبَ الطّور الأيمن ـ ٢٠ / ٨٠ .

الأيمن من اليمن بمعنى البركة، وفيه بركات كثيرة معنوية لبني إسرائيل، وهو مع ذلك كان في نفسه مباركاً من جهة الموقعيّة والمقام وظهور آثار العظمة والجلال وتجلّي الأنوار به وفيه، وسعة الفضاء في حواليه، وانجلاء البرّ والبحر الوسيع من قلله وهي من مظاهر الطبيعة الصافية.

والتّينِ والزّيتونِ وطُورِ سينينَ ـ ٩٥ / ٢.

وشَجَرَةً تخرجُ مِن طُور سيناءَ تَنبت ـ ٢٣ / ٢٠.

راجع ـ سني.

وإذ أخذنا ميثاقَكُم ورَفعنا فوقَكُم الطّورَ ـ ٢ / ٦٣.

ورَفعنا فوقَهم الطّورَ بميثاقِهِم وقلنا لَهُم ادخُلوا الباب ـ ٤ / ١٥٤.

رفع الطّور في مجتمعهم استسقاءً واستظلالاً ولتعديل الهواءِ وكونه جُنّة لهم من الأعداء وغير ذلك ممّا يساعد في تأمين الحياة والمعاش.

وأمّا سائر الجزئيّات التاريخيّة: فخارج عن مورد البحث والتحقيق.

* * *

www.attaweel.com

طوع :

مصبا ـ أطاعَه أي انقاد له، وطاعه طَوعاً من باب قال، وبعضهم يُعدِّيه بالحرف فيقول طاع له، وفي لغة من بابي باع وخاف، والطاعة إسم منه، والفاعل من الرباعيّ مطيع ومن الثلاثيّ طائِع وطَيِّع، وطوّعت له نفسُه: رخُصت وسهُلت، وطاوعته كذلك، وانطاع له: إنقاد. قالوا ولا تكون الطاعة إلّا عن أمر كما أنّ الجواب لا يكون إلّا عن قول، يقال أمَرَه فأطاعَ. وقال ابن فارس: إذا مضى لأمره فقد أطاعه إطاعةً، وإذا وافقه فقد طاوَعه، والاستطاعة: الطاقة والقدرة، يقال استطاع، وقد تحذف التاء فيقال اسطاع يَسطيع. وتطوّع بالشيءِ: تبرّع، ومنه المُطَّوِّعَة: وهم الّذين يتبرّعون بالجهاد، والأصل المتَطَوِّعة.

مقا ـ طوع: أصل صحيح واحد يدلّ على الاصحاب والانقياد، يقال طاعَه يطوعه إذا انقاد معه ومضى لأمره، وأطاعَه بمعنى طاع له. ويقال لمن وافق غيره فقد طاوَعه. والعرب تقول تَطاوَع لهذا الأمر حتّى تستطيعه، ثمّ يقولون تَطوّع أي تكلّف استطاعته. وأمّا قولهم في التبرّع بالشيء: فقد تطوّع به، فهو من الباب، لكنّه لم يَلزمه، لكنّه انقاد مع خير أحبَّ أن يَفعله، ولا يقال هذا إلّا في باب الخير والبِرّ. ويقال للمجاهِدة الّذين يتطوّعون بالجِهاد: المطَّوِّعة.

التهذيب ٣ / ١٠٣ ـ ابن السِّكّيت ـ يقال: قد أطاع له المَرتع إذا اتّسع له المَرتع وأمكنه من الرعي. وقد يقال في هذا الموضع: طاع، ويقال أمره بأمر فأطاعه بالألف لا غير، وقد طاع له إذا انقاد له. وقال الليث ـ الطَّوع: نقيض الكَره، لَتفعلنّه طَوعاً أو كَرهاً، وطائعاً أو كارهاً. وطاع له إذا انقاد له.

لسا ـ طوع: الطَّوع نقيض الكَره، طاعه يطوعه وطاوعَه، والإسم الطَّواعة

والطَّواعية، ورجل طَيِّع أي طائع، وطاعٍ مقلوب، كقولهم عاقني عائق وعـاقٍ، ولا فعل لِطاعٍ.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحـد في المادّة: هو العمل بما يقتضـيه الأمر والحكم مع رغـبة وخضوع، فله ثلاثة قيود: الرغبة، والخضوع، والعمل على طبق الأمر. وإذا فقدت الرغبة والتمايل يصدق الكره، سواء حصل خضوع أو عمل أم لا.

ولَهُ أسلَم مَن في السَّمٰوات والأَرض طَوعاً وكَرهاً ـ ٣ / ٨٣.

ولله يَسجد مَن في السَّمٰوات والأَرض طَوعاً وكَرهاً ـ ١٣ / ١٥.

قُل أنفِقوا طَوعاً أو كَرهاً لَن يُتقبّل مِنكُم ـ ٩ / ٥٣.

فتدلّ على أنّ عمل الإنفاق والسجدة وكذلك الإسلام، كما أنّها تتحقّق بالرغبة والطَّوع كذلك بالكَره.

والإسـلام والسجدة يتصـوّر فيهما الطَّوع والاختـيار من المكـلَّف، والكَـره والاضطرار الفطريّ. وأمّا الإنفـاق: فلا يتصـوّر فيه إلّا أحدهما، لأنّ الإنفـاق من الأعمال الاختياريّة، ولا يتصـوّر فيه كونه فطريّاً حتّى يصحّ كونه صادراً بالاختيار وبالكره جمعاً. وعلى هذا قد عبّر فيه بكلمة ـ أو.

والكَره أعمّ من أن يكون بإكراه من الغير وإلزامه، كما في الإنفاق، أو بإلزام من ذات فطرته ووجوده، كما في السجدة.

فَقالَ لَها وللأَرض ائتِيا طَوعاً أو كَرهاً قالَتا أتينا طائِعين ـ ٤١ / ١١.

هذا كقوله تعالى:

ولهُ أسلَم مَن في السَّماوات والأرض طَوعاً وكَرهاً.

فإنّ الإسلام قريب من الطاعة، إلّا أنّ ذكر كلمة ـ مَن: يوجب التعبير بحرف الواو الدالّ على الجمع، بخلاف نفس السماء والأرض الشامل لِمَن يعقل وغيره: فعبّر بحرف أو.

ثمّ إنّ الطوع أيضاً على قسمين: إمّا بالرغبة والاختيار كما في أفراد الحيوان ذوي القدرة والإرادة، وإمّا بالتمايل والتسالم عن فطرة وبالخضوع والانقياد الذاتيّ، كما في غير ذوي الاختيار.

والفرق بين الطَّوع والإطاعة: أنّ الطَّوع يلاحظ فيه نفس المفهوم، وأمّا الإطاعة: فهو إفعال يلاحظ في هذه الصيغة كما قلنا مراراً جهة قيام الفعل بالفاعل، في قبال وقوع الفعل كما في التفعيل.

وعلى هذا قد عبّر في القرآن الكريم، الطاعة من العبد بلحاظ صدوره منه وقيامه به ولزوم توجّه العبد إليه وإرادته واختياره: بصيغة الإفعال، كما في جميع موارد هذا المعنى:

ومَن يُطِع الرَّسولَ فَقَد أطاعَ الله ـ ٤ / ٨٠.

فاتّقوا اللهَ وأطيعونِ ولا تُطيعوا أمر المسرفين ـ ٢٦ / ١٥١.

أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرَّسولَ وأُولي الأمر مِنكُم ـ ٤ / ٥٩.

وما أرسَلنا مِن رَسول إلّا لِيُطاعَ بإذن الله ـ ٤ / ٦٤.

وإن تُطِع أكثرَ مَن في الأَرض يُضلّوك ـ ٦ / ١١٦.

والمنظور كون الطاعة بحيث ينسب إلى الفاعل ويلاحظ فيه جهة صدوره منه.

والطاعة إسم للفعل نفسه من حيث هو، كما في:

www.attaweel.com

ويقولون طاعة فإذا بَرزوا ـ ٤ / ٨١ .

طاعَةٌ وقولٌ مَعروف ـ ٤٧ / ٢١.

والتطويع تفعيل، وقلنا إنّه يدلّ على جهة الوقوع، ويلاحظ فيه النظر إلى تعلّق الفعل إلى المفعول، فالمنظور في قولنا ـ طوّع زيد الأمرَ: هو تحقّق الرغبة والخضوع والانقياد في تعلّق الفعل إلى خصوص هذا الأمر، قال تعالى:

فطوّعت لهُ نفسُه قتلَ أخيه فَقَتَله ـ ٥ / ٣٣.

أي جعلته نفسُه طائِع قتلِ أخيه، أو أطاعته نفسُه في قتل أخيه، وهذا المعنى أحسن: فإنّ كلمة الطوع والإطاعة يُستعملان بحرف اللّام، فيقال طاعه وأطـاعه، وطاع له وأطاع له، فيكون المطيع هو النفس والمُطاع شخص وجوده، ونصب القتل بحذف الجارّ، فالقاتل هو النفس الأمّارة.

وذكر اللّام: إذا كان العمل في طريق المُطاع ومخصوصاً له.

وأمّا الاستطاعة: فأصله الاستطواع، وهو طلب الطاعة، والطلب أعمّ من أن يكون بسؤال أو بعمل أو بلسان حال أو بطبيعة وتكوين، والمعنى الجامع هو وجود المقتضي للعمل.

فمعنى الاستطاعة: تحقّق الاقتضاء والتهيؤ والموقعيّة في مقام العمل بـالوظيفة وامتثال الأمر.

ثمّ إنّ الطاعة إمّا في أمر روحانيّ إلٰهيّ، أو في غيره:

فالأوّل كما في:

إنَّما كانَ قولَ المؤمنينَ إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكمَ بَينَهُم أن يَقولوا سَمعنـا وأطعنا ـ ٢٤ / ٥١.

ومَن يُطِع الله ورسولَه يدخله جَنّات ـ ٤ / ١٣.

وأطِعنَ الله ورسولَه ـ ٣٣ / ٣٣.

والثاني كما في:

فَلا تُطِع الكافرين ـ ٣٣ / ١.

فَلا تُطِع المُكذِّبين ـ ٦٨ / ٨ .

وَلا تُطيعوا أمرَ المُسرفين ـ ٢٦ / ١٥١.

وكذلك الاستطاعة: فإنّ مورد الاستطاعة إمّا أمر روحانيّ أو غيره:

فالأوّل كما في:

فاتّقوا الله ما ٱسْتَطعتُم وٱسمَعوا وأطيعوا ـ ٦٤ / ١٦.

هَل يَستطيع ربُّك أن يُنزِّل عَلينا مائدَة ـ ٥ / ١١٢.

والثاني: إمّا في سبيل الله، أو في أمر صالح، أو في تثبيت حقّ، أو في عمل، أو في سبيل باطل، أو في أمر فاسد، أو في تثبيت باطل، أو في أمر مادّيّ: وهذه الموارد بالترتيب كما في:

ولله عَلَى النّاسِ حِجُّ البَيت مَن استَطاعَ إليهِ سَبيلاً ـ ٣ / ٩٧.

إن أُريدُ إلّا الإصْلاح ما ٱسْتطعتُ ـ ١١ / ٨٨ .

فإن استطعتَ أن تبتَغيَ نَفَقاً في الأَرض... فتأتيهم بآية ـ ٦ / ٣٥.

إن استطَعتُم أن تَنفُذوا مِن ـ ٥٥ / ٣٣.

حتّى يَرُدّوكُم عَن دينكُم إن استطاعوا ـ ٢ / ٢١٧.

واستفزِز مَن استطعتَ مِنهُم بصَوتك ـ ١٧ / ٦٤.

وادعُوا مَن استطعتُم مِن دون الله ـ ١١ / ١٣.

وأعِدّوا لَهُم ما استَطَعتُم مِن قُوَّة ومن رِباط الخَيل ـ ٨ / ٦٠.

فالاستطاعة في جميع هذه الموارد عبارة عن تحـقّق ما يقتضي حصول ما هو مأمور به وموظّف عليه، من أيّ جهة.

وأمّا التطوّع: فهو تفعّل ويدلّ على مطاوعة فعَّلَ واختيار الفعل، فيقال طوّعته فتطوَّع أي اختار الطاعة:

ومَن تَطوَّع خيراً فإنّ الله شاكر عَليم ـ ٢ / ١٥٨.

أي اختار الرغبة إلى خير.

ومن هذا الباب: إطّوَّع يَطّوَّعُ، والأصل تَطوّع يَتطوَّع، قال الله تعالى:

الَّذينَ يَلمِزون المطَّوّعين مِن المؤمنين ـ ٩ / ٧٩.

أي المتطوّعين الّذين يرغبون ويخضعون في العمل بالصدَقات.

قالَ آتوني أُفرِغ عَليه قِطراً فَما اسطاعُوا أن يَظهروه وَما استطاعوا لَه نَقباً ـ ١٨ / ٩٧.

حذف التاء من كلمة اسطاعوا للتخفيف، ولرفع الثقل في وسط الكلام، وإشارة إلى أنّ عدم استطاعتهم في جهة الصعود عليه مسلّم مقطوع، فإنّ التخفيف والتصرّف علامة كون الكلمة مفروغاً عنها لا تحتاج إلى تفصيل وبيان.

وأمّا المطاوَعة: فهذه الصيغة تدلّ على الاستمرار.

* * *

طوف:

مصبا ـ طاف بالشيء يطوف طَوفاً وطَوافاً اسـتدار به، والمَـطاف: مـوضع

الطَّواف، وطاف يَطيف من باب باع، وأطافه، واستطاف به: كذلك. وأطاف بالشيء: أحاط به. وتَطوّف بالبيت واطّوّف: وإسم الفاعل طائف، وطوّاف مبالغة، وامرأة طوّافة على بيوت جاراتها. وأطاف: إذا ألمّ. والطائفة: الفرقة من الناس، والقِطعة من الشيء، والجماعة. وطُوفان الماءِ: ما يَغشى كلَّ شيء. والطَّوف: ما يخرج من الولد من الأذى بعدما يرضع، ثمّ أُطلق على الغائط مطلقاً.

مقا ـ طوف: أصل واحد صحيح يدلّ على دَوَران الشيء على الشيء، وأن يَحُفّ به. ثمّ يُحمل عليه، يقال طاف به وبالبيت يطوف طَوفاً وطَوافاً، واطّاف به واستطاف. ثمّ يقال لما يدور بالأشياءِ ويُغشّيها من الماء: طُوفان. ومن الباب الطائف وهو العاسّ. والطَّيف والطائف: ما أطاف بالإنسان من الجِنّان. وأمّا الطائفة من الناس: فكأنّها جماعة تُطيف بالواحد أو بالشيء، ولا تكاد العرب تَحُدّها بعدد معلوم. ثمّ يتوسّعون في ذلك من طريق المجاز، فيقولون أخذتُ طائفة من الثوب.

مفر ـ الطَّوف: المشي حول الشيء، ومنه الطائف لمن يدور حَول البيوت حافظاً، ومنه استعير الطائف من الجنّ والخَيال والحادثة وغيرها ـ **إذا مسَّهُم طائفٌ مِنَ الشَّيطان**.

التهذيب ١٤ / ٣٣ ـ فأرسلنا عليهم الطوفانَ: قال رسول الله (ص): الطوفان الموت. وعن الأخفش: واحدته في القياس طوفانة. وأبو العبّاس: الطوفان مصدر مثل الرُّجحان والنقصان، فلا حاجة إلى أن نطلب له واحداً. وقال غيره: يقال لشدّة سَواد الليل: طوفان. والزجّاج: الطوفان من كلّ شيء ما كان كثيراً محيطاً مُطيفاً بالجماعة، كالغرق، والقتل الذَّريع، والموت الجارف. أبو الهيثم: الطائف هو الخادم الّذي يَخدمك برفق وعناية. الليث: كلّ شيء يَغشى البصر من وسواس الشيطان فهو طَيف، يقال أطاف فلان بالأمر: إذا أحاط به. والطائف: العاسّ بالليل.

* * *

www.attaweel.com

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو حركة حول شيء، مادّياً أو معنويّاً، وسواء كان أمراً مطلوباً أو غيره.

والفرق بينها وبين الدوران: أنّ الطواف يلاحظ فيه الحركة حول شيء آخر، والدوران مطلق الحركة الدوريّة.

فالطواف المحسوس: كما في:

وَلِيطوَّفوا بالبَيت العَتيق - ٢٢ / ٢٩.

والطواف الأُخرويّ: كما في:

ويَطوف عَليهم ولدان - ٧٦ / ١٩.

والطواف المعنويّ: كما في:

إذا مسَّهم طائفٌ مِن الشَّيطان - ٧ / ٢٠١.

والطواف في أمر غير ملائم: كما في:

فَطافَ عَلَيها طائف مِن ربّك - ٦٨ / ١٩.

والمراد من الطائف في الموردين: ما يحيط بهم ويدور عليهم، ويجعلهم تحت سلطته ونفوذه، فيكونون مقهورين به. ولا إشارة في الآيتين إلى خصوصيّة الطائف وتحديده، إلّا أنّ الطائف من الشيطان يقيّد بكونه مناسباً بما يُلقَى من الشيطان، من الوساوس والإغواءات. والطائف من الربّ في مورد العصيان يقيّد بكونه عذاباً ونقمة غاشية.

والتعبير بالطائف دون غيره: إشارة إلى جهة الوصف وهو جهة الإحاطة

www.attaweel.com

والسلطة والنفوذ من الجوانب.

فلابدّ من لحاظ هذه الجهة الوصفيّة في جميع موارد استعمال المادّة، طائفاً، أو طَوّافاً، أو طوفاناً، أو طَوافاً، أو طائفة.

إنَّ الصّفا والمروةَ مِن شَعائر الله فَمن حجَّ البيتَ أو اعتَمر فَلا جُناحَ عَليه أن يَطّوَّف بهما ـ ٢ / ١٥٨.

الآية الكريمة في مقام نفي البأس، حيث إنّ المسلمين كانوا في تحرّج وتضيّق في التطوّف بينهما، لوجود أصنام فيهما في الجاهليّة، فالآية نزلت في مقام إثبات أصل المشروعيّة في مقابل النفي والحرمة، ويدلّ عليه التعبير بالجُناح وهو التمايل عن الحقّ والعدل. واختيار الطواف بهما أي بينهما بالذهاب والرجوع.

فالحركة فيهما إنّما تحيط بما بينهما من ملتقى شعاعهما في الظاهر، وأمّا في المعنى فلابدّ من التوجّه إلى الله عزّ وجلّ، ويسعى ونقطةُ منظوره هو الله تعالى، وهو يتطوّف فيما بين يديه.

وليُعلم أنّ الطواف والحركة حول شيء على قسمين: الأوّل ـ حركة على طريق الدوران، حتّى تتحصّل الإحاطة الظاهريّة من جميع الجوانب، كما في الطواف حول البيت:

وطَهِّر بَيتي للطّائفين ـ ٢٢ / ٢٦.

والثاني ـ حركة إليه متداوِماً على سبيل التكرّر، فكأنّه يدور حوله ويحيط به ويجعل نفسه في خدمته ومنقاداً لأمره:

ويَطوف عَليهم وِلدان مُخلَّدون ـ ٧٦ / ١٩.

ويُطاف عَليهم بآنِيةٍ ـ ٧٦ / ١٥.

www.attaweel.com

وبهذا المعنى: الآية الكريمة:

فَلا جُناحَ عَليه أن يَطَّوَّف بهما.

فإنّ بالسعي المتكرّر يصدق عنوان الطواف عليهما. وهكذا قوله تعالى:

هذه جهنَّمُ الَّتي يُكذِّب بِها المُجرمون يَطوفون بَينها وبَين حَميم آنٍ ـ ٥٥ / ٤٤.

فإنّهم يسلكون بين جهنّم والحميم متكرّراً.

ثمّ إنّ التطوّف يستعمل بحرف الباء، والطواف بحرف على: فإنّ التطوّف بمعنى اختيار الطواف وأخذه، والأخذ يستعمل بالباء.

وأمّا الطائفة: فتطلق على جماعة مواجِهة مشرِفة قريبة، لا مطلقاً، كما في:

فلتقُم طائفةٌ مِنهم مَعك، ولتأتِ طائفة أخرى، وليَشْهد عذابَهما طائفة، لَهمّت طائفة مِنهم أن يُضلّوك، مِن كُلّ فرقة مِنهم طائفةٌ لِيتَفقّهوا، إذ همَّت طائفتانِ مِنكُم أن تَفتَتِلا.

فالطائفة عبارة عن جماعة لهم ارتباط وسابقة وحركة وتردّد إلى الجانب الّذي هو المنظور.

وأمّا الطوفان: فيلاحظ فيه جهة التوارد والمواجَهة وشدّة الحركة والهجوم والغلبة، من أيّ شيء كان.

ولا يخفى أنّ اللغويّين قد خلطوا بين المادّتين ـ الطوف والطيف كما شاهدت، مع أنّ طاف يطيف يأتي من باب ضرب، والأجوف واوياً لم يستعمل من هذا الباب ـ فراجع.

* * *

طوق:

مصبا ـ الطَّوق: معروف، والجمع أطواق، وطوَّقته الشيءَ: جعلته طَوقه،

ويعبّر به عن التكليف، وطوق كلّ شيء: ما استدار به، ومنه قيل للحَمامة ذات طَوق. وأطقتُ الشيء إطاقة: قدرت عليه، فأنا مُطيق، والإسم الطاقة.

مقا ـ طوق: أصل صحيح يدلّ على مثل ما دلّ الباب الّذي قبله (الطوف) فكلّ ما استدار بشيء فهو طَوق، وسمّي البناء طاقاً، لاستدارته إذا عُقِد. والطيلسان طاق لأنّه يدور على لابسه، فأمّا قولهم ـ أطاق هذا الأمر إطاقة، وهو في طَوقه، وطوّقتك الشيء إذا كلّفتكه: فكلّه من الباب وقياسِه، لأنّه إذا أطاقه فكأنّه قد أحاط به ودار به من جوانبه.

التهذيب ٩ / ٢٤٢ ـ قال الليث: الطوق حليٌ يجعل في العنق، وكلّ شيء استدار فهو طَوق. وطائق كلّ شيء: ما استدار به من حبل وأكمة، والجمع أطواق. أبو عبيد: الطائق ما بين كلّ خشبتين من السفينة. ويقال: طاق يَطوق طَوقاً، وأطاق يُطيق إطاقة وطاقة، كما يقال طاع وأطاع. والطاقة والطاعة إسمان يوضعان موضع المصدر. وتطوّقت الحيّةُ على عنقه: إذا صارت كالطَّوق.

مفر ـ أصل الطَّوق ما يُجعل في العُنق خِلقةَ كَطَوق الحَمام، أو صَنعةً كَطوق الذهب والفضّة، ويُتوسّع فيه فيقال طوّقته كذا، كقولك قلّدته. والطاقة: إسم لمقدار ما يمكن للإنسان أن يفعله بمشقّة، وذلك تشبيه بالطَّوق المحيط بالشيء.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الإحاطة والاستدارة على شيء محسوساً أو معقولاً. يقال طاقه يطوقه طَوقاً، وإذا كان النظر إلى جهة صدور الفعل عن الفاعل: يقال أطاقه يُطيقه إطاقةً والإسم الطاقة وهو الحالة المتحصّلة من الطَّوق، أي تحمّل الطَّوق والوقوع القهريّ تحت هذه المحدوديّة.

www.attaweel.com

ولمّا كان الطوق ملازماً في الأغلب المقهوريّةَ والمحدوديّة والتحمّل: يستعمل إسم الطاقة في هذا المعنى.

لا طاقَةَ لَنا اليومَ بجالوتَ وجُنوده ـ ٢ / ٢٤٩.

ربَّنا ولا تُحمِّلنا ما لا طاقةَ لَنا به ـ ٢ / ٢٨٦.

أي لا تَحمّلَ بهذه المحدوديّة لنا.

وليس بمعنى القدرة: فإنّ انتفاء القدرة يوجب انتفاء التكليف، مضافاً إلى أنّها غير مستفادة من المادّة.

وحقيقة التحمّل: هو قبول تلك المحدوديّة ومطاوعة طوق التكليف.

وعَلى الَّذينَ يُطيقونه فِديةٌ طعامُ مِسكين ـ ٢ / ١٨٤.

الضمير في يُطيقونه راجع إلى الصوم في [فَمَن كانَ مَريضاً أو عَلى سَفَرٍ فَعِدَّة مِن أيّام أُخَر] فعليه صوم تلك المعدودة الّتي أُفطِرت.

فيكون المعنى: والّذين يجعلون ذلك الصوم الّذي في ذمّتهم طَوقاً عليهم لا يقضونه حتّى يسقط ذلك الواجب عنهم، فيلزم عليهم فِدية.

والتعبير بالإطاقة: إشارة إلى أنّ ترك القضاء يكون طَوقاً وقلادة ومحدوديّة ثقيلة عليهم مستدامة إلى أن يسقط التكليف عنهم. وفيه دلالة أيضاً على أنّ تأدية الفدية والكفّارة لا يوجب سقوط التكليف عنهم، فإنّ تكليف الصوم طوق في رقبتهم ولا ينفكّ إلّا بقضاء الصوم.

وَلا يَحسبَنَّ الَّذينَ يَبخلون بِما آتيهم الله من فَضله هوَ خيراً لَهم بَل هو شَرّ لَهم سيُطوَّقون ما بَخِلوا به يومَ القيامَة ـ ٣ / ١٨٠.

أي يُجعَلون في طوق ممّا بخلوا به، فيكون طَوقاً عليهم وقلادة تُقيّدهم.

www.attaweel.com

وذلك: فإنّ الإنفاق في الله وفي الخدمة إلى خلق الله وعباده المحتاجين، خدمة في الله وعمل في رابطتـه. وفي مقابله الإمساك والبخل عن الإنفاق والخدمـة: فإنّـه يكشف عن التعلّق بالدنيا وحُبّها، وهذا التعلّق إنّما يتجلّى بصورة الطَّوق والقيد المقيِّد عن التوجّه.

* * *

طول:

مصبا ـ طالَ الشيءُ طُولاً: إمتـدّ. والطُّول خلاف العَرض، وجمـعه أطـوال. وطالت النخلة: إرتفعت. قيل هو من باب قرُب، وقيل من باب قال، والفعل لازم، والفاعل طويل، والجمع طِوال، وهذا أطول من ذاك، والمؤنثة طُولَى، والجمع طُول مثل فُضل. وأطالَ الله بقاءَه: مدّه ووسّعه، وطوّلتُ له: أمهلت. والمطاوَلة في الأمر: بمعنى التطويل فيـه. وهو غير طائل: إذا كان حقـيراً. وطَول الحُـرّة: ما فضل عن كفايته، وقيل: الطول الغنىٰ، والأصل أن يُعدّى بإلىٰ، فيقال وجدت طَولاً إلى نكاح الحُرّة أي سعةً. وقيل الأصل: طَولاً عليها، أي قدرة على نكاحها، واستطال عليه: قهرَه وغلبه، وتطاوَل عليه: كذلك ومَدار الباب على الزيادة.

مقا ـ طول: أصل صحيح يدلّ على فضل وامتداد في الشيء. من ذلك طال الشيء يطول طُولاً. ويقال طاولتُ فلاناً فطُلته، إذا كنتَ أطول منه. ويقال للحبل: الطِّوَل لطوله وامتداده. ويقولون لا أُكلّمه طَوالَ الدّهر. وأمر غير طائل: إذا لم يكن فيه غناء. واستطالوا عليهم: إذا قتلوا منهم أكثر ممّا قتلوا.

مفر ـ الطُّول والقِصَر متضايفانِ، ويسـتعمل في الأعيان والأعراض كالزمان وغيره، ويقال طَويل وطُوال، وعَريض وعُراض، وللجمع طِوال وقيل طِيال. والطَّول: خُصّ به الفضل والمَنّ. وطالوت إسم علم، وهو أعجميّ.

التهذيب ١٤ / ١٧ ـ طال فلان فلاناً: إذا فاقه في الطُّول. ويقال للحبل الطويل

جدّاً: الطِّوَل. ويقال قد طال طِوَلك يا فلان ـ إذا طال تماديه في أمر أو تراخيه عنه، وبعضهم يقول قد طال طِيَلُه. وطال طِوَلُك وطِيَلُك: أي طالت مدّته. قال الزجّاج في ـ ومَن لَم يستَطع مِنكُم طَولاً ـ أي لم يقدر منكم على مَهرِ الحُرّة. وقوله ـ ذي الطَّول: أي ذي القدرة. وقيل الغنى، والفَضل. وقال الليث: يقال إنّه ليتطوّل على الناس بفضله وخيره. واشتقاق الطائل من الطول. ويقال للشيء الخسيس الدون: هذا غير طائل. والطَّوَل: طُول في المِشفَر الأعلى على الأسفل، يقال جمل أطوَل وبه طَوَل.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الامتداد المعيّن الموجود فعلاً، في مقابل العرض. وبهذا القيد يمتاز عن مفاهيم الدوام والاستمرار والامتداد. فإنّ النظر فيها إلى امتداد إلى زمان بعد الحال، ولا يقال في الموجود المعيّن: إنّه مستمرّ أو مداوِم أو ممتدّ، إلّا أن يكون النظر إلى تحقّق هذه المفاهيم بالنسبة إلى مبدأ الخطّ، فيكون ما بعده ممتدّاً ومستمراً منه.

فقيد الامتداد الفعلي مأخوذ في جميع موارد استعمال المادّة. وأمّا مفاهيم ـ الغنى والقدرة والفضل والمنّ والقهر والغلبة والسعة والمهلة: فكلّ واحد منها مأخوذ من الأصل باختلاف الموارد وبالنسبة إلى ما يقابله. ولابدّ من لحاظ الأصل في كلّ منها.

أفطالَ عليكُم العَهدُ أم أردتُم أن يَحِلّ ـ ٢٠ / ٨٦.

بَل متَّعنا هؤلاء وآباءَهُم حتّى طالَ عليهم العُمُر ـ ٢١ / ٤٤.

ولَن تَبلغَ الجبالَ طُولاً ـ ١٧ / ٣٧.

فيوصف العهد والعمر والجبال بكونها طويلة، يراد كون التعهّد الحاكم عليهم ممتدّاً طويلاً أوجب المسامحة والغفلة عنه. وكون العيش والحياة الدنيويّة ممتدّة وجارية

فيهم حتّى أوجبت نسيان الحياة الاُخرويّة:

فَطالَ عَليهِم الأمَدُ فقست قلوبُهم ـ ٥٧ / ١٦.

ولكنّا أنشأنا قروناً فتطاولَ عليهم العُمُر ـ ٢٨ / ٤٥.

والتطاول لمطاوعة المطاوَلة، ويدلّ على التداوم.

ومِن الليلِ فاسجُد لهُ وسَبِّحه ليلاً طَويلاً ـ ٧٦ / ٢٦.

السجود له من أعلى مراتب العبوديّة، والتَّسبيح إنّما يتحقّق بعد حقّ المعرفة وبعد تحصّل العبوديّة ـ كما مرّ في السجد والسبح ـ فراجعهما.

ومَن لَم يَستَطع منكُم طَولاً أن يَنكح ـ ٤ / ٢٥ .

إستأذنَك أُولو الطَّول مِنهُم ـ ٩ / ٨٦ .

شَديدِ العقاب ذي الطَّول ـ ٤٠ / ٣.

قلنا إنّ الطَّول هو الامتداد الموجود، وهو في قبال القصر، والامتداد له مراتب، إلى أن ينتهي إلى امتداد فعليّ بلا نهاية في وجود غير متناه، وهو الطول في الله تعالى من جميع الجهات.

والمرتبة الضعيفة منه: فيمن لا يستطيعُ طولاً أن ينكح.

ثمّ إنّ الفرق بينها وبين القدرة أنّ الطَّول خصوصيّة في القدرة، وهي بسطها وامتداد فيها، والقدرة على أصل الطَّول.

وهذا هو لطف التعبير بهذه الصفة في المورد: إشارة إلى أنّ شدّة عقابه منبعث من مبدأ القدرة الطائلة الممتدّة المنبسطة، بحيث لا يعزبُ عن إحاطة طوله مورد. ـ راجع ـ طالوت.

* * *

www.attaweel.com

طوى:

مصبا ـ طويتُه طيَّاً من باب رمى، وطويتُ البئر، فهو طَويّ فعيل بمعنى مفعول. وذو طُوَى: وادٍ بقرب مكّة على نحو فرسخ، ويُعرَف بالزاهر.

مقا ـ طوى: أصل صحيح يدلّ على إدراج شيء حتّى يُدرَج بعضه في بعض، ثمّ يُحمل عليه تشبيهاً، يقال طويتُ الثوب والكتاب طَيّاً أطويه. ويقال طوى اللهُ عمرَ الميّت. والبئر المطويّة: هي الطَّوِيّ. وممّا حُمل على هذا الباب قولهم لمن مضى على وجهه طَوى كشحَه، وهذا هو القياس، لأنّه إذا مضى وغاب عنه فكأنّه أُدرجَ. ومن الباب أطواء الناقة، وهي طرائق شحم جنبيها. والطاوي البطنِ هو الطَّيّان.

صحا ـ طويتُ الشيءَ طَيّاً فانطوى، والطِّيّة مثل الجِلسة والرِّكبة. والطَّوَى: الجوع، يقال طَوِي يَطوَى طَوىً، فهو طاوٍ وطيّان. وفلان طَوَى كَشحَه: إذا أعرض بوُدّه، وهذا رجل طَوِي البطنِ على فَعِل: أي ضامِرُ البطن. وتطوّت الحيّةُ أي تحوّت. والطِّيّة: النيّة. قال الخليل: الطِّيّة تكون منزلاً وتكون منتأىً، تقول منه مضى لِطيّته أي لِنيّته الّتي انتواها، وبعدت عنا طِيّتهُ وهو المنزل الّذي انتواه وطُوَى إسم موضع بالشام تكسر طاؤه وتضمّ، يُصرف ولا يصرف. وقال بعضهم: طُوَى مثل طِوَى: هو الشيء المثنّى ـ المقدّس طُوى أي مرّتين، وقال الحسن: ثُنِّيت فيه البركة والتقديس مرّتين. وذو طُوى موضع بمكّة، والطَّويّة: الضمير. والطَّوِيّ: البئر المطويّة. والطاية: السطح.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو جمع في قبال النشر والبسط، وليس بمطلق الجمع. والفرق بينها وبين الحَوى: أنّ الحوى كما سبق هو جمع باشتمال وانضمام واستيلاء.

www.attaweel.com

ومن مصاديق المادّة: النيّة المنطوية في الباطن. وانطواء البطن وانقباضه بخلوّ المعدة وحصول الجـوع. وتطوّي الحيّة وتجمّعه من البسط. والبئر المبنيّة بالحـجارة. والثوب المنعطف. والكتاب الملتوي. والعمر إذا تمّ بسطُه وانقبَض. وانطواء الكشح، أي الباطن والضمير.

فيلاحظ في الأصل: جمع من شأنه البسط وفي مورد النشر.

يَومَ نَطوِي السَّماء كَطَيِّ السِّجلِّ للكُتُب ـ ٢١ / ١٠٤.

والأَرضُ جَميعاً قَبضتُه يومَ القيامَةِ والسَّمٰواتُ مَطويّاتٌ بيَمينه ـ ٣٩ / ٦٧.

أي نجمعها بعد أن كانت منشورة وفي حال كونها منبسطة، كما أنّ السِّجِلّ هو ما يضبط الكتب، يطوي ويجمع ما كان منشوراً.

فاخلَع نعليكَ إنَّكَ بالوادِ المقدَّس طُوَى ـ ٢٠ / ١٢.

إذ ناداه ربُّه بالواد المقدَّس طُوَى إذهَب إلى فرعَونَ ـ ٧٩ / ١٧.

يراد من الوادي جهة روحانيّته ومعنويّته، وكذلك المقدّس والطُّوى.

أي في طريقة روحانيّة مقدّسة عن ظلمات التـعلّقات الدنـيويّة المـادّيّة، وفي مجرى سيل العلوم والمكاشفات اللّاهوتيّة، وفي مسلك تجلّي النور، وقد انطوى في هذا السبيل ما من شأنه أن ينبسط وينتشر بالرسالة.

والطُّوى كالهُدى مصدر، ومنصوب على الحاليّة من الوادي.

وأمّا تفسـير الطُّوى بأنّه إسم ذلك الوادي: فأوّلاً إنّه غير ثابـت، وثـانياً لا اقتضاء في المورد لبيان إسم الوادي المقدّس الروحاني.

ويدلّ على المعنى الّذي ذكرناه: مضافاً إلى التناسب والاقتضاء، أنّ المأموريّة بالرسالة ـ إذهَب إلى فرعونَ ـ نتيجة ذلك الطوى.

* * *

www.attaweel.com

طيب :

مقا ـ طيب: أصل واحد صحيح يدلّ على خلاف الخبيث. من ذلك الطَّـيّب ضدّ الخبيث. يقال سَبي طِيبة أي طَيِّب. والاستطابة: الاستنجاء، لأنّ الرجل يُطيّب نفسَــه ممّا عليه من الخُبث بالاســتنجاء. ونَهى رسول الله (ص) أن يستطيبَ الرجلُ بيمينه. والأطيبانِ: الأكل والنكاح. وطَيْبة: مدينة الرسول (ص). ويقال هذا طعام مَطيَبة للنفس.

مصبا ـ طابَ الشيء يَطيب طِيباً: إذا كان لذيذاً أو حلالاً، فهو طَيِّب. وطابت نفسُه تطيبُ: انبسطت وانشرحت. والاستطابة: الاستنجاء، يقال استَطاب، وأطابَ إطابة أيضاً، لأنّ المستنجي تطيب نفسُه بإزالة الخبث عن المخرج. واستطبتُ الشيءَ: رأيته طَيّباً. وتَطيَّب بالطِّيب وهو من العِطر.

التهذيب ١٤ / ٣٩ ـ قال الليـث: الطيب: نعت، والفعل طابَ يَطيب طِـيباً. والطابة: الخمر، كأنّها بمعنى طَيّبة، والأصل طَيْبة. وكذلك إسم مدينة الرسول (ص) طابة وطَيبة. ويقال ما أطيَبه وأيطَبه وأطيِبْ به، كلّه جائز. وقال تعالى ـ طُوبىٰ لَهُم: فُعلى من الطِّيب، والمعنى العيش الطيّب لهم، وقيل: حُسنى لهم، أو خير لهم، أو إسم الجنّة بالهنديّة، أو إسم الجنّة بالحبشيّة. وطُوبى: كانت في الأصل طُيبىٰ، فقلبت الياء واواً. وأطاب واستطاب: إذا استنجى وأزالَ الأذى، وإذا تكلّم بكلام طَيّب، أو قدّم طعاماً طيّباً، أو وَلَد بنين طيّبين، أو تزوّج حلالاً.

❊ ❊ ❊

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحـد في المادّة: هو ما يكون مطلـوباً ليس فيه قـذارة ظـاهراً

ولا باطناً، ويقابله الخبث وهو ما يكون فيه قذارة ظاهراً أو باطناً وهو مستكره في نفسه.

وهذا المعنى يختلف باختلاف الموضوعات، فالطِّيب في كلِّ شيء بحسبه وبمقتضاه: كالطعام الطيّب، وعيش طيّب، وزوجة طيّبة، وكلام طيّب، ومكان طيّب، وجنّة طيّبة، ونفس طيّب، ورائحة طيّبة، ورزق طيّب، وشجرة طيّبة، وصعيد طيّب.

فمفاهيم ـ اللذيذ، الحلال، والمنبسط، والعطر، والخمر، ومدينة الرسول (ص)، والجنّة، والحُسن، والحلى، والخير، وغيرها: من مصاديق الأصل بلحاظ خصوصيّات في الموارد.

ولا بدّ من لحاظ القيدين في جميع موارد استعمالها.

والفرق بينها وبين الطهارة: أنّ الطهارة يلاحظ فيها جهة التنزيه وإبعاد القذارة، ولا يلاحظ فيها كونها مطلوبة. والطِّيب: يكون النظر فيه إلى كونه مطلوباً، وإلى صفاء الشيء وتماميّته في نفسه.

والطِّيب في الموضوع الخارجيّ:

فتَيمّموا صَعيداً طَيّباً ـ ٤ / ٤٣.

فكُلوا مِمّا رَزَقكُم الله حَلالاً طيّباً ـ ٢ / ١٦٨.

كَشَجَرةٍ طَيِّبة ـ ١٤ / ٢٤.

وفي الكلام:

وهُدوا إلى الطيّب مِن القَول ـ ٢٢ / ٢٤.

كَيفَ ضربَ اللهُ مَثلاً كلمةً طيّبةً ـ ١٤ / ٢٤.

إليهِ يَصعدُ الكَلِمُ الطَّيِّب ـ ٣٥ / ١٠.

وفي الإنسان:

والطيِّباتُ للطيّبينَ ـ ٢٤ / ٢٦.

ما طابَ لَكُم مِن النِّساء ـ ٤ / ٣.

سَلامٌ عَلَيكُم طِبتُم ـ ٣٩ / ٧٣.

وفي الجزاء:

الَّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالِحاتِ طُوبىٰ لَهُم ـ ١٣ / ٢٩.

وفي الحال والحياة:

وهوَ مؤمِن فَلَنُحيينَّه حياةً طَيِّبة ـ ١٦ / ٩٧.

فالطِّيب في الصعيد هو التنزّه عن القذارة. وفي الرزق هو الحِلِّيّة والمطلوبيّة واللّذة. وفي الشجر هو الإثمار والسلامة والإنبساط. وفي الكلام هو التماميّة والصدق والإفادة. وفي الإنسان كونه على صراط الحقّ وبرنامج مطلوب إلٰهيّ ومرغوباً إليه. وفي الحياة على عيش معتدل وفي صراط مستقيم. فالطِّيب في كلّ مورد بما يناسبه.

ويتّضح من موارد استعمال المادّة في كلام الله تعالى أُمور:

١ ـ مَن عَمِلَ صالحاً مِن ذَكَرٍ أو أُنثى وهوَ مؤمن فَلَنُحيينَّه حَياةً طيِّبة ـ ١٦ / ٩٧.

الحياة ضدّ الموت، وهو تداوم العيش للإنسان على ما هو حقّه، ولمّا كان الإنسان ذا جنبتين وفيه جهة بدنيّة، وجهة روحيّة، فلابدّ من لحاظهما وتأمين جانبيهما معاً.

وحركةُ البدن وقواه في مجراه المعتدل من دون انحراف، وسلوكُ الروح وسيرُه

www.attaweel.com

في مسيرة الروحانيّ العقليّ إلى كماله ولقاء ربّه: هو التنزّه عن كلّ قذارة ورِجس في الظاهر والباطن، وكونه مطلوباً عند العقل وفي سبيل الحقّ، وهو الطيّب من الحياة.

وإنّما تتحصّل هذا الحياة بالعمل الصالح بعد تحقّق الإيمان، وهذا هو المراد بقوله:

مَن كانَ يَرجو لقاء ربّه فليعمَل عَمَلاً صالِحاً ولا يُشرك بعبادة ربّه أحداً.

وإلى هذا المعنى يرجع قوله تعالى:

الَّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالِحاتِ طُوبَى لَهُم وحُسنُ مآب ـ ١٣ / ٢٩.

وقوله تعالى:

وقالَ لَهم خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيكُم طِبتُم فادخُلوها خالِدين ـ ٣٩ / ٧٣.

وقوله تعالى:

الَّذينَ تَتَوفّاهُم المَلائكةُ طيِّبينَ يقولون سَلامٌ عَلَيكُم ـ ١٦ / ٣٢.

فنتيجة الطِّيب هو السلام المطلق وحسن المآب وخلود الجنّة واللقاء.

٢ ـ كُلوا مِن طيِّبات ما رَزَقناكُم ـ ٢٠ / ٨١ .

يا أيُّها الرُّسُلُ كُلوا مِن الطيِّباتِ واعمَلوا صالِحاً ـ ٢٣ / ٥١.

ويُحِلّ لَهم الطيِّباتِ ويُحرِّم عَليهم الخبائِثَ ـ ٧ / ١٥٧.

قُل مَن حرَّم زِينةَ الله الَّتي أخرجَ لِعباده والطيِّباتِ مِنَ الرِّزْق ـ ٧ / ٣٢.

يَسألونَكَ ماذا أُحِلَّ لَهُم قُل أُحِلَّ لَكُم الطيِّباتُ ـ ٥ / ٤.

يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا لا تُحرِّموا طيِّباتِ ما أحلَّ اللهُ لَكُم ـ ٥ / ٨٧ .

تدلّ الآيات الكريمة على أنّ الضابطة الكليّة في حلّيّة المآكل والأرزاق هي كونها طيّبة خالية عن الرجس والقذارة ومطلوبة للطبع السليم. كما أنّ الضابطة في

حرمتها هي كونها خبيثة في ظاهرها أو الباطن.

ويستدلّ بهذه الضابطة على حلّية الشيء المشكوك إذا أُحرِز كونه طيّباً، وعلى حرمته إذا أُحرِز كونه خبيثاً.

٣ ـ الخبيثاتُ للخبيثينَ والخبيثونَ للخبيثاتِ والطيِّباتُ للطيّبينَ والطيّبون للطيّباتِ أُولئكَ مُبَرَّؤونَ مِمّا يقولون ـ ٢٤ / ٢٦.

الخبيثة والطيبة تعمّ ما يكون من الأقوال أو الأعمال أو الأفكار أو الأحوال أو الآداب أو الأزواج أو الصواحب والرفقاء.

وهذه الضابطة أيضاً كلّية تجري في جميع الموارد، فإنّ التجانس والتجاذب فيما بين المتجانِسينَ والمتجانِسات من الأُمور الطبيعيّة في قاطبة مراتب الخلقة وعوالم الوجود، فإنّ كلّ شيء يميل إلى ما يجانسه، وكلّ ظرف يترشّح عنه ما فيه.

ويراد من الطيّبين والخبيثين: الجماعة من ذوي العقل مذكّراً أو مؤنّثاً، للتغليب أو غيره.

* * *

طير:

مقا ـ طير: أصل واحد يدلّ على خفّة الشيء في الهواء، ثمّ يستعار ذلك في غيره وفي كلّ سرعة، من ذلك الطَّير: جمع طائر، سمِّي بذلك لما قلناه، يقال طار يطير طَيَراناً. ثمّ يقال لكلّ مَن خفَّ: قد طار، قال رسول الله (ص): خيرُ النّاس رجل مُمسِك بعِنان فرسه في سبيل الله كلّما سمع هَيعة طار إليها. ويقال من هذا: تطايَر الشيء: تفرّق، واستطار الفجر: انتشر. فأمّا تطيّر من الشيء: فاشتقاقه من الطَّير كالغراب وما أشبهه. ومن الباب: طائرُ الإنسان، وهو عمله. وبِئر مُطارة إذا كانت واسعةَ الفم. ومن الباب: الطِّيرة: الغضب، وسمّي كذا لأنّه يستطار له الإنسان. ومن الباب قولهم ـ

www.attaweel.com

خُذ ما تَطاير من شَعر رأسك، أي طال.

مصبا ـ الطائر: مِن طار يطير طَيَراناً، وهو له في الجوّ كمشي الحيوان في الأرض، ويُعدَّى بالهمزة والتضعيف، فيقال طيّرته وأطرته، وجمع الطائر طَير مثل صاحب وصَحب، وجمع الطَّير طُيور وأطيار، وطائرُ الإنسان: عملُه الّذي يُقلّده. وطارَ القوم: نفروا مسرِعين. واستطار الفجر: انتشر. وتطيّر من الشيءِ واطّيّر منه. والإسم الطِّيَرَة وزان عِنَبة، وهي التشاؤم. وكانت العرب إذا أرادت المضيّ لمهمّ مرّت بمجاثم الطير وأثارتها لتستفيد هل تمضي أو ترجع، فنهى الشارع عن ذلك، وقال ـ لا هامَ ولا طيرةَ.

التهذيب ١٤ / ١١ ـ قال الليث: الطَّير: معروف وهو إسم جامع مؤنّث، والواحد طائر، وقلَّما يقولون طائرة للأُنثى. وأبو عبيدة: أجاز أن يُقال للواحد طَير، وجمعه على طيور. وقال الفرّاء في قوله **أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ في عُنُقه**: عمله إن خيراً فخيراً وإن شرّاً فشرّاً، وقال أبو زيد: شفاءَه. وقيل للشُّؤم طائر وطَير وطِيَرة، لأنّ العرب كان من شأنها عِيافة الطَّير وزجرها والتطيّر ببارحها وبنَعيق غِربانها وأخذها ذاتَ اليسار إذا أثاروها فسمّوا الشؤم طَيراً وطائراً وطِيَرة لتشاؤمهم بها وبأفعالها. وقال رسول الله (ص): لا طِيَرةَ ولا هامةَ. وكان النبيّ (ص) يتفاءل ولا يَتطيَّر. وقال الليث: طار الطائر يطير طَيَراناً. قال والتطاير: التفرّق والذهاب.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو حركة سريعة من دون تثاقل فيها، في حيوان أو غيره. وإن كان الشايع أن تكون في حيوان، فتطلق عليه عند الإطلاق.

فيقال: طار الطائر في الهواء، وطار القوم بسرعة، وتطاير الشيءُ: إذا تفرّق

www.attaweel.com

بخفّة، واستطار الغبار: إذا انتشر في الأُفق.

ومن ذلك الطائر بمعنى ما يتفوّه الإنسان به من دون تعقّل وتفكّر ويخرج من فيه سريعاً وبخفّة تشأماً وطيرة، مضافاً إلى ارتباط ذلك المعنى بتطيّر الطير وعيافتها المتداول في العرب.

فيقال طَيَّر الطائرَ فتطيَّره أي حرّكه وأثاره ثمّ اختار كيفيّة ذلك الطيران واستنتج منه ما يوافق اعتقادهم.

فالتطيّر تفعّلٌ، وهو يدلّ على المطاوعة والاختيار من التفعيل، والإطَّيُّر أصله التطيّر، قلبت تاءه طاءً، والفرق بين الصيغتين: أنّ التشديد يدلّ على تأكّد زائد.

والطَّير: إسم جنس كالتمر، وليس بجمع، فيطلق على الواحد والجمع، ولا يبعد أن يكون في الأصل صفة مشبهة كالصَّعب.

فَخُذْ أربعةً مِن الطَّير ـ ٢ / ٢٦٠.

وإذ تَخْلق مِن الطِّين كَهَيئة الطَّير ـ ٥ / ١١٠.

تأكُلُ الطَّير مِنه ـ ١٢ / ٣٦.

والطَّير صافّاتٍ ـ ٢٤ / ٤١.

وحُشر لسُليان جُنوده مِن الجنّ والإنس والطَّيرِ ـ ٢٧ / ١٧.

فأنفخُ فيه فيكونُ طيراً بإذن الله ـ ٣ / ٤٩.

فذكر الطير في رديف الجنّ والإنس: يدلّ على أنّه إسم جنس، كالجنّ والإنس، مضافاً إلى أنّ المناسب في هذه الآيات كونه إسم جنس، وهو ما يدلّ على مفهوم مطلق من حيث هو، فالطير يدلّ على مطلق ما يتّصف بالطيران، وهذا المعنى يصدق على واحد وعلى آحاد. ولا يصحّ إرادة معنى الجمع: فإنّ النفخ في طين مثلاً يوجب خلق طائر لا طيور.

www.attaweel.com

ثمّ إنّه ذكر في القرآن الكريم موارد من جريان أُمور الطَّير، فيها خرق للناموس الكلّيّ الطبيعيّ، وإعجاز محسوس.

١ ـ جريان إحياء الطَّير من إبراهيم (ع):

وإذ قالَ إبراهيمُ ربِّ أرِني كَيفَ تُحيي المَوتىٰ قالَ أوَلَم تؤمِن قالَ بَلىٰ ولكن ليَطمئنَّ قَلبي قالَ فَخُذ أربعةً مِن الطَّير فصُرهنّ إليكَ ثُمَّ اجعَلْ عَلى كُلّ جبَل ... الآية ـ ٢ / ٢٦٠.

٢ ـ جريان إحياء الطَّير من عيسى (ع):

ورَسولاً إلى بَني إسرائيل أنِّي قَد جِئتكُم بآيَة مِن ربِّكُم أنِّي أخلق لَكُم مِن الطِّين كَهَيئة الطَّير فأنفُخ فيه فَيَكون طَيراً بإذن الله ـ ٣ / ٤٩.

٣ ـ تسبيح الطير مع داود (ع):

وسخَّرنا مَعَ داودَ الجبالَ يُسبِّحنَ والطَّيرَ ـ ٢١ / ٧٩.

يا جِبالُ أوِّبي مَعه والطَّيرَ ـ ٣١ / ١٠.

٤ ـ وورِثَ سُليمانُ داودَ وقالَ يا أَيُّها النّاسُ عُلِّمنا مَنطِقَ الطَّير ـ ٢٧ / ١٦.

فتدلّ على ارتباط بين سليمان والطَّير، كما في ما بعدها:

وَحُشِرَ لسُلَيمانَ جنودُه مِنَ الجنّ والإنس والطَّيرِ.

٥ ـ رمي الطَّير بالحجارة:

وأرسَلَ عَلَيهم طَيراً أبابيلَ تَرميهم ـ ١٠٥ / ٣.

فهذه أُمور مربوطة بالطَّير مذكورة في كلام الله المجيد خارقة للنواميس الكليّة الثابتة الطبيعيّة، وإنّما هي جارية بأمر الله وإرادته الحاكمة على ما في العوالم، من أيّ عالم كان.

www.attaweel.com

وقال تعالى في توضيح أمثال هذه الخوارق بقوله:

إنَّ مَثَل عيسى عِندَ الله كَمَثَل آدَمَ خَلَقهُمِن تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُن فَيَكون ـ٣/٥٩.

وقال تعالى:

فإذا قَضَى أمراً فإنَّما يقولُ لَهُ كُن فَيَكون ـ ٤٠ / ٦٨.

والاستطارة أصله استطيار بمعنى طلب الطَّيَران، بإرادة أو باقتضاء الحال:

ويَخافونَ يَوماً كانَ شرّه مُستَطيراً ـ ٧٦ / ٧.

إنّا تَطيَّرنا بكُم... قالوا طائركُم مَعَكُم ـ ٣٦ / ١٨.

وإن تُصِبهم سَيّئةٌ يَطَّيَّروا بموسى ومَن مَعَه ـ ٧ / ١٣١.

قالوا إطَّيَّرنا بِكَ وبِمَن مَعَك قالَ طائركُم عِند الله ـ ٢٧ / ٤٧.

أي ظهرت منّا حركة سريعة فكريّة خفيفة واخترنا تلك الحركة الفكريّة المخصوصة، وقلنا إنّ هذا المعنى مأخوذ من إثارة الطير، فيكون المعنى ـ إنّا اخترنا إثارة الطير وتحريكه. والطائر: هو ما يتحرّك سريعاً بخفّة، أو الطير الّذي يتحرّك ويُثار ليُرى إلى أيّ جانب يطير.

ويصحّ أيضاً أن نقول: إنّ التطيّر يراد منه الشأم كناية، والكناية استعمال لفظ في معناه الحقيقيّ، ويراد منه ما يلزمه، وهذا ليس من استعمال اللفظ في معناه المجازيّ.

وكُلَّ إنسانٍ ألزَمْناهُ طائِرَهُ في عُنُقه ـ ١٧ / ١٣.

أي ما انتشر وسطع وظهر من كلام أو عمل أو غيرهما.

والتعبير بالطائر والعنق: إشارة إلى ظهور الأثر وتحرّكه بسرعة، ومن دون ثقل وتراخ، بحيث يغفل الإنسان عن ضبطه والتسلّط عليه. فلابدّ له أن يراقب أعماله بأشدّ مراقبة.

وأمّا العنق: فإنّ تلك الحركات الطائرة والأعمال الصادرة منه، تكون كالقلادة والقيد في عنقه ـ طائرُكُم مَعَكُم.

ولا يخفى تحقّق التناسب فيما بين هذا الطائر وبين الطير الّذي يكون مورد اشتهاء في الجنّة، ولعلّه من التجسّم:

وَلَحمِ طَيرٍ مِمّا يَشتَهون ـ ٥٦ / ٢١.

واذكُر عبدَنا داودَ ... والطَّيرَ مَحشورةً كُلٌّ لَهُ أوّاب ـ ٣٨ / ١٩.

قلنا إنّ الحشر فيه قيود ثلاثة: البعث والسوق، والنشر، والجمع، يراد حشر الطير إلى جانب داود، فتدلّ على ارتباط وتسبيح مع داود.

* * *

طين:

مقا ـ طين: كلمة واحدة وهو الطِّين، وهو معروف. ويقال طيّنت البيت وطِنتُ الكتابَ، ويقال طانه الله تعالى على الخير أي جبَله، وكأنّ معناه والله أعلم، من طِنت الكتاب أي ختمته، كأنّه طبعه على الخير وختم أمره به.

مصبا ـ الطين: معروف، والطِّينة: أخصّ. وطانَ الرجل البيتَ والسطحَ يَطينهُ من باب باع: طلاه بالطين، وطيّنَه: مبالغة وتكثير. والطِّينة: الخلقة. وطانَه الله على الخير: جبَله عليه.

كتاب الأفعال ٢ / ٣٠٨ ـ طانَ الكتابَ طَيْناً: ختمه بالطِّين، والحائطَ: حَمله عليه، وعلى الشيءِ: كذلك. والأرضُ: كثر طينُها. وطانه الله طينة حسنةً على الخير: جَبَله.

* * *

www.attaweel.com

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو التراب المختلط بالماء بحيث يكون شيئاً واحداً، والتراب المرطوب أضعف منه.

ويشتقّ منه بالاشتقاق الانتزاعيّ قولهم ـ طان الكتابَ والحائط، وطان على الشيءِ، وطان البيتَ، وطانَ الأرضُ، وطيّنته.

وباعتبار كون الطين مادّة لبعض الخلق كالإنسان وغيره، بل إنّه مادّة لخلق ما في الأرض من النبات والحيوان والإنسان والحجارة يطلق الطين بمعنى الطينة والجِبلّة الأوّليّة.

وكان في قديم الأيّام متداولاً أن يختموا ويسدّوا بعض الأشياء والظروف بالطين، فأطلق على هذا المعنى أيضاً.

فخَلقُ الحِجارة من الطين كما في:

لِنُرسلَ عَلَيهم حِجارةً مِن طين ـ ٥١ / ٣٣.

وفي الحيوان كما في:

وإذ تَخلقُ مِن الطّين كَهَيئة الطَير بإذني ـ ٥ / ١١٠.

وفي الإنسان كما في:

هُوَ الَّذي خَلَقَكُم مِن طين ـ ٦ / ٢.

وفي التصريح بالطين: إشارة إلى عظمة الخالق القادر المتعال، حيث إنّه خلق الإنسان والحيوان من هذه المادّة النازلة غير الشاعرة، وأيضاً توجيهُ الإنسان إلى أصله ومادّته الأوّلية السافلة.

هوَ الَّذي خَلَقَكُم مِن طين ثُمَّ قَضَى أجلاً ـ ٦ / ٢.

أنا خيرٌ مِنهُ خَلَقتَني مِن نار وخَلَقتَهُ مِن طين ـ ٣٨ / ٧٦.

فللإنسان أن يتوجّه إلى مادّته الأصيلة والموجودة في وجوده، وإلى أنّه يُديم حياته الطبيعيّة على هذا المبنى إلى أجل، ثمّ يعود إلى أصله.

فلا يصحّ له أن يفتخر بوجوده الظاهريّ الموقّت المحدود وبحياته إلى أجل معلوم، وهو يرجع إلى التراب.

فالطين مبنى الحياة المادّيّة ومبدؤها ومنتهاها. وأمّا الحياة المعنويّة الروحانيّة: فمبدؤها الروح المتجلّي من الله تعالى ـ ونَفختُ فيه مِن روحي. ومرجعها إلى الله العزيز ـ اِرجِعي إلى رَبِّك.

وهذا معنى قوله تعالى:

ثُمَّ رَدَدْناهُ أسفَلَ سافِلين إلّا الَّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالِحاتِ فَلَهُم أجرٌ غَيرُ مَمنون ـ ٩٥ / ٥.

وإذا كان الإنسان حافظاً لظاهره وباطنه وعاملاً لدنياه ومنتهى سيره ومقصدُه إلى الله تعالى: يكون في الدنيا سعيداً وفي الآخرة سعيداً وهذا حقيقة سعادة الحياتين:

ربّنا آتِنا في الدُّنيا حَسَنَة وفي الآخِرَة حَسَنَة وقِنا عَذابَ النّار.

هذا آخر باب حرف الطاء، ويتلوه بعون الله عزّ وجلّ وتوفيقه ما يتعلّق بحرف الظاء المعجمة.

وقد تمّ هذا الجزء في ٢٤ شهر ذي الحجّة الحرام من شهور سنة ١٤٠١ هـ ببلدة قم المشرّفة بساكنتها.

www.attaweel.com

باب حرف الظّاء

ظعن :

مصبا ـ ظعَن ظعناً من باب نفع: ارتحلَ. والإسم ظَـعَنٌ بـفتحتين، ويَـتعدّى بالهمزة وبالحرف فيقال أظعنته وظعنتُ به، والفاعل ظاعِن، والمفعول مَظعون والأصل مظعون به لكن حذفت الصلة لكثرة الاسـتعمال. ويقال للمرأة ظعينة فـعيلة بمـعنى مفعولة لأنّ زوجها يَظعن بها. ويقال الظعينة الهودج سـواء كان فـيه امـرأة أم لا، والجمع ظَعائن وظُعُن.

مقا ـ ظعن: أصل واحد صحيح يدلّ على الشُّخوص من مكان إلى مكـان، تقول ظَعَن يَظعَن ظَعْناً وظَعَناً: إذا شخص. والظعينة: ممّـا يقال فيه، فقال قوم: هي المرأة، وقال آخرون: الرحيل. والظَّعون: البعير الّذي يُعدّ للظَّعن. ومن الباب الظِّعان: وهو الحبل الّذي يشدّ به القَتَب على البعير، لأنّه أحد أدوات السير والظعن.

الاشتقاق ١١٧ ـ عثمان بن مَظعون: واشتقاق مَظعون من قولهم جَمَل مَظعون: إذا شُدّ عليه الظِّعان، والظِّعان حَبل يُشدّ به الهَودجُ على البعير، وبه سمّيت الظَّعينة، ولا تسمّى المرأة ظَعينة حتّى تكون في هَودج، ثمّ كثر ذلك في كلامهم حتّى لزم المرأةَ إسمُ الظعينة، وقالوا: ظَعنَ القوم إذا ارتحلوا.

وص ١٧٧ ـ وظاعِنةٌ من الظَّعن ضدّ المُـقام، والظَّعْن والظَّعَن: واحد، وقـد

قرئ ـ يوم ظعنِكم وظَعَنِكم. والظَعينة: المرأة الّتي تكون في الهَودج، والجمع ظَعائن وأظعان.

التهذيب ٢ / ٣٠٠ ـ عن ابن السكّيت: يقال هذا جملٌ تَظَّعِنُه المرأةُ أي تَركبه في سفرها وفي يوم ظعنها. والظعن: سير البادية لنُجعة أو حضور ماء أو طلب مَرتع أو تحوّل من ماء إلى ماء أو من بلد إلى بلد. وقد يقال: لكلّ شاخِص لسفر في حجّ أو غَزو أو مسير من مدينة إلى أُخرى: ظاعِنٌ، وهو ضدّ الخافِض، يقال أظاعنٌ أنت أم مقيم؟ وقال الليث: الظعينة: المرأة لأنّها تَظعن إذا ظَعن زوجُها وتُقيم بإقامته.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يقابل الإقامة، ويدلّ على مطلق رحلة من مكان.

والفرق بينها وبين الرَّحل والسَّفر والسَّير والسَّري: أنّ الرحل يلاحظ فيه الانتقال من مكان إلى مكان معيّن منظور. والسفر يلاحظ فيه الخروج من مكان محدود معيّن إلى خارج مع الحركة والسَّير. والسَّير: يلاحظ فيه الحركة والذهاب مادّياً ومطلقاً. والسَّري يلاحظ فيه الحركة في سرّ وخفاء. ويلاحظ في الظعن جهة الخروج من محلّ إقامة من حيث هو من دون نظر إلى جهات أُخرى ـ راجع ـ سري.

وجَعَلَ لَكُم مِن جُلود الأنعام بُيوتاً تَستَخِفّونَها يَوم ظَعنكُم ويومَ إقامتكُم ـ ١٦ / ٨٠.

ذكر اليوم وإضافته إلى الظعن يدلّ على أنّ الظعن يلاحظ فيه ابتداء السَّير، وهو ما ينقض فيه حال الإقامة.

والجلد هو القشر المحيط بشيء، فيعمّ الصوفَ والوبر والشعر النابتة في ظاهر

البدن، فيكون ذكرُ ـ وَمِن أصوافِها وأوبارِها وأشعارِها أثاثاً ومَتاعاً ـ بعد الجلود: من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ، من جهة آثار ومنافعَ مخصوصةٍ أخرى.

ولا يبعد أن يراد من الجلود معناها الخاصّ: باعتبار اختصاص وامتياز فيها في مقام البيتوتة وفي جعلها بيوتاً، حيث إنّها تقي داخلها من الحرّ والبرد ونفوذ المطر والرطوبة، وهي مع ذلك خفيفة لطيفة.

وفي الآية الكريمة إشارة إلى تأمين حياة الإنسان وإدامة عيشه المادّيّ، من جهات طبيعيّة، في الطبيعة ما يحتاج إليه الإنسان في حياته، من سكنى ومأكل ومشرب وملبس وغيرها.

* * *

ظفر:

مصبا ـ الظُّفر: للإنسان مذكّر، وفيه لغات أفصحها بضمّتين، وبها قرأ السبعة في ـ حَرَّمنا كُلَّ ذي ظُفُر. والثانية ـ الإسكان للتخفيف، وقرأ بها الحسن البصريّ. والجمع أظفار، وربّما جمع على أظفُر. والثالثة ـ بكسر الظاء وزان حِمل. والرابعة ـ بكسرتين للإتباع، وقرئ بهما في الشاذّ. والخامسة ـ أُظفور والجمع أظافير مثل أُسبوع. وظفِر ظَفَراً من باب تَعِب، وأصله بالفوز والفلاح، وظفِرتُ بالضالّة: إذا وجدتها، والفاعل ظافِر. وظفِر بعدوّه، وأظفرته به وأظفرته عليه: بمعنى.

مقا ـ ظفر: أصلانِ صحيحان، يدلّ أحدهما على القهر والفوز والغلبة. والآخر على قوّة في الشيء. ولعلّ الأصلين يتقاربان في القياس.

فالأوّل ـ الظَّفَر وهو الفلج والفوز بالشيء، يقال ظفِر يَظفَر ظَفَراً، والله أظفر ـ مِن بعدِ أن أظفَركُم عَلَيهم. ورجل مُظَفَّر. والأصل الآخر ـ الظُّفر، ظُفر الإنسان، ويقال ظفّر في الشيء: إذا جعل ظفره فيه. ورجل أظفر، أي طويل الأظفار، كما يقال

أشعر أي طويل الشَّعر. ويقال ظفَّر النبتُ تظفيراً: إذا طلَع. ويقال ظُفرت العين إذا كان بها ظَفَرة، وهي الّتي يقال لها ظُفر. ومن الباب ظُفر القوس. وربّما قالوا الظَّفَرة: ما اطمأنّ من الأرض وأنبت. والأظفار: كواكب صغار.

التهذيب ١٤ / ٣٧٤ ـ قال الليث: الظُّفر: ظُفر الإصبع وظُفر الطائر، والجميع الأظفار، وجمع الأظفار أظافير. ويقال للرجل: إنّه لمَقلوم الظُّفر عن أذى الناس، إذا كان قليل الأذيّة لهم. ويقال: للمَهين الضَّعيف، إنّه لكَليل الظُفر لا يَنكى عدوّاً. ويقال ظفَر فلان في وجه فلان: إذا غرزَ ظُفره في لحمه فعقره، وكذلك التـظفير في القِـثّاء والبَطّيخ والأشـياء كلّها. والظَفَرة: جُليدة تغشّي العـين تنبت من تلقاء المأق، وربّما قُطعت. وقال الليث: الظَّفَر: الفوز بما طلبتَ والفلج على من خاصمتَ، وتقول ظفّر الله فلاناً على فلان، وكذلك أظفره الله وظفِرتُ به فأنا ظافر وهو مَظفور به. وقال ابن بُزرج: تَظافَر القوم عليه وتضافَروا وتظاهَروا: بمعنى واحد.

مفر ـ الظُّفر: يقال في الإنسان وفي غيره، ويعبّر عن السِّلاح به، تشبيهاً بظُفر الطائر، إذ هو بمنزلة السِّلاح. والظَّفَر: الفَوز وأصله من ظَفَره أي نشب ظُفره فيه.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الغلبة في طريق الفوز، فالقيدان لازمـان في موارد استعمال المادّة.

وبهذا يظهر الفرق بينها وبين موادّ ـ الغلبة والقهر والفوز.

وأمّا الظُّفر: فهو مأخوذ من الأصل، لأنّه وسيلة الغلبة والفوز، وبهذا السِّلاح يقهر صاحبُه على عدوّه وما يقابله.

ولا يبعد أن تكون هذه الكلمة في الأصل صفة مشبهة كالصُّلب، بمعنى ما من شأنه الاتّصاف بالظَّفَر، ثمّ غلب استعماله في الظُّفر.

وأمّا قولهم ـ ظفَر فلان في وجه فلان، وظفّر فيه: فمن الاشتقاق الانتزاعي من الظُّفر. وأمّا الظَّفَرة: إمّا من جهة غلبته أو أنّه مجاز بمناسبة الصلابة والارتفاع في الظُّفر والظَّفَرة.

وهوَ الَّذي كَفَّ أيديَهم عَنكُم وأيديَكُم عَنهُم ببَطن مكَّةَ مِن بعد أن أظفَركُم عَلَيهم ـ ٤٨ / ٢٤.

أي جعلكم قاهرين غالبين عليهم.

إشارة إلى كونهم فارغين ومأمونين بعد أن جعلهم فائزين غالبين.

وعَلى الَّذينَ هادوا حرَّمنا كُلَّ ذي ظُفُر ـ ٦ / ١٤٦.

أي ذي مِخلب وسُنبك من سباع الطير والأنعام يقطع به صيده.

والظاهر تحريم كلّ ماله ظفر وإن لم يكن سبُعاً على اليهود، كالدجاجة وغيرها. فإنّ السبع ذا مخلب يقطع به صيده محرّمٌ في الإسلام أيضاً.

ثمّ إنّ الظُّفر هو ما يكون في أطراف أصابع الإنسان والطيور والوحوش، وإذا كان آلةَ افتراس فهو المِخلب كما في الطيور والوحوش المفترسة، وإذا كان على صورة تحيط نهاية القدم وتغطّيها فهو الحافر والظِّلف، والظِّلف يكون واحداً كما في الفرس، وقد يكون إثنين كما في الغنم والبقر والجمل والظبي، وقد يكون ثلاثة كما في الكَركَدَّن، وقد يكون أربعة كما في الخنزير، وقد يكون خمسة كما في الفيل. ويسمّى ذو الحافر المتعدّد مشقوقَ الظِّلف.

هذا ما يقال في الكتب المربوطة، ولكنّ التحقيق كما قلنا إنّ الظُّفر من الظَّفَر،

www.attaweel.com

وهو ما به يتحصّل الظَّفَر، وقد أطلق على ما في رؤوس الأصابع من الأظفار إذا كان صُلباً وحادّاً وقاطعاً، وهذا المعنى يشمل كلّ حيوان له ظُفر وإن لم يكن وحشيّاً ومن السباع، ولا يبعد شموله كلّ ما يكون له أظلاف مشقوقة صُلبة قاطعة.

وهذا المعنى يؤيِّده ما في توراة الأحبار (اللّاويِّين) الفصل ١١ طبعة HODGSON سنة ١٨١١ ـ م.

٣ ـ كلّ مُظَلّفَة بظِلف ومُفرِّق ظِلفها تفريقاً ومُصعِّدة اجتراراً من البهايم فكُلوها ـ ٢٦ ـ من جميع البهايم الّتي هي مظلَّفة بظِلف وليست مفرَّقة واجتراراً ليس هي مُصعِّدة فهي نجسة لكم كلّ من دَنا بها يَنجس.

فحكم بحرمة أكل بهيمة لم يُشَقّ ظِلفها ولم يَجترّ طعامَها، ولابدّ في حلّيّة الأكل من وجود الشرطين ـ شقّ الظِلف، اجترار الطعام.

ثمّ حكم بحرمة الجمل: لأنّه يجترّ ولكنّ ظِلفه غير مشقوق. ثمّ أشار إلى حرمة الطيور ما كان منها ذا ظفر قاطع حادّ.

ومع ذلك، فالآية الكريمة ـ **حرَّمنا كلّ ذي ظُفر** ـ فيها إجمال وإطلاق من جهة الخصوصيّات والشرائط، ولا يجوز الحكم في القضايا الشخصيّة، فالمورد خارج عن تعيين الحكم وتحقيقه والبحث فيه.

* * *

ظلّ:

مصبا ـ الظلّ: قال ابن قتيبة: الظلّ يكون غدوةً وعشيّةً، والفَيء لا يكون إلّا بعد الزوال، لأنّه ظلّ فاء من جانب المغرب إلى جانب المشرق، والفيء الرجوع. وقال ابن السِكّيت: الظلّ من الطلوع إلى الزوال، والفيء من الزوال إلى الغروب. ومن

هنا قيل: الشمس تنسخ الظلّ، والفيء ينسخ الشمس. وجمع الظلّ ظِلال وأظِلّة وظُلَل. وأنا في ظلّ فلان أي في ستره، وظِلُّ الليل سواده، لأنّه يستر الأبصار عن النفوذ. وظَلَّ النهار يظِلّ من باب ضرب ظِلالةً: دام ظلّه، وأدام كذلك. وأظلَّ الشيء وظلَّل: إمتدّ ظلّه، فهو مُظِلّ أي ذو ظلّ يُستَظلّ به. والمِظَلّة: البيت الكبير من الشَّعر وهو أوسع من الخباءِ. وأظلّ الشيءُ إظلالاً: إذا أقبلَ أو قرُب، وأظلّ: أشرف، وظلّ يفعل كذا يظَلّ من باب تعِب ظلولاً: إذا فعله نهاراً. قال الخليل: لا تقول العرب ظلّ إلّا لعمل يكون بالنهار.

مقا ـ ظلّ: أصل واحد يدلّ على ستر شيء لشيء، وهو الّذي يسمّى الظِّلّ. وكلمات الباب عائدة إليه. فالظِّلّ: ظِلّ الإنسان وغيره ويكون بالغداة والعشيّ، والفَيء لا يكون إلّا بالعشيّ. وتقول أظلّتني الشجرةُ. وظِلّ ظَليل: دائم. والليل ظِلٌّ. وأظلّك فلان: كأنّه وقاك بظلّه وهو عزّه ومَنعته. ويقال إنّ الظُّلّة أوّل سَحابة تُظلّ. ومن الباب: ظلّ يفعل كذا، وذلك إذا فعله نهاراً وإنّما قلنا ذلك لأنّه شيء يخصّ به النهار، والشيء يكون له ظلّ في النهار، ولا يقال ظَلّ يفعل كذا ليلاً، لأنّ الليل نفسه ظِلّ.

التهذيب ١٤ / ٣٥٧ ـ قال الليث: ظلّ فلان نهاره صائماً، ولا تقول العرب ظلّ يظَلّ إلّا لكلّ عمل بالنهار، كما لا يقولون بات يبيت إلّا بالليل. ومن العرب من يحذف لام ظَلِلت ونحوها حيث يظهران، فأمّا أهل الحجاز فيكسرون الظاء على كسرة اللّام الّتي اُلقيت، فيقولون ظِلنا وظِلتم. وقال الله تعالى ـ ظَلْتَ عليه عاكفاً. وقال الفرّاء: أظلّ يومنا إذا كان ذا سحاب، وكلّ شيء أظلّك فهو ظُلّة. وقال أبو زيد: يقال كان ذلك في ظلّ الشتاء أي في أوّل ما جاء الشتاء، وفعلت ذلك في ظلّ القيظ أي في شدّة الحرّ.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحـد في المادّة: هو انبساط آثار الوجود والشخصيّة، مادّياً أو معنويّاً.

فظِلّ كلّ شيء انبساط آثار وجوده، محسوساً كما في:

وإذ نتَقنا الجبلَ فوقَهم كأَنَّهُ ظُلّة - ٧ / ١٧١.

وما يَستوي ... ولا الظُّلمات ولا النّور ولا الظِّلّ ولا الحَرور - ٣٥ / ٢١.

فسَقَى لهُما ثُمَّ تَولَّى إلى الظلّ - ٢٨ / ٢٤.

وظلَّلنا عَلَيكُم الغَمام وأنزلنا - ٢ / ٥٧.

يراد الظلّ المحسوس في مقابل نور الشمس، وحقيقة هذا الظلّ عبارة عن انبساط آثار وجود الشيء حين وقوعه في قبال النور.

ومعنويّاً كما في:

لَهُم فيها أزواجٌ مُطهَّرة ونُدخِلهُم ظِلّاً ظَليلاً - ٤ / ٥٧.

وفي الأعمّ منهما كما في:

ألم تَرَ إلى ربّك كَيفَ مَدَّ الظِّلّ - ٢٥ / ٤٥.

يراد انبساط فيضه العامّ وامتداد آثار رحمته المطلقة.

وفيما يناسب عالم الآخرة كما في:

لَهُم مِن فَوقهم ظُلَل مِن النّار ومِن تَحتهم ظُلَل - ٣٩ / ١٦.

في سَموم وحَميم وظِلّ مِن يَحموم - ٥٦ / ٤٣.

هُم وأزواجُهم في ظِلال عَلى الأرائِك متّكِئون - ٣٦ / ٥٦.

فلابدّ أن يكون هذا الظلّ من سنخ عالم الآخرة ومناسباً للنار والجنّة.

ولا يخفى أنّ الظلّ يختلف باختلاف حيثيّات ذي الظلّ وخصوصيّاته ومقاماته، فقد يكون ذو الظلّ واقعاً في قبال حرارة شديدة أو برودة أو مطر أو ثلج أو غيرها ممّا لا يلائم: فيكون الظلُّ حينئذ مطلوباً.

وأمّا إذا كان ذو الظلّ نفسه شيئاً له شدّة وحدّة كالنار والحميم واللَّهَب والعذاب والبلاءِ وغيرها: فيكون أظلالها أيضاً ملازماً للابتلاءِ.

وهكذا إذا كان ذو الظلّ أمراً معنويّاً، مطلوباً أو مكروهاً.

ونُدخلهُم ظِلّاً ظليلاً ـ ٤ / ٥٧.

الظليل فَعيل من الظِّلّ بمعنى ما يتّصف بالظِّلالة وثبتت فيه هذه الصفة، فيدلّ على الثبوت والدوام.

انطلِقوا إلى ظِلّ ذي ثلاثِ شُعَب لا ظَليل ولا يُغني من اللَّهَب ـ ٧٧ / ٣١.

سبق في شعب: أنّ الظلّ هو محجوبيّة لها شُعَب، وهي الغفلة ورؤية النفس وحبّ الدنيا.

وهذه المحجوبيّة: هي الموجبة للتكذيب:

وَيلٌ يومئذٍ للمكذّبين.

فمرجع تكذيبهم إلى كونهم محجوبين، ويتحصّل الحجاب من رؤية النفس ثمّ التمايل إلى الحياة الدنيا ثمّ الغفلة الكاملة.

ويقابل هذه المحجوبيّة: ظلُّ التقوى عن غير الله عزّ وجلّ:

إنَّ المتَّقين في ظِلال وعُيون ـ ٧٧ / ٤١.

في السورة.

www.attaweel.com

فإنّ من اتّقى: يدخل في عالم النور ويستقرّ تحت ظلّ الرّحمة واللّطف والفيوضات الربّانيّة، ويستفيض عن عيون المعارف الإلهيّة.

وللّه يَسجُد مَن في السّماوات والأَرض طوعاً وكَرهاً وظِلالهُم بالغُدُوّ والآصال ـ ١٣ / ١٥.

أي يسجدون وظِلالهُم، والمراد من الظلال آثار وجودهم وما يترشّح ويظهر عن شخصيّاتهم وما يتراءى منهم، فإنّها في تمام الخلوص وكمال الصفاءِ، لا يرى فيها أثر من الأنانيّة. والسجود فيهم بالطوع أو بالكَره. وأمّا في الظلال فبالكَره فقط في جهة الظلّية.

وهذا فإنّ مراتب الوجود قاطبةً خاضعة في قبال عظمة الله وإرادته ومشيّته ولا يجري في عالم الوجود إلّا ما يشاء بما يشاء كيف يشاء.

ولا يخفى أنّ مراتب الوجود بجملتها أظلّة لنور الله الواجب الدائم العزيز، وكذلك عالم الجسم ظلال عالم العقل والروح، كما أنّ البدن ظلّ للروح، وقال تعالى:

أوَلَم يَروا إلى ما خلَق اللهُ مِن شَيءٍ يَتفيّؤ ظِلالُه عَن اليَمين والشَّمائل سُجَّداً لِلهِ وهُم داخِرون ـ ١٦ / ٤٨.

التفيّؤ: اختيار الرجعة والتحوّل. والدَّخر: الصَّغار والذلّ من حيث هو وفي نفسه ـ راجع الدخر. فتدلّ الآية الكريمة على رجوع الظلال من كلّ مخلوق إلى حالة السجود والذُّلّ لله العزيز، وتحقّق الانقهار والصغار والخضوع التامّ له تعالى.

ولمّا كان أثر الخضوع والسجود إنّما يتراءى في ظلّ الشيء وفيما ينبسط من شخصيّته: فعبّر بقوله ـ يَتفيّؤ ظِلاله.

وآثار الخلق المنبسطة: إمّا في جهة اليمين ولها وجهة إلهيّة نورانيّة، وإمّا في جهة

www.attaweel.com

الشمال ولها وجهة خلقيّة ظلمانيّة، وأيّاً ما كان فهو مقهور وذليل لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً.

وأمّا ظَلَّ في عداد الأفعال الناقصة: قال الرّضي (ره): إنّ معنى ظَلّ زيدُ متفكّراً، كان في جميع النهار كذلك، فاقترن مضمون الجملة وهو تفكّر زيد بجميع النهار مستغرقاً له، وتصريفه ظلّ يظلّ ظلولاً، قالوا ولم يستعمل ظلّ إلّا ناقصاً، وقال ابن مالك: تكون تامّة بمعنى طال ودام.

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ ظلّ كسائر الأفعال الناقصة تامّ لازم، وما يسمّى خبراً هو حال: كما قلنا سابقاً، وأمّا من جهة المعنى: فالأصل فيه ما أصّلناه في المادّة، وهو انبساط آثار الوجود والشخصيّة.

فمعنى ظلّ زيد متفكّراً: صار تابعاً وظلّاً وهو متفكّر، أي قد وقع في حالة التفكّر، واستمرّ انبساط حالة التفكّر من زيد في أثر أمر.

وإذا بُشِّر أحدُهُم بالأُنثى ظَلَّ وجهُه مُسوَدّاً ـ ١٦ / ٥٨.

أي قد انبسطت حالة اسوداد وجهه، وهذا ظِلّ وأثر ملازم للبشارة.

فظلَّت أعناقُهم لَها خاضِعين ـ ٢٦ / ٤.

نَعبُدُ أصناماً فَنَظلُّ لَها عاكفينَ ـ ٢٦ / ٧١.

لَظَلّوا مِن بَعده يَكفرون ـ ٣٠ / ٥١.

وانظُر إلى إلٰهك الَّذي ظلتَ عَلَيه عاكِفاً ـ ٢٠ / ٩٧.

أي إذا نزّلت آية ظلّت أعناقهم في حالة الخضوع، ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه

www.attaweel.com

مصفرّاً لظلّوا كافرين، نعبد أصناماً فنظلّ عاكفين، جعلتَ إلهاً وظلت عليه عاكفاً.

فيراد تحقّق الظِّلّيّة في أثر هذه الاُمور، ويراد من الظلّيّة انبساط أثر هذه الاُمور بتحقّق التبعيّة الصرفة والملازمة القاطعة.

ونتيجة هذا المعنى عرفاً هو الدوام والاستمرار والطول.

فظهر أنّ حقيقة الظلّ هو انبساط أثر الشيء بحيث يتّبعه ويلازمه، وفعل الماضي منه يدلّ على تحقّق هذا المعنى.

وأمّا المعاني الّتي تذكر للمادّة: فمن لوازم الأصل.

وظَلَّلنا عَلَيكُم الغَمام ـ ٢ / ٥٧.

أي جعلناه ذا ظلّ.

فللإنسان أن يتوجّه إلى أعماله وأحواله وأخلاقه وصفاته النفسانيّة، ويتدبّر فيها أشدّ تدبّر وتحقيق، حتّى ينكشف له بالعلم اليقينيّ حقيقة كلّ منها من جهة الظلّيّة، هل إنّه ظلّ من النور أو الظلمة، من الرحمن أو الشيطان، من الجنّة أو النار، من عالم الآخرة أو الدنيا، من التمايلات المادّيّة أو الروحانيّة.

* * *

ظلم:

مقا ـ ظلم: أصلان صحيحان، أحدهما: خلاف الضياء والنور، والآخر: وضع الشيء غير موضعه تعدّياً. فالأوّل ـ الظلمة، والجمع ظلمات، والظّلام إسم الظلمة، وقد أظلم المكان إظلاماً. ومن هذا الباب ما حكاه الخليل من قولهم لقيته أوّل ذي ظُلمة، قال وهو أوّل شيء سدّ بصرك في الرؤية، لا يشتقّ منه فعل، ومن هذا قولهم: لقيته أدنى ظَلَم، للقريب، وأصل ذلك من الظلمة، كأنّهم يجعلون الشخص ظُلمة في

www.attaweel.com

التشبيه وذلك كتسميتهم الشخص سواداً، فعلى هذا يحمل الباب. والأصل الآخر ـ ظلمَه يظلمه ظُلماً، والأصل وضع الشيء في غير موضعه ألا ترى يقولون ـ مَن أشبهَ أباه فما ظلم ـ أي ما وضع الشبه في غير موضعه. ويقال ظلّمتُ فلاناً: نسبته إلى الظلم، وظلمتُ فلاناً فاظلمّ وانظلم، إذا احتمل الظلم. والأرض المظلومة: الّتي لم تُحفر قطّ ثمّ حُفرت، وذلك التراب ظَليم. والظُّلامة: ما تطلبه من مَظلمتك عند الظالم.

مصبا ـ الظُّلم: إسم من ظلَمه ظلماً من باب ضرب ومَظلِمةً وتُجعل المَظلمة إسماً لما تطلبه عند الظالم كالظُّلامة، وظلّمته نسبته إلى الظلم. وفي المثل ـ مَن استرعى الذئب فقد ظلم.

مفر ـ الظُّلمة: عدم النور وجمعها ظلمات. ويعبّر بها عن الجهل والشرك والفسق، كما يعبّر بالنور عن أضدادها ـ يُخرِجُهم مِنَ الظُّلمات إلى النّور. والظُّلم: وضع الشيء في غير موضعه المختصّ به إمّا بنقصان أو بزيادة وإمّا بعدول عن وقته أو مكانه. وظلمتُ الأرضَ: حفرتها ولم تكن موضعاً للحفر، وتلك الأرض يقال لها مظلومة، والتراب الّذي يخرج منها ظَليم. قال بعض الحكماء: الظلم ثلاثة، الأوّل: بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه الكفر والشرك والنفاق ـ إنَّ الشِّرك لَظلم عَظيم. والثاني: ظلم بينه وبين الناس ـ إنَّما السَّبيلُ عَلى الّذين يَظلمون. والثالث: بينه وبين نفسه ـ فِنهُم ظالمٌ لنَفسِه.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو إضاعة الحقّ وعدم تأدية ما هو الحقّ، سواء كان في مورد نفسه أو غيره أو في حقوق الله المتعال، وبالنسبة إلى ذوي العقلاء أو غيرهم، وفي حقوق مادّيّة أو معنويّة أو روحانيّة.

www.attaweel.com

فالظلم في مورد النفس أعظم أنواع الظلم، فإنّ مرجع جميعها إلى هذا النوع، وهو التقصير في تأدية حقوق النفس وإضاعتها، والمنع عن سيره إلى جهة الكمال، بالتعلّق بالأُمور المادّية الدنيويّة.

كما في:

الطّلاقُ مَرَّتان ... تِلكَ حُدودُ الله فَلا تَعتدوها ومَن يَتعدَّ حُدودَ الله فأُولئكَ هُم الظّالمون... ولا تُمسِكوهنَّ ضِراراً لِتعتَدوا ومَن يَفعل ذلكَ فَقَد ظلمَ نَفسَه ـ ٢ / ٢٣١.

يا قَوم إنَّكُم ظلمتُم أنفسَكُم باتّخاذكُم العِجلَ ـ ٢ / ٥٤.

وما كانَ اللهُ لِيَظلمهم ولكن كانوا أنفُسَهم يَظلمون ـ ٢٩ / ٤٠.

وما ظلمونا ولكن كانوا أنفُسَهم يَظلمون ـ ٧ / ١٦٠.

وقُضيَ بينَهُم بالحقّ وهُم لا يُظلَمون ـ ٣٩ / ٦٩.

فالظلم في مورد نفسه: هو تضييع الحدود والحقوق الّتي يلزم رعايتها وإجرائها في حياته، حتّى يصل إلى مرحلة النور واللقاء.

فهذه الآيات الكريمة ونظائرها تدلّ على أنّ التعدّي والتقصير في إجراء الحدود والأحكام وفي رعاية الحقوق: هو الظلم.

وأمّا الظلم في مورد الله تعالى: فهو التقصير في رعاية شأنه ومقامه وصفاته الجلاليّة والجماليّة، وفيما يستحقّ له من التوحيد، كما في:

ومَن أظلمُ مِمَّن افترَى عَلى الله كَذِباً أو كذَّبَ بآياته ـ ٦ / ٢١.

يا بُنيّ لا تشرِك بالله إنَّ الشِّركَ لَظُلمٌ عَظيم ـ ٣١ / ١٣.

فالظلم من حيث الشدّة والعظمة: هو الظلم في حقِّ الله عزّ وجلّ وتضييع حقوقه وعدم رعاية حدوده وشأنه، وعلى هذا يعبّر في الآيتين بقوله تعالى ـ ومَن أظلمُ ـ

لَظُلمٌ عَظيم.

وأمّا من جهة ظهور أثره في نفس الظالم: فظلم في مورد نفسه مستقيماً أو غير مستقيم، فإنّه يكشف عن الجهل الشديد والغفلة التامّة، حيث إنّه يظلم نفسه، مع كونه أحبّ الأشياء عنده.

وأمّا الظلم في مورد الناس: وهو تضييع حقوقهم في أنفسهم أو في أهلهم وأموالهم وأعراضهم، وهذا من المعاصي الكبيرة ومن الذنوب الّتي لا تُغفر:

واعتَدنا لِلظالمين عَذاباً أليماً ـ ٢٥ / ٣٧.

واللهُ لا يهدي القَومَ الظّالمين ـ ٩ / ١٩.

وما للظّالمينَ مِن أنصار ـ ٣ / ١٩٢.

إنَّما السَّبيلُ عَلى الَّذينَ يَظلمون الناسَ ويَبغونَ في الأرض بِغَير الحقّ أُولئكَ لَهُم عَذابٌ أليم ـ ٤٢ / ٤٢.

وأمّا حصول الظلم في الطبيعة من دون توسّط إرادة: فكما في:

كِلتا الجنّتينِ آتَت أُكُلَها ولَم تَظلم مِنهُ شَيئاً ـ ١٨ / ٣٣.

أي ولم تكن الجنّتانِ ظالمتين لصاحبهما بتضييع حقوق وجبت عليهما في مورد أشجارهما وأثمارهما طبيعة.

وإفراد الضمير باعتبار كلمة ـ كلتا، وإشارة إلى أنّهما في ذلك الجريان كجنّة واحدة.

وأمّا الظلم المطلق: فهو تضييع حقوق فيما بينه وبين الله وبين الناس، بالخروج عن سبيل الحقّ والاعتدال، في أفكاره واعتقاداته، وأعماله وآدابه، وأخلاقه وصفاته النفسانيّة، وأقواله، كما في:

www.attaweel.com

ولا تحسبنّ الله غافلاً عمّا يَعمل الظّالمون ـ ١٤ / ٤٢.

ومِن ذُرّيَّتي قالَ لا ينال عَهدي الظّالمين ـ ٢ / ١٢٤.

والله لا يَهدي القَومَ الظّالمين ـ ٢ / ٢٥٨.

والله لا يُحبّ الظّالمين ـ ٣ / ٥٧.

وَما للظّالمين مِن أنصار ـ ٢ / ٧٢.

فذلِكَ نجزيه جهنَّمَ كذلكَ نَجزي الظّالمين ـ ٢١ / ٢٩.

وإنّ الظّالمينَ بعضهم أولياء بَعض واللهُ وليُّ المتَّقين ـ ٤٥ / ١٩.

فنبَذناهُم في اليَمّ فانظُر كَيفَ كانَ عاقبةُ الظّالمين ـ ٢٨ / ٤٠.

ما للظّالمينَ مِن حَميم وَلا شَفيع يُطاع ـ ٤٠ / ١٨.

ألا إنَّ الظّالمينَ في عَذاب مُقيم ـ ٤٢ / ٤٥.

فالظالم من حيث هو إنّما يكون في قبال المتّقي، وهو من لا يُبالي تضييع حقّ ولا يهتمّ برعاية حقوق الله وحقوق الناس وحقوق نفسه، وهذا من أشدّ المنازل وحشة وابتلاء وظلمة وسقوطاً، وفيها يتردّى الإنسان إلى أسفل سافلين، وفيها عذاب مقيم، وليس له فيها حميم ولا وليّ ولا نصير، ولبئست العاقبة هذه، وهو محروم عن الهدى والحبّ من الله تعالى.

وأمّا الظلم من الله تعالى: فلا يجوز عليه ولا يتصوّر صدوره منه، فإنّ الظلم إمّا هو صادر من الجهل، أو من العجز، أو من الفقر والاحتياج، أو من الغفلة: وكلّ من هذه الأُمور مستحيل في حقّ الواجب الّذي هو الغنيّ بذاته ولا حدّ له ولا نهاية ولا ضعف بوجه:

إنَّ الله لا يَظلم النّاسَ شَيئاً ـ ١٠ / ٤٤.

إنَّ الله لا يَظلم مِثقالَ ذرَّة وإن تَكُ حَسَنَةً يُضاعفها ـ ٤ / ٤٠.

فَما كانَ الله لِيظلمهم ولكن كانوا أنفُسَهم يَظلمون ـ ٩ / ٧٠.

فاليَوْمَ لا تُظْلَم نَفسٌ شَيْئاً ولا تُجْزَونَ إلّا ما كُنتُم تَعملون ـ ٣٦ / ٥٤.

وَما اللهُ يُريد ظُلماً للعالَمين ـ ٣ / ١٠٨.

وَما اللهُ يُريد ظُلماً لِلعباد ـ ٤٠ / ٣١.

فيصرّح قوله تعالى بنفي الظلم عنه في الدنيا وفي الآخرة، ولو بمثقال ذرّة، بل يصرّح بنفي إرادة الظلم منه تعالى، وهذا هو الموافق بما نقول من أنّ الإرادة هو طلب ما يقتضيه ذاته الّذي لا حدّ له ولا نهاية له وهو النور المطلق له الجمال والكمال المطلق التامّ.

فهو تعالى لايريد إلّا بسط الرحمة وإفاضة الفيض والجود وإظهار الخير والصلاح والجمال ـ راجع شرح الباب الحادي عشر.

مضافاً إلى أنّ الظلم قبيح عند العقل والفطرة، فكيف يصحّ أن يسند إلى النور المطلق ذي الجلال والجمال والبهاء بما لا يتناهى.

وقد ذَمَّ الظلم بتعبيرات أكيدة في الآيات الكريمة، حتّى نهى نهياً شديداً عن الركون إلى الظالم والتقرّب منه بأيّ نحو كان:

وَلا تركنوا إلى الَّذينَ ظلَموا فتمسَّكم النّار ـ ١١ / ١١٣.

ولا تُخاطِبني في الَّذينَ ظلموا إنَّهُم مُغرَقون ـ ٢٣ / ٢٧.

فَلا تقعُد بعدَ الذِّكرى مَعَ القَوم الظّالمين ـ ٦ / ٦٨.

والظّالمون ما لهم مِن وليّ وَلا نَصير ـ ٤٢ / ٨ .

وأمّا الظُّلمة: هذه الكلمة أيضاً من الأصل المذكور، ومن أقسام ظهور الظلم

في الطبيعة، فإنّ الظلمة في مقابل النور والضياء، والأصل الأوّليّ في عالم الوجود والطبيعة هو ظهور النور وبسطه، فإنّ حقيقة الوجود هو النور، وله مراتب من النور المطلق الواجب إلى أن ينتهي إلى الوجود المحدود بالذات وبالزمان والمكان وهو عالم الطبيعة، فالظلمة إنّما تتحقّق بفقدان النور أو بالضعف فيه.

فالحقّ في عالم الطبيعة بل في كلّ عالم من عوالم الوجود: هو ظهور النور وتجلّيه وبسطه في كلّ مورد بحسبه وعلى مقتضاه، فإذا فقد النور فقد ضاع الحقّ وظهر الظلم في الطبيعة، كما في قوله تعالى:

كِلتا الجنَّتينِ آتَت أُكُلَها ولَم تظلم مِنهُ شَيئاً.

ذَهَبَ الله بنورهم وتَركهم في ظُلماتٍ لا يُبصرون - ٢ / ١٧.

أو كظُلُمات في بَحر لُجِّيّ يَغشاه مَوجٌ مِن فَوقِه مَوج مِن فَوقِه سَحابٌ ظُلماتٌ بَعضُها فَوق بَعض - ٢٤ / ٤٠.

كتابٌ أنزَلناهُ إليكَ لِتُخرجَ النّاسَ مِنَ الظُّلماتِ إلى النّور ... أن أخرِج قَومك مِن الظُّلماتِ إلى النّور - ١٤ / ٥.

هوَ الَّذي يُصلّي عَلَيكُم ومَلائكتُهُ لِيُخرجكُم مِنَ الظُّلماتِ إلى النّور - ٣٣/ ٤٣.

فتدلّ الآيات الكريمة على أنّ النور هو الأصل المقصود.

ثمّ إنّ الظلمة إمّا في عالم المادّة أو في العالم الروحانيّ المعنويّ.

فالظلمة الحاصلة من فقدان النور المادّيّ المحسوس: كما في:

وهوَ الَّذي جَعَلَ لَكُم النّجومَ لِتَهتَدوا بِها في ظُلمات البرّ والبَحر - ٦ / ٩٧.

وآية لَهُم الليلُ نَسلخ منهُ النَّهارَ فإذا هُم مُظلِمون - ٣٦ / ٣٧.

فهذه الظلمة إنّما تتحصّل بذهاب النور المحسوس المتجلّي من الشموس الثابتة

أو من النار ونحوها. والظلمة فُعلة كالظلّة: ما يكون ظلمانيّاً.

وأمّا الظلمة الحاصلة من فقدان النور المعنويّ: كما في:

اللهُ وليُّ الَّذينَ آمَنوا يخرِجهم مِنَ الظُّلمات إلى النّور ـ ٢ / ٢٥٧.

والَّذينَ كذَّبوا بآياتنا صُمٌّ وبُكم في الظُّلمات ـ ٦ / ٣٩.

الآية الأُولى متعلّقة بمقام التوحيد والتوجّه إلى الله المتعال. والثانية بمقامات الآيات الإلهيّة تكوينيّة أو تشريعيّة.

ولا يخفى أنّ المبدأ الأصليّ للنور المادّيّ: هو الشمس، ثمّ منها يتجلّى في سائر الموجودات في المنظومة الشمسيّة، وينعكس منها في الخارج، ويتكوّن سائر الموادّ الناريّة والنوريّة، فالنور والحرارة في الشمس ذاتيّتان، وفي سائرها عرضيّتان إكتسابيّتان.

وكذلك في النور المعنويّ: فإنّ النور الحقّ الأصيل الذاتيّ بذاته هو الله العزيز، ومنه تعالى يتجلّى وينبسط فى المَرايا والمَجالي:

اللهُ نورُ السَّماواتِ والأَرض.

فالنور في الحقيقة واحد، ويتكثّر بتكثّر المظاهر المشكٰوتيّة والزجاجيّة والسماويّة والأرضيّة.

فالتكذيب بكلّ من هذه المراتب والمظاهر: يوجب محجوبيّة عن النور المطلق ويوجد ظلمة وكدورة، وهذا هو أشدّ نوع من تضييع الحقّ:

ومَن أظلمُ مِمَّن ذُكِّرَ بآياتِ ربِّهِ فأعرضَ عَنها ـ ١٨ / ٥٧.

فَمَن أظلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بآياتِ اللهِ وصدَف عَنها ـ ٦ / ١٥٧.

www.attaweel.com

والَّذينَ كَفَروا أولياؤهم الطّاغوت يُخرجونَهـم مِنَ النّور إلى الظُّلمات ـ ٢ / ٢٥٧.

فالنور والظلمة كالنقيضين، وكلّما اشتدّ النور وتلألأ: ضعفت الظلمة. وأيَّ مقدار يكون النور ضعيفاً ازداد مقدار الظلمة، فالنور والظلمة في وجود كلّ إنسان في اضطراب ونَوَسان:

كِتابٌ أنزَلناهُ إلَيكَ لتُخرجَ النّاسَ مِنَ الظُّلمات إلى النّور ـ ١٤ / ١.

فإنّ كلّ حركة وكلمة وعمل وتفكّر وتوجّه خيراً أو شرّاً: يؤثّر في قلب الإنسان في رابطة ارتباطه بعالم النور أو الظلمة، ويوجد نقطة نورانيّة أو ظلمانيّة في الباطن:

فَمَن يَعمَل مِثقالَ ذَرَّة خَيراً يَرَه ومَن يَعمَل مِثقالَ ذَرَّة شَرّاً يَرَه ـ ٩٩ / ٧.

فظهر ممّا قلناه أنّ الأصل في عالم الوجود هو النور البحت المجرّد غير المتناهي الّذي لا حدّ له بوجه، ثمّ إنّه بعروض الحدّ في مقام الخلق والتكوين يتحصّل الحجاب والظلمة، فكلّما ازداد الحدّ (حدّاً ذاتيّاً أو زمانيّاً أو مكانيّاً أو جسمانيّاً أو مادّياً) تزداد المحدوديّة والمحجوبيّة، ويضعف النور، وهذا معنى ظهور الظلمة.

فالظلمة إنّما تتحصّل بحصول الحدّ، وتشتدّ بازدياده، إلى أن تنتهي إلى محدوديّة في جميع الجهات:

يخلُقكُم في بطون أُمَّهاتكُم خلقاً مِن بَعد خلقٍ في ظُلمات ثَلاث ـ ٣٩ / ٦.

وَلا حبَّةٍ في ظُلمات الأَرض ـ ٦ / ٥٩.

ومع ذلك فلاينقطع أثر النور عن وجود، فإنّ الوجود هو النور، والظلمة عبارة عن ضعفه ومحدوديته.

وأمّا قوله تعالى:

الحمدُ لله الَّذي خَلَقَ السَّمٰوات والأَرضَ وَجَعَلَ الظُّلماتِ والنّور ـ ٦ / ١.

الجعل قريب من التقدير والتدبير، ويتحقّق مفهومه إذا اسـتعمل منسوباً إلى آثار التكوين أو لوازمه.

فالظلمة لا تكون متعلّقة للتكوين، بل للجعل والتقدير.

وأمّا تقديم الظلمة على النور في الآية: فإنّ النور هو الأصل الثابت وفي متن الواقع في العالم، والمناسب بالتقدير هو الظلمات.

وأمّا في قوله تعالى:

قُل هَل يَستَوي الأعمى والبَصير أم هَل تَستَوي الظُّلمات والنّور ـ ١٣ / ١٦.

فإنّ النظر إلى الأعمى والظلمات.

وأمّا الإظلام: فهو إفعال وصيغته تدلّ على التعدية وعلى جهة الصدور، والنظر فيه إلى قيام الفعل بالفاعل:

وإذا أظلَم عليهم قاموا ـ ٢ / ٢٠.

فالنظر إلى جهة صدور الفعل من الفاعل.

* * *

ظمأ:

مقا ـ ظمأ: أصل واحد يدلّ على ذبول وقلّة ماء، من ذلك الظَّما، غير مهموز: قلّةُ دم اللِّثَة، يقال امرأة ظمياء اللَّثاث، وعين ظَمياء: رقيقة الجفـن، ثمّ يحمل عليه فيقال ساقٌ ظمياءُ: قليلة اللّحم. ومن المهموز الظَمَأ وهو العطش، تقول ظَمِئتُ أظمَأ ظَمَأً. فأمّا الظِّمء: فما بين الشَّربتين. والقياس في ذلك كلّه واحد. ويقولون رُمح أظمَى:

أسمرُ رقيقٌ، وإنما صار كذلك لذهابِ مائه.

مصبا ـ ظمِئ ظَمَأ، مهموز، مثل عطِش عَطَشاً وزناً ومعنى، فالذّكر ظَمأنُ، والأُنثى ظَمأَى مثل عطشان وعَطشَى، والجمع ظِماء مثل سِهام، ويَتعدّى بالتضعيف والهمزة، فيقال ظمّأته وأظمأته.

التهذيب ١٤ / ٤٠١ ـ يقال ظَمِئ فلان يظمَا ظَمَاً: إذا اشتدّ عطشه، والظِّمء: ما بين الشربتين في وِرد الإبل، وجمعه أظماء، وأقصرُ الأظماء الغِبّ، وذلك أن ترِد الإبلُ يوماً وتصدُر فتكون في المَرعى يوماً وترِدَ اليوم الثالث، وما بين شربتيها ظِمءٌ. وريح ظَمأى: إذا كانت حارّة ليس فيها نَدىً. وظَماءَة الرجل: سوءُ خُلقه ولُؤم ضَريبتِه (أي طبيعته) وقلّة إنصافه لُمخالِطه، والأصل في ذلك أنّ الشّريب إذا ساء خُلقه لم يُنصِف شركاءه.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو حالة حرارة في القلب من جهة قلّة الرطوبة فيه. والعطش: حالة شوق إلى شرب الماء، وهذه الحالة إنّما تحصل بعد الظَّمَأ، وقد توجد في زمانه. كما أنّ الذُّبول يلاحظ فيه حالة ذهاب النضارة والطراوة بظَمأ أو غيره.

وأمّا ظَماءة الرجل: فيمكن أن يستعمل كناية، أو استعارة.

وأمّا قولهم رُمح أظمَى وغيره: فمن مادّة الظما معتلاً.

كَسَرابٍ بِقيعة يَحسبُه الظَّمآنُ ماءً ـ ٢٤ / ٣٩.

ذلِكَ بأَنَّهُم لا يُصيبُهُم ظَمأ وَلا نَصَب ولا مَخمَصة في سَبيل الله ـ ٩ / ١٢٠.

إنَّ لَكَ ألّا تَجوعَ فيها وَلا تَعرى وأَنَّكَ لا تَظمؤ فيها ولا تَضحَى ـ ٢٠ / ١١٩.

فالظَمآن كعَطشان صفة مُشبهة، وهو الّذي يكون متّصفاً بحالة حرارة داخليّة توجب العطشَ وطلبَ الماء.

والظَمَأ مصدر كتَعَب: بمعنى كون شخص على تلك الحالة.

وأمّا عدم وجود الجوع والظَّمأ والضُّحى واللباس في الجنّة: فإنّ الجوع إنّما يتحصّل بالتحلّل والهضم في الغذاء، فيحتاج إلى بدل. والظَمأ إنّما يتحصّل بازدياد الحرارة في المعدة والقلب، ونقصانِ الرطوبة، فيحتاج إلى تناول الماء. والضُّحى إنّما يتكوّن بنور الشمس وحرارتها في المنظومة، وبمقابلتها، فيحتاج إلى الظلّ والتبريد. واللباس يُحتاج إليه لدفع الحرارة والبرودة الخارجتين عن الاعتدال، ثمّ يعرضه الاندراس فيحتاج إلى التجديد والتبديل.

وهذه الأُمور إنّما هي من لوازم عالم المادّة، وأمّا عالم الآخرة فهو ألطف طعاماً وشراباً وهواء وجسماً وبدناً، فلا توجد هذه الجريانات فيه بهذه الصورة المحدودة:

لا يَرون فيها شَمساً وَلا زَمهريراً.

إنَّ المتَّقينَ في ظِلال وعُيون وفَواكه مِمّا يَشتَهون.

إنَّ الأبرارَ يَشربونَ مِن كأسٍ كانَ مِزاجُها كافوراً.

والتعبير في الجهاد في سبيل الله بقوله تعالى ـ لا يُصيبهم، وفي الجنّة بقوله تعالى ـ لا تظمَؤ فيها: إشارة إلى أنّ الجوع والظمأ منفيّان بالكليّة في الجنّة، بخلاف الجهاد، فالمنفيّ فيه هو المسّ والإصابة.

ولا يخفى أنّ هذه الأُمور من آثار المادّة، كما أنّ نفيها من أدلّ الدلائل على نفي الحياة المادّية الكثيفة في الآخرة.

* * *

www.attaweel.com

ظنّ :

مقا ـ ظنّ: أُصَيل صحيح يدلّ على معنيين مختلفين: يقين وشكّ. فأمّا اليقين: فقول القائل ظننت ظنّاً، أي أيقنت. قال تعالى:

الَّذينَ يَظُنّون أَنَّهُم ملاقو الله.

أراد، واللهُ أعلم، يُوقِنون. والعرب تقول ذلك وتَعرفه، وهو في القرآن كثير. ومن هذا الباب مَظِـنّة الشيء، وهو مَعلَمه ومكانه، ويقولون هو مَظِـنّة (بالكسر سماعيّ، والقياس بفتح الظاء) لكذا. والأصل الآخر ـ الشكّ، يقال ظننتُ السيِّئ إذا لم تتيقّنه. ومن ذلك الظِّنّة: التُّهمة، والظَّنين المتّهَم. والظَّنون: السيِّئ الظنّ. وأصل التظنّي التظنّن، ويقولون: سُؤتَ به ظنّاً وأسأتَ به الظنّ، يُدخلون الألف إذا جاءوا بالألف واللّام. والظَّنون: البئر لا يُدرى أفيها ماء أم لا.

مصبا ـ الظنّ: مصدر من باب قتل، وهو خلاف اليقين، وقد يستعمل بمعنى اليقين، ومنه المَظِنّة: للمعلَم وهو حيث يُعلَم الشيء، والجمع المَظان. والظِّنّة إسم من ظنَنتُه من باب قتل أيضاً، إذا اتّهمتَه، فهو ظنين فعيل بمعنى مفعول.

التهذيب ١٤ / ٣٦٢ ـ عن أبي عبيدة: الظنّ يقين وشكّ. وقال الليث: الظَّنين: المعادِي، والظنين: المتّهَم الّذي تُظنّ به التهمة، ومصدره الظِّنّة. والظَّنون: الرجل السيِّئ الظنّ بكلّ أحد. والظَّنون: الرجل القليل الخير. المنذري: والظَّنون: المتّهَم في عقله، والظنون: كلّ ما لا يوثَق به من ماء وغيره، ويقال عِلمُه بالشيء ظَنون، إذا لم يوثَق به. وما هوَ عَلى الغَيبِ بِظَنين ـ معناه ما هو على ما يُنبئ عن الله مِن عِلم الغيب بمتّهَم، وهذا يُروى عن عليّ وقال الفرّاء ـ ما هو بضعيف، والعرب يقول للرجل الضعيف أو

القليل الحيلة هو ظَنون.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو اعتقاد ضعيف غير جازم ليس فيه يقين مستنِد إلى دليل قاطع، والأغلب فيه مخالفته للواقع وبهذا اللحاظ يكون اتّباعه مذموماً، وإن صادف موافقته للواقع.

ويدلّ على هذا المعنى قوله تعالى:

وإنَّ الظنَّ لا يُغني من الحقّ شَيئاً ـ ٥٣ / ٢٨.

إن يَتَّبعون إلّا الظنّ وما تَهوَى الأنفُس ـ ٥٣ / ٢٣.

وَما لَهُم بهِ مِن عِلم إن يَتَّبعون إلّا الظنّ ـ ٥٣ / ٢٨.

إن نظنُّ إلّا ظَنّاً وَما نَحنُ بمُستيقِنين ـ ٤٥ / ٣٢.

يَظنّونَ بالله غَيرَ الحقّ ظنَّ الجاهليّة ـ ٣ / ١٥٤.

فتدلّ هذه الآيات الكريمة على أنّ الظنّ يلازم عدم إغنائه من الحقّ، وفصله عن مرحلة العلم واليقين، وكونَ اتّباعه مذموماً.

فالظنّ بشيء قد يكون في الواقع باطلاً كما في:

وذا النّونِ إذ ذهبَ مُغاضِباً فظنَّ أن لَن نَقدِر عَلَيه ـ ٢١ / ٨٧ .

ما ظَنَنتُم أن يَخرجوا وظنّوا أنَّهُم مانعتهُم حُصونُهم مِنَ الله ـ ٥٩ / ٢.

وظنّوا أنَّهُم إلَينا لا يُرجَعون ـ ٢٨ / ٣٩.

وقد يكون إثماً وهو أعمّ من الباطل كما في:

يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا اجتَنِبوا كَثيراً مِنَ الظَّنِّ إنَّ بَعضَ الظَّنِّ إثم ـ ٤٩ / ١٢.

www.attaweel.com

وهو التأخّر والتسامح.

وقد يكون مرجعه إلى الخَرص والاختلاق والتُّهمة كما في:

إن يتّبعون إلّا الظنَّ وإن هُم إلّا يَخرُصون ـ ٦ / ١١٦.

وَما ظنُّ الَّذينَ يَفترون عَلى اللهِ الكَذِبَ يومَ القيامة ـ ١٠ / ٦٠.

وقد يكون توأماً للفكر السيّئ كما في:

الظانِّينَ بالله ظنَّ السَّوء ـ ٤٨ / ٦.

وظَنَنتُم ظنَّ السَّوءِ وكُنتُم قَوماً بُوراً ـ ٤٨ / ١٢.

وقد يكون حقّاً وصِدقاً كما في:

قالَ الَّذينَ يَظنّون أنَّهُم مُلاقو الله كَم مِن فِئَة قَليلَة غلبَت ـ ٢ / ٢٤٩.

ورأى المُجرمونَ النّارَ فَظَنّوا أنَّهُم مُواقعوها ـ ١٨ / ٥٣.

وظنّوا أن لا مَلجأَ مِنَ اللهِ إلّا إلَيه ـ ٩ / ١١٨.

إنّي ظننتُ أنّي مُلاقٍ حِسابِيَه ـ ٦٩ / ٢٠.

فهذه الموارد يستعمل الظنّ فيها بمعنى الاعتقاد المطلق، مع كونه حقّاً وصدقاً، وإن لم يصل إلى درجة اليقين المستند إلى إدراك قاطع.

فظهر أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الاعتقاد الضعيف غير المستند إلى دليل قاطع، سواء كان حقّاً أو باطلاً، ولم تستعمل المادّة في كلام الله عزّ وجلّ بمعنى اليقين أو الشكّ.

بل الحقّ أنّ استعماله بمعنى اليقين أو الشكّ غير صحيح إلّا بتجوّز مجوِّز.

وأكثر استعمالها في موارد الطعن والتحقير والتضعيف والإهانة، كما في:

www.attaweel.com

ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذينَ كَفَروا ، إن يَتَّبِعون إلّا الظنّ ، وما يَتَّبِعُ أكثرهُم إلّا ظَنّاً ، إجتَنِبُوا كَثيراً مِنَ الظَّنّ ، إن نظنّ إلّا ظَنّاً .

نعم، الرجل العاقل لا يقنع بما دون اليقين، ويجاهد بكلّ جدّه إلى أن يصل إلى اليقين، بل إلى مرتبة حقّ اليقين، ولا سيّما في أموره الّتي تتعلّق بالحياة الروحانيّة الحقيقيّة، وبها تتمّ حقيقة الإنسانيّة، ويبلغ الإنسان إلى كماله الّذي يُرجى له:

إنَّ الظنّ لا يُغني مِنَ الحقّ شَيئاً ، كلّا لَو تَعلَمونَ عِلمَ اليَقين لَتَرَوُنَّ الجَحيم ثُمَّ لَتَرَونَّها عَينَ اليَقين .

وأمّا مفهوم التهمة: فهو في مورد يكون الظنّ على خلاف الحقّ.

* * *

ظهر :

مقا ـ ظهر: أصل صحيح واحد يدلّ على قوّة وبروز، من ذلك ظَهرَ الشيءُ يظهَر ظهوراً، فهو ظاهر، إذا انكشف وبرز، ولذلك سمّي وقت الظُّهر والظَّهيرة، وهو أظهر أوقات النهار وأضوؤها، والأصل فيه كلّه ظَهر الإنسان وهو خلاف بطنه، وهو يجمع البروز والقوّة. ويقال للركاب (بالكسر الإبل الّتي يُسار عليها، واحدتها راحِلة) الظَّهر، لأنّ الّذي يَحمل منها الشيءَ ظُهورُها. ويقال رجل مُظَهَّر، أي شديد الظَّهر. ورجل ظَهِرٌ: يشتكي ظَهره. ومن الباب أظهرنا إذا سِرنا في وقت الظهر. ومنه ظهرتُ على كذا إذا اطّلعتَ عليه. والظَّهير: البعير القويّ. والظَّهير: المعين، كأنّه أسند ظهره إلى ظهرك. والظُّهور: الغلبة. والظِّهار: قول الرجل لإمرأته: أنتِ عليَّ كظَهر أُمّي. والظِّهريّ: كلّ شيء تجعله بظَهر، أي تنساه، كأنّك قد جعلته خلف ظهرك إعراضاً عنه، وقد جعل فلان حاجتي بظَهر، إذا لم يُقبِل عليها. ويقولون إنّ الظَّهَرة: متاع

www.attaweel.com

البيت، وأحسَبُ إنّ هذه مستعارة من الظَهر أيضاً، لأنّ الإنسان يستظهر بها، أي يتقوّى ويستعين على ما نابه.

مصبا ـ ظهَر الشيء يظهَر ظهوراً: برز بعد الخفاء، ومنه قيل ظهر لي رأيٌ، إذا علمتَ ما لم تكن علمتَه، وظهرتُ على الحائط: علوتُ، ومنه قيل: ظهر على عدوّه إذا غلبه. وظهر الحَملُ: تبيّن وجوده. والظَّهر خلاف البطن، والجمع أظهُر وظُهور وجاء ظُهران أيضاً. والظَّهر: الطريق في البرّ، والظَّهران بلفظ التثنية: إسم وادٍ بقرب مكّة ونسب إليه قرية هناك. والظَّهيرة: الهاجرة، وذلك حين تزول الشمس. والمُظاهَرة: المعاوَنة. وتظاهَروا: تقاطعوا، كأنّ كلّ واحد ولّى ظهره إلى صاحبه. وهو نازل بين ظَهرانَيهم بفتح النون وبين ظَهرَيْهم وبين أظهُرهم، كلّها بمعنى ـ بينَ ـ وكأنّ المعنى: أنّ ظهراً منهم قدّامه وظهراً وراءه، فكأنّه مكنوف من جانبيه، ثمّ كثر حتّى استعمل في الإقامة بين القوم وإن كان غير مكنوف بينهم. وأفضل الصدقة ما كان عن ظَهر غنىً، المراد نفس الغنى، وأضيف للإيضاح والبيان. وقيل المراد: عن غنى يعتمده ويستظهر به على النوائب. والظِّهارة: ما يظهر للعين وهي خلاف البِطانة. وظاهَر من امرأته ظِهاراً وتظهَّر: إذا قال لها أنتِ عليَّ كظهر أُمِّي، وكان الظِّهار طلاقاً في الجاهليّة فنُهوا عن الطلاق بلفظ الجاهليّة.

التهذيب ٦ / ٢٤٤ ـ قال الليث: الظَّهر: خلاف البطن من كلّ شيء، وكذلك الظَّهر من الأرض ما غلُظ وارتفع، والبطن ما رَقّ واطمأنّ. والظَّهر: الرِّكاب الّتي تَحمل الأثقال في السفر، ويقال لِطريق البرّ طريقُ الظَّهر، وذلك حيث يكون مَسلك في البرّ ومسلك في البحر، ويقول المُدَبِّر للأمر: قلبت الأمر ظهراً لِبطن. والظُّهر: ساعة الزّوال، ولذلك يقال صلوة الظُّهر. والظَّهيرة: حدّ انتصاف النهار. عن الأصمعيّ: البعير الظِّهريّ: هو العُدّة للحاجة إن احتيج إليه، يقال: اتّخِذْ معك بعيراً أو بعيرين

www.attaweel.com

ظِهريّين، أي عُدّة. وقال الليث: الظَّهير من الإبل: القويّ. ابن شميل: ظاهرة الجبل: أعلاه. وظاهرة كلّ شيء أعلاه.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو مطلق بدوّ في قبال البطون، بأيّ كيفيّة كان. فإنّ البروز هو ظهور على كيفيّة خاصّة. والبدوّ هو ظهور بيّن قهريّ. فالظهور أعمّ منهما، ويقابله البطون.

والظهور تختلف خواصّه باختلاف الموضوعات، من الواجب ومراتب الموجودات الممكنة.

فالظهور في الواجب عزّ وجلّ: وهو النور المجرّد المنزّه عن أيّ حدّ ونهاية: عبارة عن انبساط فيضه وتجلّي أمره:

هُوَ الأَوَّلُ والآخر والظّاهِرُ والباطِن وهوَ بكُلّ شَيءٍ عَليم - ٥٧ / ٣.

ويقابله الباطن وهو نفس النور الحقّ الواجب تعالى عزّه.

والظهور في أمر الله: وهو طلبه وما يريده ويحبّه: عبارة عن إجرائه وفعليّته:

حَتّى جاءَ الحقّ وظهرَ أمرُ الله وهُم كارهون - ٩ / ٤٨.

والظهور في دينه تعالى، وهو الخضوع والانقياد في قبال مقرّرات معيّنة: عبارةٌ عن كون ذلك التعبّد والتسليم الخاصّ ظاهراً بيّناً لا إبهام فيه:

هوَ الَّذي أرْسَلَ رسولَه بالهُدى ودِين الحقّ ليُظهِرَهُ على الدِّينِ كُلِّه - ٩ / ٣٣.

والضمير في قوله - لِيُظهِرَهُ: راجع إلى الدِّين، فإنّه المنظور المقصود من الإرسال، ولأنّه أقرب، والأقرب يمنع الأبعد. ولا يناسب الرجوع إلى الرسول.

www.attaweel.com

يراد إبانة الدين الحقّ ليتمّ نوره وهدايته في خلقه، في قبال سائر الأديان.

وفي النعم الإلهيّة:

وأسْبَغَ عَلَيكُم نِعَمَه ظاهِرَةً وباطِنة ـ ٣١ / ٢٠.

وفي الفاحشة والإثم والفساد: كما في:

ولا تقربوا الفواحِش ما ظهرَ مِنها وما بطَن ـ ٦ / ١٥١.

ظَهَرَ الفَسادُ في البَرِّ والبَحر ـ ٣٠ / ٤١.

وذَروا ظاهِرَ الإثم وباطنَه ـ ٦ / ١٢٠.

تَظاهَرون عَلَيهم بالإثم والعُدوان ـ ٢ / ٨٥ .

إنّي أخاف أن يُبَدِّل دينكُم أو أن يُظهِر في الأَرض الفَساد ـ ٤٠ / ٢٦.

يراد جريان عمل الفساد والإثم والفحشاء في الخارج علناً.

وفي الأُمور المادّيّة الدنيويّة كما في:

يَعلَمون ظاهراً مِن الحَياة الدُّنيا وهُم عَن الآخرَة هُم غافلون ـ ٣٠ / ٧.

وَجَعَلنا بَينَهُم وبَينَ القُرى الَّتي بارَكنا فيها قُرىً ظاهِرَة ـ ٣٤ / ١٨.

آتوني أُفرِغ عَلَيه قِطراً فَما اسطاعوا أن يَظهروه وَما استَطاعوا لَه نَقباً ـ ١٨ / ٩٧.

الحياة الدنيا عبارة عن كلّ ما يتعلّق بالحياة الدنيويّة المادّيّة الجسمانيّة. والقُرى الظاهرة: من جهة العمارات والحدائق والزراعات، وبكونها في متن الطريق ظاهرة. والظهور على السدّ: عبارة عن الصعود عليه والارتقاء.

وفي القوى المادّيّة كما في:

www.attaweel.com

إنَّهُم إن يَظهروا عَلَيكُم يرجُموكُم ـ ١٨ / ٢٠.

وأخرَجوكُم مِن دِياركُم وظاهَروا عَلى إخراجكُم ـ ٦٠ / ٩.

وأنزلَ الَّذينَ ظاهَروهم مِن أهل الكِتاب مِن صَياصيهم ـ ٣٣ / ٢٦.

يراد التفوّق بالقهر والغلبة والشدّة: والمظاهَرة: إستمرار تلك القوّة والقدرة.

وفي الحيوان والإنسان بلحاظ البدن: الجهة الّتي تقابل البطن، وهذا المعنى في الحيوان بيّن، فإنّ البطنَ فيه غير بارز، وظهرَه بارز وفي علوّ وارتفاع، وفي الإنسان أيضاً قريب من هذا، فإنّ في ظهره من القوّة والتحمّل والصلابة والشدّة ما ليس في جهة البطن:

الَّذي أنقَض ظهرَك ـ ٩٤ / ٣.

فتُكوىٰ بِها جِباهُهم وجُنوبهم وظُهورهم ـ ٩ / ٣٥.

ومِن البَقر والغَنم حرَّمنا عَلَيهم شحومَهما إلّا ما حملت ظهورُهما ـ ٦ / ١٤٦.

فمقابلة الظهور بالجباه والجنوب، وكذلك الاستثناء عن الشحوم بقوله إلّا ما حملت ظهورُهما: تدلّ على إرادة المعنى الخاصّ في قبال البطن، لا مطلق ما يقابل الباطن.

نبذَ فَريق مِن الَّذين اُوتوا الكتاب كتاب الله وراءَ ظُهورهم ـ ٢ / ١٠١.

وأمّا مَن اُوتي كتابَه وراء ظَهره ـ ٨٤ / ١٠.

وتركتُم ما خَوَّلناكُم وراءَ ظُهوركُم ـ ٦ / ٩٤.

الوراء بمعنى الخَلف، والتعبير به يدلّ على التأكيد، فكأنّ الترك قد وقع إلى خلف الخلف، وهو ما يلي الظهر. وأيضاً لا يصحّ التعبير بحذف كلمة الوراء، فإنّ الظهر من البدن وجزءٌ منه، وليس بخارج عنه، فيكون المعنى الحمل على الظهر.

www.attaweel.com

وفي التمايل الجنسيّ كما في:

أو الطِّفْل الَّذينَ لَمْ يَظهروا عَلى عَوراتِ النِّساء ـ ٢٤ / ٣١.

يراد تحقّق الفعليّة في حسّ التمايل الجنسيّ والقوّة الشهويّة للطفل، حتّى يتوجّه ويطّلع على الأُمور المخصوصة المحفوظة في النساء.

فظهر أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يصوّر في قبال البطون، وهذان المفهومان كما قلنا يختلفان باختلاف الموضوعات.

فمفاهيم الانكشاف، والقوّة، والعلم، والاطِّلاع، والعلوّ، والارتفاع، والغلبة، والتبيّن، والظَّهر، والظُّهر، وغير ذلك: كلّها من مصاديق الأصل إذا كانت ملحوظة في قبال البطون، وكما أنّ البُطون في كلّ شيء بحسبه: كذلك الظهور.

وَلا يُبدِينَ زينَتَهُنَّ إلّا ما ظَهَرَ مِنها ـ ٢٤ / ٣١.

قلنا إنّ البدوّ هو الظهور القهريّ، والإبداء هو جعل شيء ذا ظهور قهريّ. والزينة أعمّ من الزينة الذاتيّة والعرضيّة. والضمير راجع إلى الزينة.

والمراد من ظهور الزينة: ظهورها قهراً ومن دون قصد في جريان الحركة والسكون، كما في الألبسة المشاهدة قهراً للناظر.

ولا يصحّ الاستدلال بالآية الكريمة على جواز إبداء الوجه والكفّين واستثنائها من الستر والحجاب: فإنّ كونهما ظاهرين قهراً بعد الحجاب ممنوع، مع أنّ الحجاب ناظر في المرتبة الأُولى إلى الوجه، وفيه تجلّي جمال الإنسان ظاهراً ومعنى. واستدلالهم تمسّك بالعامّ والمطلق في الشبهة المصداقيّة، فإنّ الموضوع غير محرز بل هو مورد النزاع.

فالآية الكريمة تدلّ صريحة على وجوب ستر الوجه والكفّين، فإنّهما من

مصاديق الزينـة في الدرجـة الأُولى، وليسا ممّا يكون ظاهراً بالطبع وقهراً، وتـداومُ الحياة والتدبير والتربية الداخليّة للمرأة لا يتوقّف على كشف الوجه واليدين بوجه من الوجوه.

مضافاً إلى أنّ الغرض النهائيّ في حكم الحجاب: هو العفاف والمحفوظيّة وكسر الشهوة وقطع الفسـاد وتأمين الخـاطر ورفع الوسـوسة وفراغ القلب ودفـع صـولة التمايلات النفسانيّة بالارتباط والاختلاط، وهذه كلّها غير مأمونة في النظر إلى الوجه.

وأمّا الظُّهر: كالصُّبح إسم مصـدر، ويدلّ على ما يتحصّل من الظهور، وهـو ظهور في نصف النهار، وفيها يبدو الظهور في الدرجة الأُولى الأتمّ، وعلى هذا المعنى يطلق عليه الظَّهيرة كالصَّبيحة.

فالظُّهر أحد مصاديق الظهور، ومنه يشتقّ الظهيرة، وأظهَر، وظهّر بمعنى صار ذا ظُهر وفي وقت ظهر، كما في أصبَح وأمسى، فالنظر في كلّ منها إلى الوقت باعتبار مراتب بروز نور الشمس.

وحينَ تَضَعون ثِيابكُم مِنَ الظَّهيرة ومِن بَعد صَلوة العِشاء ـ ٢٤ / ٥٨.

فسُبحانَ الله حينَ تُمسون وحينَ تُصبحون ولهُ الحمدُ في السَّـمٰوات والأَرض وعَشيّاً وحينَ تُظهِرون ـ ٣٠ / ١٨.

أوقات المساء والصباح بمناسـبة تحوّل النهار والليل والتغيّر الظاهر: تناسب التسبيح والتنزيه عن النقص والحدّ والتحوّل. وأوقات العشاء والظهر بمناسبة ظهور النعمة وتجلّي الرحمة فيها تناسب الحمد.

وأمّا الظِّهار والمظاهَرة: من الظَّهر، وقلنا إنّ الظَهر من الحيوان من أتمّ مصاديق الظهور في قبال البطن منه، ويشـتقّ منه بهذا المعنى مشتقّات، فيقال: ظهر ظَـهارة، وظَهَره ظَهراً، وظهِر ظَهراً، وأظهرَ وظاهرَ وتظاهر، والظُّهور والأظهُرُ جمعاً، هذا على

www.attaweel.com

ما قيل.

ولكن الحقّ أنّ الظِّهار مصدراً كالمظاهَرة: بمعنى الظهور، وإذا استعمل في مورد الإعراض: يستعمل بحرف مِن، كما في:

الَّذينَ يُظاهِرونَ مِنكُم مِن نِسـائهم ما هُنّ أُمَّهاتهم ... والَّذينَ يُظاهِرون مِن نسائهم ثُمَّ يَعودون لما قالوا فتحريرُ رقبة مِن قَبلِ أن يَتماسّا ـ ٥٨ / ٢.

وَما جَعَلَ أزواجَكُم اللّائي تُظاهِرون مِنهنَّ أُمَّهاتِكُم ـ ٣٣ / ٤.

فالمفاعلة تدلّ على الاستمرار، وحرف مِن يدلّ على تحقّق حركة من مـبدأ، وهو أعمّ من الإعراض، وفيه إعراض ظاهريّ فقط، وهذا يناسب معنى الظِّهار.

وإذا استعمل بحرف على: يدلّ على الاستعلاء ـ كما في:

وأخرَجوكُم مِن دِياركُم وظاهَروا عَلى إخراجكُم ـ ٦٠ / ٢٠.

إلّا الَّذينَ عاهَدتُم مِن المشركين ثُمَّ لَم ينقُصوكُم شَيئاً ولم يُظاهِروا عَلَيكُم أحَداً ـ ٩ / ٥.

وإذا استعمل متعدِّياً بلا حرف: يدلّ على الموافقة والمعاونة في الظهور ـ كما في:

وأنزَلَ الّذينَ ظاهَروهُم مِن أهل الكتاب مِن صَياصِيهم.

أي ظاهروا الأحزاب من الكفّار، وهم بنو قريظة.

اللّهمّ وفِّقنا بتأييدك، وانصرنا نصر عزيز مقتدر، وكن لنا ظهيراً ومعيناً يا ربّ العالمين، وصلّ على حبيبك محمّد وآله المعصومين.

هذا آخر حرف الظاء، ويتلوه بتوفيقه باب حرف الغين.

ومنه تعالى أستمدّ وأستعين، إنّه خير معين.

www.attaweel.com

ولمّا كان باب حرف العين مبسوطاً

جعلناه جزءاً مستقلّاً وهو المجلّد الثّامن

www.attaweel.com

باب حرف الغين

غبر:

مصبا ـ غبَر غُبوراً من باب قعد: بقِي، وقد يستعمل فيما مضى أيضاً، فيكون من الأضداد. وقال الزبيدي: غبرَ غُبوراً: مكث. والغُبار: معروف، وأغبر الرجلُ: أثارَ الغُبار. والغَبراء: الأرض. والغُبَيراء: نَبيذُ الذرّة.

مقا ـ غبر: أصلان صحيحان، أحدهما يدلّ على البقاء، والآخر ـ على لون من الألوان. فالأوّل ـ غبَرَ: إذا بَقِي. ويقال بالناقة غُبر، أي بقيّة، وبه غُبَّر من مرض، أي بقيّة. والأصل الآخر ـ الغُبار، سمّي لغُبرته، وهي لونه، والأغبر: كلّ لون لونُ غُبار.

التهذيب ٨ / ١٢١ ـ قال الليث: غبرَ يغبُر غُبوراً: إذا مكثَ، وقد يجيء الغابِر في النعت كالماضي، وغُبْر الليل: بقاياه، وعن ابن الأعرابيّ: الغابِر الماضي، والغابِر الباقي. وقال الأصمعيّ: الغُبر: بقيّة اللّبن في الضَّرع، وجمعه أغبار. ويقال جاء فلان على غُبيراء الظَّهر: إذا جاء خائباً.

مفر ـ غبر: الغابِر: الماكِث بعد مُضيّ ما هو معه، قال ـ إلّا عَجوزاً في الغابِرين ـ يعني فيمن طال أعمارُهم، وقيل فيمن بقي ولم يَسِر مع لوط، وقيل فيمن بقي بعدُ في العذاب. ومنه الغُبرة، وغُبر الحيض، وغُبر الليل. والغبار: ما يبقى من التراب المُثار. وإنّما قيل للماضي غابِر: تصوّراً بمضيّ الغبار عن الأرض، وقيل للباقي غابر: تصوّراً

www.attaweel.com

بتخلّف الغبار عن الّذي يعدو فيُخلِفُه، ومن الغبار اشتقّ الغَبَرة، وهو ما يَعلق بالشيء من الغبار، وما كان على لونه:

وُوُجوهٌ يَومئذٍ عَلَيها غَبَرة.

كناية عن تغبّر الوجه للغمّ.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يبقى ويمكث من جملة، أثراً منها أو جزءاً، وإن شئت قل ـ ما يتخلّف ويَمضي من جملة شيء.

وبهذا الاعتبار يعبّر عن الأصل بالبقاء أو المضيّ أو المكث.

فظهر الفرق بينها وبين المفاهيم المطلقة من البقـاء والمضيّ والمكث والتخلّف. فلابدّ من وجود القيدين: التخلّف وكونه من جملة.

وأمّا اللون المخصوص: فهو بلحاظ الغبار والغُبرة بمعنى ما يتخلّف من ثوَران التراب وهيجانه، ويطلق على لونه تجوّزاً الأغبر.

وبهذا الاعتبار أيضاً تُطلق الغَبراء على الأرض، أي ما يتّصف بكونه ذا غبار أو هو على لون أغبر، فهذا الإطلاق أيضاً يكون تجوّزاً.

فأنجَيناه وأهلَه إلّا امرأتَه كانَت مِنَ الغابِرين ـ ٧ / ٨٣.

فنجَّيناه وأهلَه أجمَعين إلّا عَجوزاً في الغابرين ـ ٢٦ / ١٧١.

فأنجيناه وأهله إلّا امرأته قدَّرناها مِنَ الغابرين ـ ٢٧ / ٥٨.

وقالوا لا تَخَف ولا تَحْزَن إنّا مُنجّوك وأهْلَك إلّا امرأتَك كانَت مِنَ الغابرين ـ ٢٩ / ٣٣.

www.attaweel.com

يراد امرأة لوط النبيّ، وكانت متخلّفة عن النبيّ لوط بقلبها وعملها، متمائلة إلى مخالفيه.

وعلى هذا قد عبّر في هذه الآيات الكريمة عنها بالإمرأة والعجوز لا بالزوجة الدالّة على الزوجيّة والتماثل، كما في ـ اسكُن أنتَ وزَوجُك الجنَّةَ.

والتعبير بالعجوز: لقصوره وتقصيره في الوصول إلى الحقّ.

ووُجوهٌ يَومئذٍ عَلَيها غَبَرة ترهقُها قَتَرة أُولئكَ هُم الكَفَرَة الفَجَرَة ـ ٨٠/ ٤٠.

الغَبَرة: بفتحتين، ما يتخلّف ويبقى من جملة شيء منبسطةً، والانبساط يستفاد من الفتحتين، والمراد ما يتخلّف من آثار التعلّق بالدنيا والمادّة على النفس بعد مفارقة الحياة الدنيا.

وهذا المعنى يناسب الكفر وهو الستر والمحجوبيّة. كما أنّ القُتور وهو التضيّق يناسب الفجور وهو التمايل عن الحقّ، فإنّ الإنسان كلّما مال عن الحقّ والنور فقد وقع في مضيق الظلمة والقتور.

ويدلّ على هذا المعنى مقابلتها بآية:

وُجوهٌ يَومئذٍ مُسفِرةٌ.

أي مُضيئة، وهذا إذا كانت منوّرة بنور الحقّ.

* * *

غبن:

مصبا ـ غَبَنه في البيع والشراء غبناً من باب ضرب: مثل غلَبه فانغبن، وغَبنه أي نقصه، وغُبِن فهو مغبون، أي منقوص في الثمن أو غيره، والغَبينة إسم منه، وغَبِن رأيه غَبَناً من باب تَعِب: قلّت فِطنتُه وذَكاؤه.

www.attaweel.com

مقا ـ غبن: تدلّ على ضعف واهتضام، يقال غُبِن الرجل في بيعه فهو يُغبَن غَبناً، وذلك إذا اهتضمَ فيه. وغَبِن في رأيه: وذلك إذا ضعُف رأيه، والقياس واحد. والمَغابِن: الأرفاغ سمّيت بذلك للينها وضعفها عن قوّة غيرها.

صحا ـ الغَبن بالتسكين في البيع، وبالتحريك في الرأي، يقال غبَنْته في البيع أي خدعته، فهو مغبون قد غُبِن، وغَبِن رأيُه وهو غَبين أي ضعيف الرأي. والتغابُن أن يَغبِنَ القومُ بعضُهم بعضاً.

التهذيب ٨ / ١٤٨ ـ ابن السِّكّيت: الغَبْن في الشراء والبيع، يقال غبَنه يَغبِنه غَبناً. والغَبَن: ضعف الرأي، يقال: في رأيه غَبَن، وقد غَبِن رأيُه غَبَناً. ابن الأعرابيّ: غبَنت الثوبَ أغبِنُه غَبْناً، إذا طال فثَنيته، وما قُطع من أطراف الثوب فأُسقِطَ: غَبَن. وقال الليث: يقال للفاتِر عن العمل غابِن. وغبَنت الشيءَ: إذا خبّأته في المَغبِن. وقال أبو إسحاق: ذلك يوم التَّغابُن ـ يومَ يَغبن أهلُ الجَنّة أهلَ النّار، ويَغبن مَن ارتفعت منزلته في الجنّة مَن كان دونه. وقال أبو زيد: غبنتُ الرجلَ فأنا أغبنُه غبناً، وذلك أن يَمرّ فلا تراه ولا تفطن له. وغبنت الأمر: إذا أغفلته وغبَنتُ في البيع غبناً، إذا غفلتَ عنه بيعاً كان أو شراءً. ابن الأعرابيّ: غبنتَ رأيك أي نسيتَه وضيَّعتَه.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو التقصير في العمل بالوظيفة الحقّة اللّازمة، ونتيجة هذا التقصير تحصّل النقص في العمل والضعف فيه أو في صاحبه. ومن لوازمه الفتور والغفلة والخدعة وقلّة الفِطنة والذّكاء.

فيقال غبَنه في المعاملة أو المبادلة أو المعاشرة أو غير ذلك: كان مقصّراً في العمل بوظائفه الحقّة اللّازمة في تلك الموارد.

www.attaweel.com

وأمّا غَبِن في الرأي: فالكسرة تدلّ على انكسار وضعف زائد في نفس الأمر، فيكون الفعل لازماً.

ويقال غابَنه فتغابَن، فالمفاعلة تدلّ على الاستمرار في الفعل، والتفاعل على مطاوعته واختيار ذلك الفعل المستمرّ.

يَومَ يَجمعُكُم لِيَوم الجمعِ ذلك يومُ التغابُن ومَن يؤمِن بالله ويعملْ صالحاً يُكَفِّر عَنهُ سَيِّئاتِه ـ ٦٤ / ٩.

قلنا إنّ التفاعل لمطاوعة المفاعَلة، وصيغة المفاعلة تدلّ على الامتداد بوجود الألف، والتفاعل تدلّ على مطاوعتها، والمطاوعة هو الوفاق من دون إباء وامتناع.

فالتغابن هو تحصّل حالة المغبونيّة ممتدّاً، من أيّ جهة حصل المغابنة.

والقيامة يقال لها يوم التغابن: لأنّ كلّ فرد من المحشورين فيها يرى نفسه في مغبونيّة، ويشاهد أنّه قصّر في العمل وسامح في السلوك إلى الكمال، ولم يجتهد سعيها في الوصول إلى المقام الأسنى، ولم يبلغ في سيره ومجاهدته إلى النهاية الممكنة له ـ ومَن طلَب العُلى سَهَر اللّيالي.

وهذه حالة مشاهَدة له وفيها عذاب وشدّة وابتلاء وتألّم ليس فوقها عذاب، فإنّ نتيجتها التحسّر:

يا حَسرتىٰ عَلىٰ ما فرَّطتُ في جَنب الله.

* * *

غثى:

مقا ـ غثى: كلمة تدلّ على ارتفاع شيء دنيّ فوق شيء. من ذلك الغُثاء غُثاءُ السَّيل، يقال غَثا الوادي يغثو، وأغثَى يُغثي أيضاً. ويُروَى: والغُثّاء. ويقال لسَفَلة

الناس الغُـثاء، تشبيهاً بالّذي ذكرناه. ومن الباب: غَثتْ نفسُـه تَغثي كأنّها جاشت بشيء مُؤذ.

مصبا ـ غُثاء السيل: حَميلُه، وغَثا الوادي غُثُوّاً من باب قَعد: إمتلأ من الغثاءِ. وغثت نفسُه تَغثي غَثياً من باب رمَى، وغَثَياناً، وهو اضطرابها حتّى تكاد تتقيّأ.

لسان ـ غثا: الغُثاء: ما يحمله السيل من القَمَش، وكذلك الغُثّاء بالتشديد، وهو أيضاً الزَّبَد والقَذَر، وحدَّه الزجّاج فقال: الغُثاء: الهالك البالي من ورق الشجر الّذي إذا خرج السيل رأيته مُخالطاً زَبَده، والجمع الأغثاء. قال ابن سِيده: هذه الكلمة يائيّة وواويّة. والغَثَيان: خُبث النفس، غثت نفسُه تغثي غَثياً وغَثَياناً. وغثت السماء بسحاب تَغثي: إذا بدأت تُغيم. وغَثا السيلُ المَرتعَ يَغثوه غثواً: إذا جمَع بعضَه إلى بعض وأذهب حلاوته، وأغثاه: مثله.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو كلّ شيء خفيف ساقط عن موقعيّته خارج عن صورته إلى صورة لا يُرغَب إليها ولا يستفاد منها كاليابس من أوراق الأشجار، والبالي من الأشياء الصغيرة، والّتي تصير إلى القذارة لا يُعتنى بها. فلابدّ من لحـاظ قيود: السـقوطُ عن موقعيّـته، وكونُه خفيفاً تذروه الرياح ويَحمله السيل الجـاري، وعدمُ الرغبة إليه.

وأمّا الزبد والقذر وما يخرج بالتقيّؤ والهالك البالي وغيرها: فلابدّ من وجود هذه القيود فيها، لا مطلقاً.

وهذه المادّة قريبـة من مادّة الغثّ لفظاً ومعـنى، وهي بمعـنى الردئ والهُزال، وبينهما اشتقاق أكبر.

www.attaweel.com

والَّذي قَدَّرَ فَهَدى والَّذي أخرَجَ المَرعى فَجَعَلَهُ غُثاءً أحوى ـ ٨٧ / ٥.

أي جعل المَرعى بعد نضارته وطراوته وخضارته، خارجاً عن تلك الحالة، وساقطاً عنها، بحيث يصير غثاءً لا يُرغَب إليه.

والأحوى سبق إنّه الملتوي صورةً ولوناً في أثر اليابسيّة.

فليعتبر الإنسان الشابّ اللطيف القويّ من رؤية هذا الجريان الطبيعيّ، ويتوجّه إلى أنّ هذه الحالة غير مستمرّة له، بل لابدّ له من النزول والسقوط والضعف:

ثُمَّ رَدَدْناهُ أسْفَلَ سافِلين.

وهذا الصعود والنزول قانون طبيعيّ وناموس كلّي في جميع مراتب عالم المادّة:

مِنها خَلَقناكُم وفيها نُعيدُكُم.

فأخذتهُم الصَّيحةُ بالحقّ فَجَعَلناهُم غُثاءً فبُعداً للقَوم الظّالمين ـ ٢٣ / ٤١.

هذا الجريان في قرن بعد جريان نوح النّبيّ (ص).

ثُمَّ أنشأنا مِن بَعدهم قَرناً آخَرين ـ ٢٣ / ٣١.

وإنّهم اُهلكوا بالصّيحة الشديدة، فصاروا غُثاءً خارجة عن موقعيّتهم ساقطة عن مقامهم.

وصاروا بالصيحة أمواتاً وأجساداً بلا حركة لا روح ولا حياة ولا حسّ فيها، كأنّهم خُشبٌ يابسة.

وبلحاظ انقطاعهم عن حقيقة الحياة وهي الروحانيّة والإيمان بالله، وخروج الروح عن أبدانهم: صاروا أجساداً خفيفة، لا يستطيعون صَرفاً ولا دفاعاً ولا تمسّكاً ولا جَلباً لنفع وخير، يحملهم السيل أو عامِل آخر.

وإطلاق الغثاء على هذه الأجساد البالية الساقطة: يدلّ على ما ذكرنا من عدم

www.attaweel.com

اختصاصه بالزبد أو الورق أو القذر أو غيرها.

* * *

غدر:

مقا ـ أصل صحيح يدلّ على ترك الشيء. من ذلك الغَدْر: نقض العهد وترك الوفاء به، يقال غَدر يغدِر غَدراً، ويقولون في الذمّ يا غُدَرُ، ويقال ليلة غَدِرة: بـيّنة الغَدَر، أي مظلمة، وقيل لها ذلك لأنّها تُغادِر الناس في بيوتهم فلا يَخرُجون من شدّة ظلمتها. والغَدير: مُستنقَع ماء المطر، وسمّي بذلك لأنّ السَّيل غادَره أي تَركه. ومن الباب غدِرت الشاةُ إذا تخلّفت عن الغنم، فإن تركها الراعي فهي غَـديرة. والغَـدَر: الموضع الظَّلِف الكثير الحجارة، وسمّي بذلك لأنّه لا يكاد يُسلَك فهو قد غودِر أي تُرك، ويقال رجل ثَبت الغَدَر أي ثابت في كلام وقِتال. وهذا مشتقّ من الكلمة الّتي قبلـه، أي إنّه لا يُبالي أن يَسلك الموضعَ الصعب الّذي غادَره الناس من صـعوبته. والغَدائر: عَقائص الشَّعر، لأنّها تُعقَص وتُترك.

التهذيب ٨ / ٦٥ ـ قال الليث: تقول غدَر يغدِر غَدْراً: إذا نقضَ العهدَ ونحوه، ورجل غُدَر وغَدّار، وامرأة غَدّار وغَدّارة. وعن شمر: رجل غُدَر أي غادِر، ورجل نُصَر: ناصِر، ورجل لُكَع: لئيم. وإنّما يُترك صَرفُ باب فُعَل: إذا كان إسماً معرفة مثل عُمَر وزُفر، لأنّ فيها العلّتين الصرف والمعرفة. وليلة مُغدِرة: شديدة الظلمة، ويقال: ليلة غَدِرة: بيّنة الغَدَر، إذا كانت شديدةَ الظلمة. وإنّه لثَبت الغَدَر: إذا ناطقَ الرجالَ ونازَعهم كان قويّاً. والغَـدَر: جِرَفة الأرض وجَراثيمها. وفي النهر غَـدَر، وهـو أن يَنضُبَ الماء ويبقى الوَحل.

مفر ـ الغَدر: الإخلال بالشيء وتركه، والغَدر يقال لترك العهد ومنه قيل فلان غادِر، وجمعه غَدَرة، وغدّار: كثير الغدر. والغَدير والأغدَر: الماء الّذي يُغادِره السيل

www.attaweel.com

في مستَنقَع ينتهي إليه، وجمعه غُدْر وغُدران. والغَديرة: الشَّعر الّذي تُرِك حتّى طال، وجمعها غَدائر. وغادَره: تركه.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يتحصّل من مفاهيم الترك والتخلية والإهمال (فرو گذاشتن) ولم أجد لها كلمة تخصّ معناها.

ومن مصاديقه: الإهمال في العهد وتركه. وترك الشَّعر وإسباله. وتركُ مقدار من الماء الجاري في مكان والتخلية فيه. وتخلية الوَحل من الماء في منخفض وإبقاؤه. وترك الظلمة وإهمالها في الليل. وتخلّف الشاة عن الراعي وتركه. وتخلية قِطعة من الأرض على حالتها الطبيعيّة وإهمالُها من دون تسطيح وتصفية. وترك الكلام كلّاً أو جزءاً في مورد يقتضيه وذكرُه وإهمالُه، كلٌّ بحسب مورده.

والمغادَرة تدلّ على امتداد في الترك والإهمال ـ فرو گذاشتن.

ويومَ نُسيِّرُ الجبالَ وتَرى الأَرْضَ بارزَةً وحَشرناهُم فَلَم نُغادِر مِنهُم أحداً ... ويَقولون يا وَيلَتَنا ما لِهذا الكِتاب لا يُغادِرُ صَغيرَةً ولا كَبيرَةً إلّا أحصاها ووَجَدوا ما عَمِلوا حاضراً ـ ١٨ / ٤٧ ـ ٤٩.

الظاهر أنّ المراد من الأرض: هو عالم المادّة في قبال السماء الروحاني. وسبق أنّ الجبل ما يكون فطريّاً وعظيماً. والبروز هو الظهور على كيفيّة خاصّة. والسير في الذهاب مادّياً.

فيكون المعنى: يوم نُذهِب ما يَتظاهر بالعظمة في عالم الطبيعة، فيذهَب تظاهرُ الدنيا وجلوتها وجاذبيّتها، ويبقى عالم المادّة على ظهور خاصّ، فانيةً زينتها وعظمتُها:

كَلّا إذا دُكَّتِ الأَرضُ دَكّاً دَكّاً وجاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ـ ٨٩ / ٢١.

www.attaweel.com

فلا تبق أرض حتّى يحشر الناس عليها، مع أنّ الجبال من الأرض بل هي أوتادها:

وَجَعَلنا الجِبالَ أوتاداً ـ ٧٨ / ٧.

ولا ثبات للأرض بذهاب الجبال، فتختلُّ دافعتها، وتكونُ مغلوبَ جاذبة الشمس، ويزول نظمها.

ويؤيّد هذا المعنى قوله تعالى:

يَومَ يُنفَخُ في الصُّور فتأتونَ أفواجاً، وفُتِحَت السَّماءُ فَكانَت أبواباً، وسُيِّرَت الجبالُ فَكانَت سَراباً ـ ٧٨ / ٢٠.

فإنّ فتح أبواب السماء المادّية، وصيرورة الجبال سراباً: لا تلائم هذه الأرض والجبال والسماء المادّيّة.

فحينئذ يُحشر الناس إلى ربّهم، ولا يُترك ولا يُهمَل منهم أحد، فيحاسبون بما عملوا جميعاً بمقتضى ما ضُبط في كُتب أنفسهم تماماً لم يترك فيها شيء.

ثمّ إنّ كتاب النفس ـ إقرَأ كِتابَكَ كَفَى بِنَفسِكَ ـ كشَريط ضبط الصوت وضبط الصورة، إلّا أنّه أدقّ وألطف وغير مادّيّ، يُضبَط فيه جميع الحركات من قول أو عمل، وحتّى ما يتصوّر ويتخيّل ويعتقد:

لَا يُغادِرُ صَغيرَةً وَلا كَبيرةً إلّا أحصاها.

وأمّا عدم المغادَرة لأحد: فإنّ الله تعالى محيط بالجزئيّات والكلّيات فإنّ نوره غير محدود وغير متناه:

يَعلَمُ ما في السَّمٰواتِ والأَرضِ.

* * *

غدق :

مصبا ـ غَدِقَت العينُ غَدَقاً من باب تعِب: كثُر ماؤها، فهي غَدِقة، وأغدقَتْ إغداقاً كذلك. وغَدِق المطرُ غَدَقاً وأغدَق إغداقاً مثلُـه. وغَدَقت الأرضُ تغدِق من باب ضرب: إبتلَّتْ بالغدق.

مقا ـ غدق: أصل صحيح يدلّ على غُزر وكثرة ونَعمة، من ذلك الغَدَق وهو الغزير الكثير. والغَدَق والغيداق: الناعم من كلّ شيء، والغَيداق: الرجل الكريم الخُلق. وزعم ناس أنّ الضَّبّ يُسمّى غَيداقاً، ولعلّ ذلك لا يكون إلّا لسِمَن ونَعمة فيه.

أسا ـ ماء غَدِق وغَدَق: كثير، ومكان غَدِق ومُغدِق: كثير الماء مُخصِب، وعيش غَدِق ومُغدِق وغَيدق وغَيداق: واسع، وعامٌ وغيثٌ غَيدق. وتقول وَدَقت السماءُ فأدرَّت الغَدَق. وفلان مَلآنُ كالعَين الغديقة.

❊ ❊ ❊

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يكون فيه كثرة وفيضان، والقيدان ملحوظان في كلّ من موارد استعمالها، مادّياً أو معنويّاً.

فيقال غدِقَت العينُ، وغدِق المطرُ، وغيث غيدق، وعيش غَدِق.

وأمّا قولهم ـ مكان غَدِق، وغَدقت الأرضُ: فكناية.

وأمّا الغيداق في رجل كريم خُلقاً: فهو فَيضان معنويّ ومادّيّ.

وأمّا الضَّبّ: فهو بمناسبة سير سريع وجريان كالماء في حركته.

وأن لَوِ استَقاموا عَلى الطَّريقة لأسقَيْناهُم ماءً غَدَقاً لنَفْتِنهُم فيه ومَن يُعرِض عَن ذِكرِ رَبّه يَسلُكْهُ عَذاباً صَعداً ـ ٧٢ / ١٦.

www.attaweel.com

فالاستقامة في الطريقة الوسطى وعلى الصراط الحقّ توجب نزول النعم المادّية والمعنويّة، وفيضان الماء والرحمة عليه.

فإنّ الاستقامة توجب تثبيت التهيّؤ والاستعداد والاقتضاء لنزول الرحمة وفيضان النعمة وتوجّه الرأفة.

وبعد فيضان النعمة: تتحصّل له حالة الابتلاء بتلك النعم الشاملة، فله أن يشكر في قبال هذه الألطاف المتواصلة، وأن لا يُعرض عن الحقّ والذكر.

فأمّا الإنسانُ إذا ما ابتَلاه رَبُّهُ فأكرَمَه ونَعَّمَه فَيَقولُ رَبِّي أكرَمَن ـ ٨٩ / ١٥.

* * *

غدو:

مقا ـ غدو: أصل صحيح يدلّ على زمان، من ذلك الغُدوّ، يقال غدا يغدو، والغُدوة والغَداة، وجمع الغُدوة غُدىً، وجمع الغَداة غَدَوات، والغادية سحابة تنشأ صباحاً، وأفعلُ ذلك غداً، والأصل غَدْواً.

مصبا ـ غدا غُدوّاً من باب قعَد: ذهب غُدوة، وهي ما بين صلوة الصّبح وطلوع الشمس، وهذا أصله، ثمّ كثر حتّى استعمل في الذهاب والانطلاق أيّ وقت كان. والغداة: الضحوة، وهي مؤنّثة، ولو حملها حامل على معنى أوّل النهار: جاز له التذكير. والغداء بالمدّ: طعام الغداة. وغدّيته تغديةً: أطعمته الغداء فَتَغدّى. والغَد: اليوم الّذي يأتي بعد يومك على اثره، ثمّ توسّعوا فيه حتّى أُطلق على البعيد المترقّب، وأصله غدو.

لسان ـ الغُدوة: البُكرة، وغدا عليه غَدواً وغُدوّاً واغتدى: بكّر وغاداه: باكرَه. والغُدوّ: نقيض الرَّواح. وقوله ـ بالغُدوِّ والآصال، أي بالغَدَوات، فعبّرَ بالفعل عن

الوقت، كما يقال أتيتك طلوعَ الشمس، أي في وقت طلوع الشمس. وفي الحديث ـ لَغَدوة أو رَوْحة في سبيل الله، الغَدْوة: المرّة من الغُدوّ، وهو سير أوّل النهار نـقيض الرَّواح. والغَداء: الطعام بعينه، وهو خلاف العَشاء.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو تحوّل مع جريان، وهذا المفهوم له مصاديق: كالتحوّل في الليل وجريانـه إلى أن تزول آثار الليل، وهذا المعـنى يتحقّق من أوّل الفجر إلى طلوع الشمس. وكتحوّل في مجموع اليوم والليلة إلى يوم آخر وجريانه. وكتحوّل في أمر كان مستمرّاً أو حالةٍ ممتدّة إلى أمر أو حالة أخرى. وهكذا.

فلابدّ في تحقّق هذا الأصل من لحاظ قيدين: التحوّل، وجريانه.

وهذا المعنى مفهوم كلّيّ تختلف خصوصيّاته باختلاف الموارد.

فتَنادوا مُصْبِحين أن اغدُوا عَلى حَرثكُم ... وغَدَوْا عَلى حَرْدٍ قادرين ـ ٦٨ / ٢١.

وإذ غَدوتَ مِن أهلك تُبوّئُ المؤمنينَ مَقاعدَ لِلقِتال ـ ٣ / ١٢١.

يراد التحوّل ممّا كان عليه من البيتوتة والاستراحة والاستيناس، إلى أمر آخر وحصول جريان فيه، وهو الإقبال على الحرث والتبوئة.

ومن هذا المعنى الغَـد ليوم بعد يومك أو لزمان بعد انقضاء زمان محدود معيّن منظور ـ كما في:

سيَعلَمونَ غَداً مَن الكَذّابُ الأشِر ـ ٥٤ / ٢٦.

وما تَدري نَفسٌ ماذا تَكسِبُ غَداً ـ ٣١ / ٣٤.

ولا تَقولَنَّ لشَيء إنِّي فاعلٌ ذلكَ غَداً ـ ١٨ / ٢٣.

أرسِله مَعَنا غَداً يَرتع ويَلعب ـ ١٢ / ١٢.

يطلق لفظ الغد على زمان يجري بعد تحوّل في الزمان الفعليّ، وهو عند الإطلاق يدلّ على اليوم الّذي بعد يومك، للتحوّل بانتهاءِ يوم وليلة، بطلوع الشمس بعد غروبها.

وأمّا عند التقييد بمورد خاصّ: فيدلّ على تحوّل فيما يراد ويلاحظ، إلى جريان أمر آخر أو حالة أخرى، كما في الآيات الكريمة: فتدلّ على انتهاء عالم الدنيا وجريان عالم آخر:

سَيَعْلَمونَ غَداً، ولتَنْظُرْ نَفسٌ ما قَدَّمَت لِغَدٍ.

فالمراد عالم الآخرة بتحوّل الدنيا.

ولا تَطرُدِ الَّذينَ يَدعونَ ربَّهُم بالغَداةِ والعَشيّ ـ ٦ / ٥٢.

واْصبِر نفسَك مَعَ الَّذينَ يَدعونَ ربَّهم بالغَداةِ والعَشيّ ـ ١٨ / ٢٨.

والظاهر أنّ الغَداة في الأصل غَدْوَة، ثمّ قلبت الواو بعد نقل فتحتها إلى ما قبلها ألفاً، وهذا كالزَّكاة والصَّلاة والحـياة وغيرها، ثمّ تطلق على زمان تحوّل اللـيلة إلى الفجر وجريان التحوّل إلى طلوع الشمس.

والعِشاء في قبال الغَدوة، وهو أوّل ظلام الليل بعد تحوّل النهار، فإنّ العشـو يدلّ على ظلام وقلّة وضوح ـ راجع ـ عشو.

ولمّا كان تحوّل الظلمة إلى الوضوح والنور ملحوظاً في مفهوم الغداة: ناسبت مقابلة كلمة الغداة بالعشيّ.

وهكذا في:

النّارُ يُعرَضونَ عَلَيها غُدُوّاً وعَشيّاً ـ ٤٠ / ٤٦.

www.attaweel.com

فإنّ الغداة من جهة كونها في الأصل مصدراً قريبة من معنى الغُدوّ.

يُسبِّح لَهُ فيها بالغُدوّ والآصال ـ ٢٤ / ٣٦.

ولله يَسجُد مَن في السَّمٰواتِ والأَرض ... وظِلالهُم بالغُدوِّ والآصال ـ ١٣ / ١٥.

واذكر ربَّك في نَفسك ... بالغُدوّ والآصال ـ ٧ / ٢٠٥.

فالغدوّ مصدر وسبق أنّ الأصل ما يُبنى عليه شيء، وباعتبار أنّ الساعة الأخيرة من اليوم يعلم فيها محصول ما يعمل في امتداد اليوم: يطلق عليها الأصل.

والتحقيق أنّ المراد في هذه الآيات منه: هو المتن، والمتن من مصاديق الأصل، فإنّه يبنى عليه الحواشي وأشكال أُخر، ومتن اليوم والليلة: كلّ ساعة طبيعيّة جارية منهما، وفي مقابله الغدوّ وهو تحوّل واقع في جريان المتن، من تغيّر إلى ليل أو نهار، وهذا المعنى هو الحقّ.

ويدلّ على هذا المعنى ذكر كلمة الآصال بصورة الجمع، فإنّ الوقت المخصوص المعيّن لا معنى في ذكره جمعاً، وأيضاً إنّ الذكر والتسبيح والسجود مستحسنة ومطلوبة في جميع الأوقات، مضافاً إلى أنّ النظر في هذه الآيات إلى تحقّق الذِّكر والتسبيح والسجود في جميع الآنات، لا في وقت مخصوص.

نعم إذا كان النظر معطوفاً إلى وقت خاصّ: يذكر بصورة المفرد.

وكذلك إذا لوحظ وقت مبهم منكّر كما في:

وسبِّحوه بُكرَةً وأصيلاً.

ولِسُليمانَ الرّيحَ غُدُوّها شهرٌ ورَواحُها شهرٌ ـ ٣٤ / ١٢.

قلنا إنّ الغدوّ مصدر بمعنى التحوّل عمّا كان مع جريان في التحوّل. ولمّا كانت

www.attaweel.com

الريح من الرَّوح والرَّواح بمعنى الجريان والحركة: فالتحوّل في الريح إنّما يتحقّق بحدوث حالة السكون فيها وامتداد تلك الحالة، وهذه الحالة كانت بأمر سليمان النبيّ وحكمه ممتدّة إلى شهر حتّى تنتهي إلى منتهاها، ثمّ يتحقّق حدوث جريان فيها ممتدّاً إلى شهر أيضاً، فتكون جارية ومتحرّكة إلى منتهى شهر.

وهذا المعنى ما يدلّ عليه صريح الآية الكريمة.

ولمّا جاوَزا قالَ لِفَتاه آتِنا غَداءَنا لَقَد لَقينا مِن سَفرنا هذا نَصَباً ـ ١٨ / ٦٢.

الغداء لعلّه كان مصدراً في الأصل كالسَّلام، ثمّ جعل إسماً للغذاء الّذي يوجب تحوّل حالة الضعف والجوع والنَّصَب، وتدلّ الآية الكريمة على أنّه غير مخصوص بغذاء الصبح، بل في مورد النَّصَب.

فإطلاق الغَداء والغذاء والطعام والمأكول وغيرها: كلّ باعتبار، فالغداء بلحاظ كونه مصداقاً للتحوّل، ومن باب زيد عدل.

❊ ❊ ❊

غرب:

مصبا ـ غرَبت الشمسُ تغربُ غُروباً: بعُدت وتوارت في مَغيبها، وغَرُب الشخص بالضمّ غَرابة: بعُدَ عن وطنه، فهو غريب، وجمعهُ غُرَباء، وغرّبته أنا تغريباً فتغرّب واغترب، وغرّب بنفسه تغريباً أيضاً. وأغربَ: دخل في الغربة. وأغربَ: جاء بشيء غريب بعيد من الفهم. والغَرب: الدلو العظيمة يُستَقى بها على السانية. والغَرب المغرِب، والمَغرب بكسر الراءِ على الأكثر وبفتحها، والنسبة إليه مغربيّ بالوجهين. والغَرب: الحِدّة من كلّ شيء نحو الفأس والسكّين، حتّى قيل: إقطَعْ غَرْبَ لسانه أي حِدَّته. وقولهم سهم غرب فيه لغات: السكون والفتح، وجعلُه مع كلّ واحد صفة

لسهم، ومضافاً إليه، أي لا يُدرَى من رَمى به. والغارِب: ما بين العنق والسنام، وهو الّذي يُلقَ عليه خطامُ البعير إذا أُرسل ليَرعى حيث شاء، ثمّ استعير للمرأة وجعل كناية عن طلاقها، فقيل لها: حَبلُك على غاربِك. وفي النوادر: أعلى كلّ شيء.

مقا ـ غرب: أصل صحيح، وكَلِمهُ غير منقاسة، لكنّها متجانسة، فلذلك كتبناه على جهته من غير طلب لقياسه. فالغَرْب: حدّ الشيء، يقال هذا غَـربُ السـيف، ويقولون كففتُ من غَرْبه، أي أكلَـلْتُ حدَّه، واستغربَ الرجلُ، إذا بالغ في الضَّحك. وغُروب الأسنان: ماؤها. فأمّا الغُروب: فمَجاري العين. وأمّا الغَرَب: فيقال إنّ الغَرَب الراوية، وما انصبّ من الماء عند البـئر فتغيّرت رائحته. والغَرْب: عِرق يسـق ولا ينقطع. والغُربة: البُـعد عن الوطن، ومن هذا غروب الشمس. والغُراب: مـعروف. والغُراب: رأس الفأس. والغِربيب: الأسود.

مفر ـ غَرب: غَيبوبةُ الشمس، وقيل لكلّ مُتباعِد: غَريب، ولكلّ شيء فيما بين جنسه عديم النظير: غَريب ـ العلماءُ غُرَباء. والغُراب: سمّي لكونه مُبعِداً في الذهاب. وغارب السِّنام: لبعده عن المَنال. وغَرْبُ السيف: لغُروبه في الضَّريبة، شُبّه به حدُّ اللسان، كتشبيه اللسان بالسيف. وسمّي الدَّلو غَرباً: لتصوّر بُعدها في البئر. والغَرْب: الذهب لكونه غريباً فيما بين الجواهر. وعَنقاءُ مُغرِب: وُصف بذلك لأنّه يقال كان طيراً تناول جارية فأغرب بها، وبالإضافة. والمُغرَب: الأبيض الأشفار كأنّما أُغرِبت عينُه في ذلك البياض. وغَرابيبُ سُود: قيل جمع غِربيب، وهو المُشبِه للغراب في السواد.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحـد في المادّة: هو الأُفول، ويـقابل الشروق، والشروق هـو

الطلوع مع الإضاءة، فيكون الغروب هو الأُفول والغيبة مع انقطاع الآثار محسوسة أو معقولة.

وهذا المعنى يصدق على معاني ـ غيبوبةِ الشمس في المغرب، وغيبوبةِ الرجل عن مَوطنه وكونه غريباً، وكونِ الشيء خارجاً عمّا يتعارف ويُتفاهَم مادّياً أو معنوياً، وغيبوبة الدلو الّذي يُستق بها على البعير، فإنّ المشاهَد في هذا الجريان هو تحرك البعير لا الدلو، وجهة الحدّة في أيّ شيء فإنّ الحدّة لدقّتها غير محسوسة ويكون الشروق في سائر الجهات، وهكذا الحدّة المعنويّة في اللسان، وجهة الغلوّ في قيمة الذهب والفضّة من بين سائر المواد فإنّها غائبة عن النظر السطحيّ، وغارِب البعير حيث إنّه من جهة علوّه وخروجه عن المَرأى غائب، والغراب حيث إنّه يطلب بعداً واستيحاشاً عن البشر. وهكذا في سائر المصاديق.

فلابدّ من وجود القيدين ولحاظهما في أيّ مورد يلاحظ الأصل، وإلّا فيكون الاستعمال تجوّزاً، كما في مفاهيم الظلمة، ومطلق العلوّ، ومطلق المتباعِد، وغيرها.

وأمّا الفرق بين موادّ الغيبة والأُفول والغروب والبُعد: أنّ الغيبة أعمّ من أن يكون أصيلاً أو بعد الظهور ـ الَّذينَ يؤمنونَ بالغَيْب. والأُفول يدلّ على حدوث الغيبة بعد الظهور والحُضور، وإنّه غيوبٌ وراءَ شيء. والغروب هو غيبة عن الظهور مع انقطاع آثاره المشاهدة منه. والبُعد هو حصول فصل مكاناً أو زماناً، وابتداء أو حدوثاً، بغيبة أو غيره:

وسَبِّح بِحَمْدِ ربِّك قَبلَ طلوعِ الشَّمسِ وقَبلَ الغروب ـ ٥٠ / ٣٩.

حتّى إذا بلَغ مغرِبَ الشَّمسِ وَجَدَها تَغرُب في عَين حَمِئة ـ ١٨ / ٨٦.

قُل لِلّهِ المَشرِقُ والمَغرِب ـ ٢ / ١٤٢.

قالَ ربُّ المَشرِق والمَغرِب وما بَينهما ـ ٢٦ / ٢٨.

www.attaweel.com

يوقَد مِن شَجَرَة مُباركة زَيتونَةٍ لا شَرقيّةٍ وَلا غَربيَّة ـ ٢٤ / ٣٥.

فإذا أُطلقت تدلّ على غروب في عالم المادّة.

والنهار امتـداد زمان في كلّ يوم وليلة، أوّله طلوع الشمس وآخره غروبها، وهذا الزمان المحدود بسبب شروق الشمس وإضاءتها، فيه اقتضاء العمل والحـركة والفعّاليّة لتأمين الحياة المادّية طبيعـيّاً، ثمّ بغروبها يحصل بالطبع اقتضاء الاستراحـة والسكون والعمل بوظائف العبوديّة والتوجّه الروحانيّ.

فكلّ من النهار والليل له اقتضاء طبيعيّ، والأحسن الأصلح للإنسان أن يتّبع في جريان أموره وأعماله، عمّا يقتضيه الجريان الطبيعيّ، ثمّ التسبيح والتحميد في آخر كلّ من النهار والليل شكراً لِآلائه ونعمه.

رَبُّ المَشْرقين ورَبُّ المَغربين ـ ٥٥ / ١٧.

فَلا أُقسمُ بربّ المَشارِق والمَغارِب إنّا لَقادرونَ ـ ٧٠ / ٤٠.

وأورَ ثنا القَوم الّذين كانوا يُستضعَفون مَشارِقَ الأَرض ومَغاربَها ـ ٧ / ١٣٧.

في الآية الأخيرة تصريح بأن المراد من قوله تعالى ـ مَشارِقَ الأَرض ومَغاربها ـ الأراضي الواقعـة في الشرق والغرب، باعتـبار النقاط المختـلفة الّتي تشرق عليها الشمس أو تغرب فيها في الفصول من السنة. والآية الثانية أيضاً قريبة منها، حيث إنّها راجعة إلى تبديل قوم كافرين:

لَقادرون عَلى أن نُبدِّل خَيراً مِنهُم وما نَحنُ بِمَسبوقين.

فيشار فيها إلى تبديل أقوام مختلفة من الكفّار في الأراضي الشرقيّة أو الغربيّة.

وأمّا الآية الأُولى: فباعتبار وقوعها بعد آية:

خَلَقَ الإنسانَ مِن صَلْصَال كالفَخّار وخَلَقَ الجانَّ مِن مارِجٍ مِن نار.

www.attaweel.com

يناسب أن يكون المراد منهما مشرقاً الإنس والجنّ ومغرباهما، كلّ بحسب ما يقتضيه حاله ومقامه ومكانه، من شروق وغروب.

ولا يخفى أنّ عنوان المشرق والمَغرب: إنّما يلاحظان باعتبار أفراد يسكنون في محيط معيّن ومملكة محدودة، لا باعتبار خطّ ممتدّ في المشرق أو في المغرب، فإنّ كلّ خطّ مفروض فيهما لايزال في محلّ شروق ثمّ في مورد غروب، أو واقع في مورد غروب ثمّ يقع في محلّ شروق.

وأمّا إذا لوحظت محدودة في وسط الشرق والغرب: كبلاد الهند في آسيا، والولايات المتّحدة من أمريكا الشماليّة، في الجهة الاُخرى من الأرض، فالخطّ الاُفقيّ الشرقيّ من الجهتين مشرق، والخطّ الاُفقيّ الغربيّ منهما مغرب، وهذان الخطّان يتعاكسان في الجهتين، فالخطّ الغربيّ يصير شرقيّاً بالنسبة إلى الجهة الاُخرى من سطح الكرة الأرضيّة، فالمحيط الأطلسي مغرب إذا لوحظت بالنسبة إلى بلاد آسيا، ومشرق بالنسبة إلى أمريكا.

فعلى هذا يصحّ أن ينطبق عنوان المَشرقين والمَغربين على هاتين الجهتين من صفحتي الكرة الأرضيّة.

وأيضاً: قلنا في ـ شرق: إنّ الآية تنطبق على المشرق والمغرب المادّيّين والروحانيّين ـ فراجع. والله أعلم.

فظهر أنّ الشروق والغروب أمران حادثان جاريان في عالم مادّيّ أو روحانيّ، ولا يتّصف بهما القديم الأزليّ الواجب والربّ المطلق، وهو ربّ المشرقين والمغربين ـ شَجَرَةٍ مُبارَكةٍ زَيتونَة لا شرقيّةٍ وَلا غَربيّة.

وأمّا الغُراب:

فَبَعَثَ الله غُراباً يَبْحَثُ في الأَرض ... قالَ يا وَيلَتىٰ أعجزتُ أن أكونَ مثلَ هذا

www.attaweel.com

الغرابِ فأُوارِيَ سَوأةَأخي ـ ٥ / ٣١.

نعم إنّ من أعرض عن ذكر الله تعالى، وتولّى وانحرف عن هداية الله وصراطه الحقّ:

فقد يضطرّ إلى أن يستهدي ويستعين عن الغراب، مع أنّ الغراب دائماً في حالة الأُفول والبعد والغروب والوحشة.

ألم تَرَ أنَّ اللهَ أنزَلَ مِن السَّماء ماءً فأخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُختلفاً ألوانُها ومِن الجِبال جُدَد بِيضٌ وحُمر مُختلف ألوانُها وغَرابيبُ سُود ـ ٣٥ / ٢٧.

سبق أنّ الجُدَد خطوط داخليّة من الذخائر والمعادن المتكوّنة المتجدّدة في الجبال.

والغِربيب: بالكسر، مأخوذ من الغَرب، والكسرتان والياء تدلّ على الانخفاض الشديد والنفوذ الزائد والأُفول المستمرّ مع الخفاء والغيبة والظلمة، فهذا المعنى ليس بمعنى الأسود المطلق، ولا من صفاته، بل ما يكون فيه أُفول وغيبة شديدة مع انقطاع الآثار بالكلّيّة.

فالسواد قد يكون من صفاته، وهو غير الظلمة الّتي من لوازمه، وقد يتّصف بصفات أخرى، فيقال غِربيب أسود، وهو ضرب من العنب.

وجمع الغِربيب غَرابيب، والمراد ما يتكوّن ويتغيّب في الجبال من بعض الموادّ الكدرة، والسواد منها كالنفط الأسود وغيره.

وجملة من الجبال: معطوفة على الجملة الأُولى ـ **ألم تَرَ أنّ الله**.

* * *

غرّ:

مصبا ـ الغِـرّة: الغفلة. والغُـرّة من الشهر وغيره أوّله، والجمع غُرَر كغُرَف،

والغُرَر: ثلاث ليال من أوّل الشهـر. والغرّة: عبد أو أمَة. والغُرّة: بياض في الجـبهة فوق الدرهم، وفرس أغرّ، ومُهرة (ولد الخـيل مؤنّثة) غَرّاء. ورجل أغرّ: صبيح أو سـيِّد في قومـه. والغَرَر: الخطر، ونَهى رسول الله (ص) عن بيع الغَرَر. وغرَّتْه الدنيا غُروراً من باب قعَد: خدَعْته بزينتها، فهي غَرور. وغرَّ الشخصُ يغِرُّ من باب ضرب غَرارة، فهو غارّ وغِرٌّ، أي جاهل بالأُمور غافل عنها. وما غرَّك بفلان من باب قتل: أي كيف اجترأتَ عليه. واغتررتُ به: ظننتُ الأمنَ فلم أتحفّظ. والغرغرة: الصوت. والغِرارة: شبه العدل.

مقا ـ غرّ: أُصول ثلاثة صحيحة: الأوّل ـ المثال، والثاني ـ النقصان، والثالث ـ العِتق والبياض والكرم. فالأوّل ـ الغِـرار: المـثال الّذي يُطبَع عليه السِّهام، ويـقال ولَدت فلانةُ أولادَها على غِرار واحد، أي جاءت بهم واحداً بعد واحد على مـثال واحد. وأصل هذا الغَرّ وهو الكسر في الثوب، يقال إطوِ الثوبَ على غَرِّه، أي على كسره ومثالِه الأوّل. والغُرّة: سُنّة الإنسان، وهي وجهه، ثمّ يعبّر عن الجسم كلّه به، من ذلك في الجنين غُرّة: عبدٌ أو أمةٌ، أي عليه في ديته نَسَمة عبدٌ أو أمة، ومن الباب الغَرير، وهو الضَّمين، يقال أنا غَريرُك من فلان، أي كفيلك، وإنّما سمّي غريراً، لأنّه مثال المضمون عنه. ومحتمل أن يكون غِرار السيف وهو حدّه من هذا، وكلّ شيء له حدّ فحدّه غِرار، لأنّه شيء إليه انتهى طبع السيف ومثاله. وأمّـا النـقصان: فـيقال غارّت الناقة تُغارّ غِراراً: إذا نقص لبنُها. ومنه الغِرار وهو النوم القليل. ومن البـاب بيع الغَرَر، وهو الخَطَر الّذي لا يُدرَى أيكون أم لا، كبيع العبد الآبـق، والطـائر في الهـواء، فهذا ناقص لا يتمّ البيع فيه أبداً. وغرّ الطائر فرخَه، إذا زقّـه، وذلك لقـلّته ونقصان ما معه. والأصل الثالث ـ الغُرّة، وغُرّة كلّ شيء: أكرمُه. والغُرّة: البياض، وكلّ أبيض أغرّ: وثلاث ليال من أوّل الشهر غُرّة. ومن الباب الغَرير وهـو الخـلق الحَسَن، يقولون للشـيخ: أدبَر غريرُه وأقبلَ هَريرُه. وممّا يقارب هذا: الغَرارة وهي

www.attaweel.com

كالغفلة، وذلك أنّها من كَرَم الخُلق.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة حصول الغفلة بتأثير شيء آخر فيه، وهذا هو الفرق بينها وبين الغفلة، فإنّها مطلق الغفلة.

ومن لوازم الأصل وآثاره: الجهل، الخدعة، النقص، والتكسّر، والسيادة، والصباحة، والكَرَم، والضمان.

فإنّ منها ما يكون ظاهراً في المغرور: كحصول الجهل والكرم والضمان والسيادة والصباحة والتكسّر فيه في أثر كونه غافلاً ومغترّاً.

ومنها ما هو من آثار الإغفال في الغَرور: كالخدعة والحدّة.

فلابدّ من أن يكون القيدان ـ الغفلة، تحقّق التأثير والإغفال، ملحوظين في كلّ من موارد استعمال المادّة. وإلّا فهو مجاز.

وأمّا العبدُ والأمَة: فكأنّهما قد أُغفلا من حين أن صارا رِقّين إلى أن يكونا مملوكين، كالسيادة: فهو يغترّ ويغفل عن تبعتها، فإنّ سيّد القوم خادمهم.

وأمّا حدّ السيف: فإنّه يؤثّر ويَقطع ويعمل عمله والطرف غافل ومغترّ، كما في الخطر المؤثّر، والطرف غافل وواقع تحت تأثيره.

وكلّ ما لم يكن فيه القيدان ولا يصحّ أن يكون مصداقاً للأصل: فهو تجوّز.

والاغترار إمّا بأسباب مادّيّة: كما في:

وغرَّتكُم الحَياةُ الدُّنيا، وغرَّتْهم الحَياةُ الدُّنيا، فَلا تَغُرَّنَّكُم الحَياةُ الدُّنيا ـ ٣١ / ٣٣.

فَلا يَغرُرْكَ تقلُّبهُم في البلاد ـ ٤٠ / ٤.

وما الحَياةُ الدُّنيا إلّا مَتاعُ الغُرور ـ ٣ / ١٨٥.

فالحياة الدنيا المادّية تَغرّ أهلها المتعلّقين بها، فيصيرون غافلين عن مسيرهم الحقّ وعن سلوك صراط الكمال، والتوجّه إلى برنامج الحياة الروحانيّة، والّتي هي المقصود الأصيل.

وأمّا التقلّب في البلاد: وهو التحوّل والانتقال من محلّ إلى محلّ آخر، كالسفر في تجارة واكتساب معيشة فاضلة، فهذا أيضاً يَغرّ أهل الظاهر المحجوبين، ويسوقهم إلى الحياة الدنيا، كما في أسباب وعلل أخرى:

وارتبتم وغَرَّتكُم الأمانيّ ـ ٥٧ / ١٤.

يَعِدهم ويُمنّيهم وما يَعِدهم الشَّيطانُ إلّا غُروراً ـ ٤ / ١٢٠.

يُوحي بَعضُهم إلى بَعضٍ زُخرُفَ القَول غُروراً ـ ٦ / ١١٢.

فإنّ الأماني توجب التمايل إلى الحياة الدنيا، والانقطاع عن الآخرة، وكذلك الأقاويل المموّهة المزيّنة في الظاهر، على خلاف الحقّ.

فالغُرور بالضمّ مصدر من غَرَّه إذ أغفله بوسيلة. والغَرور بالفتح صفة كالظَّلوم، وهو كلّ ما يوجب حصول غفلة واغترار، من قول مموَّه، وعمل متزّين، وزينة متجلّية، وحياة وسيعة، وغيرها.

ومن العَجب العَجيب حصول الغفلة للإنسان: بالنسبة إلى الحياة والعيشة الدائمة الحقّة، وبل بالنسبة إلى الله الكريم العزيز الرحيم الّذي بيده أزمّة الأُمور:

يا أَيُّها الإنسانُ ما غَرَّكَ بربِّكَ الكَريم ـ ٨٢ / ٦.

وأعجب من ذلك: التعرّض والتحقير والاستهزاء بالّذين يؤمنون بالله العزيز

www.attaweel.com

وباليوم الآخر ويتعلّقون بالحياة الروحانيّة الأصيلة، غافلاً عن الحياة الدنيا المادّية:

إذ يقولُ المنافِقون والَّذينَ في قلوبهم مَرض غرَّ هؤلاء دينُهم ـ ٨ / ٤٩.

وإذ يَقول المنافقونَ والَّذينَ في قلوبهم مَرَض ما وعَدنا اللهُ ورسولُه إلّا غُروراً ـ ٣٣ / ١٢.

فيحسبون أنّ اللهَ ورسولَه والدينَ إنّما يَغرّون عن سبيل الحياة والمعيشة.

نعم إنّ الدين يدعو الإنسان إلى سلوك صراط الحقّ والكمال، وهذا على خلاف برنامج المنافقين والكافرين المتوغّلين في الدنيا وزينتها:

وذَرِ الَّذينَ اتَّخَذوا دينَهم لَعِباً ولهواً وغرّتهم الحياةُ الدُّنيا ـ ٦ / ٧٠.

* * *

غرف:

مصبا ـ الغُرفة: الماء المغروف باليد، والجمع غِراف مثل بُرمة وبِرام. والغَرفة المرّة، وغرفتُ الماءَ غَرْفاً من باب ضرب، واغترفته. والغُرفة: العُلِّيَّة، والجمع غُرَف، ثمّ غُرَفات بفتح الراء جمع الجمع، وتضمّ للإتباع، وتسكن حملاً على لفظ الواحد. والمِغرفة: ما يُغرف به الطعام.

مقا ـ غرف: أصل صحيح، إلّا أنّ كلمَه لا تنقاس، بل تتباين فالغَرف: مصدر غرفت الماءَ وغيره أغرِفه غَرفاً. والغُرفة: إسم ما يُغرَف. والغَريف: الأجَمَة، والجمع غُرُف. والغُرفة العُلِّيَّة ويقال غَرف ناصيةَ فرسهِ: إذا استَأصَلها جَزّاً.

التهذيب ٨ / ١٠١ ـ قال تعالى: إلّا مَن اغترفَ غُرفَة.

وقُرئ: غَرْفةً. ومعناه ـ الماء الّذي يُغتَرف نفسه، وهو الإسم: والغَرْفة: المرّة

www.attaweel.com

من المصدر. غَرفت غَرْفة، وفي القِدر غُرفة. وقال الليث: الغَرْف غَرْفُك الماءَ باليد أو بالمِغرفة. وغَرْبٌ غَروف: كثير الأخذ للماء. والغَرَف: شجر فإذا يبس فهو الثُّمام. قلتُ: أمّا الغَرْف بسكون الراء فهي شجرة يُدبغ بها. ابن الأعرابيّ: غَرَف شَعره: إذا جزّه، وملَطَه إذا حلَقه. وقال الليث: الغُرفة: العِلِّيَّة، ويقال للسماء السابعة: غُرفة. والغَريف: ماء في الأجَمَة. قلت: الغَريف الأجَمة نفسُها بما فيها من شجرها. الأصمعيّ: ناقة غارِفة: سريعة السير، وإبلٌ غَوارفُ وخيل مَغارفُ: كأنّها تَغرف الجَرْيَ غَرْفاً، وفرس مِغرف.

ابن دُريد: فرس غَرّاف: رَغيب الشَحْوة كثير الأخذ من الأرض بقوائمه.

مفر ـ الغَرْف: رفعُ الشيء وتناوُله، يقال غرفت الماءَ والمَرْق، والغُرفة: ما يُغترف. ومنه استعير غرفتُ عَرف الفرس: إذا جررتَه. وغرفتُ الشجرةَ. وغرفَت الإبلُ: اشتكت من أكله.

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو رفع شيء من السافل إلى جهة عالية. ومن مصاديقه غَرْف الماء بيد أو غيرها، وغَرف الشَّعر بالجزّ، والبناء المرتفع فيقال للحجرة الّتي في جهة الارتفاع إنّها غُرفة، وكأنّها قد رفعت من السطح السافل، والأجَمَة المرتفعة، والشجرة الّتي فيها ارتفاع، والفرس إذا رفَع أرجلَها في العَدو.

وأمّا قيد اليد أو رفع مقدار معيّن أو من الماء: فليست مأخوذة في مفهوم الأصل، ويدلّ عليه ذكر كلمة اليد والغُرفة والماء بعد ذكر المادّة، فيقال ـ اغترف الماء بيده غُرفة.

والغُرفة فُعلة وتدلّ على ما يُفعَل به كاللُّقمة بمعنى ما يُلقَم، فالغُرفة تدلّ على

www.attaweel.com

مقدار معيّن يُرتفع، كالحُجرة المرتفعة، والخَصلة من الشَّعر.

والفرق بين المادة وبين مادّة الرفع: أنّ الرفع تستعمل في المادّيات والمعنويّات، بخلاف الغرف، فإنّها تستعمل في الأُمور المادّية وما يشابهها صورة وتصوّراً، كغُرَف الجنّة. فإنّها قد نزّلت منزلة الغُرَف المادّية المحسوسة ـ راجع الرفع.

فَلَمّا فصَلَ طالوتُ بالجُنود قالَ إنَّ اللهَ مُبتليكُم بنهَر فَمَن شرِبَ مِنهُ فَلَيسَ مِنّي ومَن لَم يطعَمْهُ فإنَّهُ مِنّي إلّا مَن اغترفَ غُرفة بيَده فَشَرِبوا مِنهُ إلّا قَليلاً مِنهُم ـ ٢ / ٢٤٩.

هذا، مضافاً إلى وجود صلاح في ذلك الأمر، كاختلاط ماءِ النهر بموادّ معدنيّة مضرّة، ولا أقلّ موجبة لحدوث العطش الشديد: إمتحانٌ وابتلاء عظيم، ليُعلَم من يطيعه في أمره ممّن يَعصيه ويخالفه.

وأيضاً هذا العمل يكون تمريناً لجهاد النفس وممارسة الصبر والاستقامة، وترك اللّذات النفسانيّة، أو تقليلها.

لكنِ الَّذينَ اتّقوا رَبَّهم لَهُم غُرَف مِن فَوقها غُرَف مَبنيَّة تَجري مِن تَحتها الأَنهار ـ ٣٩ / ٢٠.

والَّذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُبوِّئَنَّهُم مِن الجَنَّةِ غُرَفاً تَجري ـ ٢٩ / ٥٨.

أُولئكَ يُجزَوْنَ الغُرفَةَ بِما صَبَروا ـ ٢٥ / ٧٥.

فهؤلاء المتّقون عن لذّات الحياة الدنيا والّذين آمنوا وعملوا الصالحات وصبروا واستقاموا في سبيل الحقّ: لهم غرف في الجنّة ومساكنُ عالية مرتفعة تُشرف على أكنافها، وهي من أعلى منازل الجنّة ومن أسناها وأرفعها مقاماً:

وهُم في الغُرُفاتِ آمِنون ـ ٣٤ / ٣٧.

فنتيجة هذه الغرفات حصول الأمن والطمأنينة، وهذا من أعظم أسباب العيشة الراضية والسرور الدائم.

ويستفاد من الآيات الكريمة: أنّ التقوى أعلى مرتبة من الأعمال الصالحة، وعلى هذا يُجزى المتّقون بغُرَف فوقها غُرَف.

* * *

غرق:

مصبا ـ غرِق الشيءُ في الماء غَرَقاً، فهو غَرِق من باب تَعِب، وجاء غارق أيضاً. وعن الخليل: الغَرِق: الراسب في الماء من غير موت، فإن ماتَ غَرِقاً فهو غَريق، هذا كلام العرب. وجوّز في البارع: الوجهين في القياس. وجمع الغريق غَرْقى مثل قتيل وقَتلى، ويُعدّى بالهمزة والتضعيف، فيقال أغرقته وغرّقته. وأغرقَ الرامي في القوس: استَوفى مدَّها. وأغرَق في الشيء: بالغ فيه.

مقا ـ غرق: أصل واحد صحيح يدلّ على انتهاء في شيء يبلغ أقصاه، من ذلك الغَرَق في الماء. والغَرِقة: أرض تكون في غاية الرِّيّ. واغرورقت العينُ والأرض من ذلك أيضاً، كأنّها قد غرِقت في دمعها. ومن الباب: واغترق الفرسُ في الخيل: إذا خالطها ثمّ سبقها. وممّا شذّ عن هذا الباب: الغُرقة من اللبن: قدرُ ثُلث الإناء.

لسا ـ الغَرَق: الرسوب في الماء. ويشبَّه الّذي ركبَه الدَّين وغمرته البلايا، يقال رجل غَرِق وغريق. وأغرقَ أعمالَه أي أضاع أعمالَه الصالحة بما ارتكب من المعاصي. وأغرقه الناس: كثروا عليه فغلبوه، وأغرقته السباع: كذلك.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو صيرورة شيء في استيلاء شيء آخر بحيث تنتفي عنه القدرة والاختيار، سواء كان المستولي أمراً مادّياً محسوساً كالماء أو معنويّاً كالابتلاءات المحيطة بالنفس والأفكار المستولية وغيرها.

فإذا تحقّق معنى الاستيلاء وسلب القدرة: يصدق الغرَق، ولا خصوصيّة للشيء المستولي في كونه مايعاً أو عملاً أو فكراً أو ابتلاءً أو عدوّاً أو صَديقاً، نعم الغرق في الماء من أظهر مصاديقه، فيحمل عليه عند الإطلاق.

وقومَ نوح لمّا كذَّبوا الرُّسُلَ أغرَقْناهُم ـ ٢٥ / ٣٧.

ولا تُخاطِبني في الَّذينَ ظَلموا إنَّهم مُغرَقون ـ ١١ / ٣٧.

وإذ فَرقنا بكُم البحرَ فأنجيناكُم وأغرَقنا آلَ فرعون ـ ٢ / ٥٠.

وأنجَيْنا موسى ومَن مَعَهُ أجمَعين ثُمَّ أغرَقنا الآخَرين ـ ٢٦ / ٦٦.

الآيتان الأولى والثانية في خصوص قوم نوح، حيث أغرقهم الله بعد أن أنجى نوحاً وأصحابَه.

فأنجَيناهُ ومَن مَعَهُ في الفُلكِ المَشحون ثُمَّ أغرَقْنا بعدُ الباقين ـ ٢٦ / ١٢٠.

والآية الثالثة والرابعة في خصوص قوم موسى، فأغرقهم الله بعد أن أنجى أصحابَه بفَرق البحر:

واترُكِ البَحرَ رَهواً إنَّهُم جُند مُغرقون ـ ٤٤ / ٢٤.

ففي هذه الحادثة: تحقّق الغرق في البحر الموجود. وأمّا في حادثة قوم نوح: فتكوّنت المياه من الأرض والسماء ثمّ تحقّق الغرق، إشارة إلى أنّ الأسباب والمسبّبات

www.attaweel.com

كلّها بيد الله العزيز.

والنّازعاتِ غَرْقاً والنّاشِطاتِ نَشْطاً والسّابِحاتِ سَبْحاً فالسّابقاتِ سَبْقاً ـ ٧٩ / ١.

النزع: القَلع. والنَّشط: الطيب في العمل. والغَرق إسم مصدر من الغَرَق، ويدلّ على حالة وقوع في استيلاء شيء.

والمراد الّذين ينتزعون من التعلّقات المادّيّة ويخرجون من القيود والعادات الحاكمة في عالم الطبيعة، متوجّهاً إلى عالم النور والروحانيّة، وفي حال الاستغراق تحت استيلاء الحكومة الإلهيّة والجذبات الربّانيّة، وهم يسلكون إلى الله المتعال بطيب نفس وحالة بهجة واشتياق.

وهذا المعنى هو المنظور في الآية الكريمة، بقرينة تَقابُلِه بقلوب واجفة، وأنّ النظر في السورة إلى بيان المقامات الخمسة للإنسان.

وهذه الحقيقة الروحانيّة تنطبق في الظاهر على المجاهدين المنتزعين الخارجين عن أوطانهم والمنقطعين عن أموالهم وأولادهم، إلى محاربة الأعداء والجهاد في سبيل الله تعالى.

وأمّا التفسير بالملائكة النازعين أرواح المؤمنين أو الكفّار، أو النجوم السيّارة، أو الخيل للمجاهدين، أو غيرها: فلا يلائم المورد.

❊ ❊ ❊

غرم:

مقا ـ غرم: أصل صحيح يدلّ على ملازمة ومُلازّة (ملاصقة)، من ذلك الغَريم، سمّي غَريماً للزومه وإلحاحه. والغَرام: العذاب اللّازم. وغُرْم المال من هذا أيضاً، لأنّه

www.attaweel.com

مال الغَريم.

مصبا ـ غرِمتُ الديةَ والدَّيْنَ وغيرَ ذلك، أغرَمُ، من باب تَعِب: إذا أدّيتَه غُرماً ومَغرماً وغَرامة، ويَتعدّى بالتضعيف فيقال غرّمتُه وأغرمتُه: جعلته غارِماً، وغرِم في تجارته مثل خسِر خلاف ربح، وأُغرِمَ بالشيء: أُولع به، فهو مُغرَم. والغَريم: المَدِين وصاحبُ الدَّيْن أيضاً، وهو الخصم، لأنّه يصير بإلحاحه على خصمه ملازماً.

صحا ـ ابن الأعرابيّ ـ الغَـرام: الشرّ الدائم والعذاب. كان غَراماً: أي هلاكاً ولِزاماً لهم، ورجل مُغرَم: بالحبّ حبِّ النساء، ورجل مُغرَم: من الغُرم والدَّيْن. والغَرام: الوُلوع، وقد أُغرم بالشيء: أُولع به. والغَرامة: ما يلزم أداؤه، وقد غَرِم الرجلُ الديةَ.

التهذيب ٨ / ١٣١ ـ قال الليث ـ الغُرْم: أداء شيء يلزم مثل كفالة يَغرمها، والغَريم: الملزَم ذلك. والغَرام: العذاب أو العشق أو الشرّ اللّازم. وفي الحديث ـ الدَّين مَقضِيٌّ والزَّعيم غارِم ـ لأنّه لازم لما زعَم، أي كفَل وضمِن.

كتاب الأفعال ٢ / ٤١٩ ـ غرِمتُ غُرماً: لزمك ما لا يجب عليك، وأُغرِم بكذا: أُولِع به وأُهلِك، وأغرمتُ السقاء: ملأته.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الالتزام أو التعهّد في أداء شيء أو في عمل، لم يكن واجباً عليه، ويقال له بالفارسيّة ـ تاوان.

وهذا الالتزام إمّا بقول صريح في المورد الخاصّ، أو بقول مطلق، أو فيما يلازم تعهّداً وفي آثاره وتبعاته.

ومن مصاديقه: أداء دَين لا يراه واجباً عليه ولو في نظره، وأداءُ حقوق ماليّة

www.attaweel.com

أو عمليّة في أثر تعهّد منه ظاهراً، وتأديةُ أموال واجبة أو مستحبّة بعد إظهار الإسلام لساناً، وتأديةُ الدية أو مال في أثر ضمان عمـوميّ، والمواجَهةُ بابتـلاء أو عذاب في نتيجة عمل محرّم.

فالقيود المذكورة لازمة في مفهوم المادّة، وأمّا مطلق الدَّيـن، أو العـذاب، أو الابتلاء، أو الملازمة، أو الخسران، وغيرها: فليس من الأصل، بل كلّها معان مجازيّة.

والإغرام: جعل شيء ذا غَرامة، فهو مُغرِم، وذاك مُغرَم.

أم تسألُهم أجراً فَهُم مِن مَغرَمٍ مُثقَلونَ ـ ٥٢ / ٤٠.

مصدر ميميّ بمعنى الغَرامـة، أي ما سألتَ عنهم أجراً للتعليم والتربيـة حتّى يحسبوه غرامة لإسلامهم وقبولهم الدين، والغرامة ثقيلة عليهم.

ومِن الأعراب مَن يتَّخذُ ما يُنفق مَغرماً ـ ٩ / ٩٨.

فإنّه لا ينفق في سبيل الله وخدمةً لعباده المستضعفين وإخوانه في الدين، بـل يحسبه غرامة في أثر تعهّده للدين وقبوله الإسلام.

فظَلَتم تَفكَّهون إنّا لمُغرَمون بَل نَحنُ مَحرومون ـ ٥٦ / ٦٦.

أي تتقوّلون بعد أن نجعلَ ما تحرثونه حطاماً: بأنّا اُغرِمنا بل كنّا محـرومين، فيحسبون أنّ هذا الجريان الحادث من فعل الطبيعة أو من جانب آلهتهم، فيُجعَل أحدُ محروماً عن الحظوظ أو مُغرَماً بغرامة في أثر عمل مخالف.

ربَّنا ٱصْرِف عنّا عَذابَ جَهنَّم إنَّ عَذابَها كانَ غَراماً ـ ٢٥ / ٦٥.

فإنّ العذاب والإبتلاء في عاقبة جريان الحياة غرامة في التعهّد الفطريّ والالتزام الوجدانيّ أو الدينيّ الإلهيّ بالعمل الصالح والسلوك العادل.

وهذا القول من عباد الرّحمٰن، حيث إنّهم متوجّهون إلى أنّ العذاب غرامة وجزاء

www.attaweel.com

للخلاف والتساهل والغفلة، وأنّهم مقصّرون عن أداء ما ينبغي للعبد من وظائف عبوديّة المعبود، فإنّ العبد العارف بالله والمشاهد رحمة ربّه الّتي وسعت كلَّ شيء: يرى نفسه قاصِراً ومقصِّراً.

إنَّما الصَّدَقاتُ للفُقَراء والمَساكينَ والعامِلينَ عَلَيها والمؤلَّفةِ قلوبُهم وفي الرِّقابِ والغارِمين وفي سَبيل الله وابنِ السَّبيل فريضةً مِن الله - ٩ / ٦٠.

قلنا إنّ المَغرم والغَرَم: لزوم أداء شيء لم يكن واجباً عليه، كأداء الغرامة للوليّ عن جانب المولَّى عليه، كالطفل والصغير والمحجور، أو أداء شيء فيما وقع من غير اختيار وتعمّد منه، أو فيما لم يكن في اعتقاده موجباً للغرامة، وغير ذلك ممّا يصدق عليه الغَرَم.

وأمّا الدَّين: فسبق أنّه خضوع وانقياد في قبال مقرّرات معيّنة، والدائن يخضع ما دام دائناً تحت قوانين الدَّين إلى أن يؤدّيه.

فدَين المولَّى عليه أو كمثله دَين بالنسبة إليهم، وغرامة بالنسبة إلى الوليّ.

وقد يطلق الدَّين على الغرامة: إذا تقبّله الغريم وجعله في ذمّته، فهو يخضع في قبال هذا التقبّل ويكون دائناً. فظهر الفرق بينهما.

وأمّا الفرق بين صيغة الغَريم والغارِم: أنّ الغَريم فَعيل ويدلّ على ثبوت الحدث، والغارِم فاعلٌ ويدلّ على الحدوث وقيام الحدث بالفاعل، فالغريم من ثبت له الغرامة بنفسه ولذاته. والغارم من يقوم الغَرَم به، وتكون الغرامة منتسبة إليه بالحدوث، كما في غرامة الوليّ.

فالغريم هو السبب مستقلّاً في حدوث الغرامة وثبوتها عليه، بخلاف الغارم فهو من يقوم به الحدث ويُنسب إليه.

www.attaweel.com

فظهر أنّ الغارم هو الّذي يؤدي مالاً عن غرامة متوجهة إليه من دون أن يكون سبباً مستقلّاً ومتعمّداً في إيجادها.

فهذا من مصاديق الغارم، وهو الّذي يُصرف فيه الصدقة والزكوة.

وأمّا الدائن من حيث هو: فخارج عن مفهوم الكلمة ـ الغارمين.

مضافاً إلى أنّ الدَّين إذا اعتبر فيه الفقر: فهو من مصاديق الفقراءِ، أو المساكين، ولا داعي لذكره على حدة في الآية الكريمة.

والروايات المربوطة لا تخالف هذا المعنى ـ فراجع وتدبّر حقّ التحقيق.

وأيضاً مفهوم الدَّين لا يناسب الآيات المزبورة.

* * *

غرى:

مصبا ـ غَرِيَ بالشيء غَرىً من باب تَعِب: أُولع به من حيث لا يحمله عليه حامل. وأغريته إغراءً، فأُغرِي به بالبناء للمفعول، والإسم الغَراء. والغِراء مثل كتاب: ما يُلصق به معمولٌ من الجُلود، وقد يُعمل من السمَك. والغَرا مثل العَصا لغة فيه. وغَروْت الجلدَ أغروه من باب علا: ألصقته بالغِراء. وقوس مَغروّة. وأغريت بين القوم مثل أفسدت وزناً ومعنىً. وغَرْوت غَرْواً من باب قتل: عجبت، ولا غَرو: لا عجب.

مقا ـ غرو: أصل صحيح يدلّ على الاعجاب والعَجَبِ لحُسن الشيء، من ذلك الغَريّ وهو الحسَن، يقال منه رجل غَرٍ، ثمّ سمّي العجب غَرواً، ومنه أغريته بالشيء الّذي تُلصق به الأشياء. ويقال غارت العين بالدمع غِراء: إذا لجّت في البكاء.

صحا ـ الغِراء: الّذي يُلصَق به الشيء يكون من السمَك، إذا فتحتَ الغين

قصَرْتَ، وإذا كسرت مددتَ. والغَرِيّان: بناءانِ طويلان يقال هما قبرا مالك وعقيل نديمي جَذيمة الأبرش، وسمّيا غريَّيْن لأنّ النُّعمان بن المُنذِر كان يُغرّيهما بدم يقتله إذا خرج في يوم بُؤسه. وغرِي فلان إذا تمادى في غضبه، وهو من الواو.

التهذيب ٨ / ١٧٨ ـ قال الليث ـ الغِراء: ما غرّيتَ به شيئاً مادام لوناً واحداً، وأغريته. وغرِيت به أي أولعت به أغرى به غَراء ممدود، والغِراء: الطلاء الّذي يُطلى به. وغاريته مغاراة وغِراءً: إذا لاجَجْتَه. الغَرِيّ: الرجلُ الحسَن الوجه.

كتاب الأفعال ٢ / ٤٣٨ ـ غروت السهم غَرْواً وغيره: طليته بالغِراء وأغريته. وفي الخبر ـ أدرِكني ولو بأحد المَغـروّين ـ أي السهمين. وغَرى به غرىً: أولع به ولزمه. وغرى فلان: تمادى في غضبه. وأغريت الكلبَ بالصيد: أرسلته عليه وحرّضته.

لسا ـ الغِراء: الّذي يُلصق به الشيء، غرا السَّـمنُ قلبَه يَغروه غرواً: لصِق به وغطّاه. وغَرِي بالشيء يغرَى غراً وغَراء: أُولِع به، وكذلك أُغرِي به إغراءً. وغرِي به غَراة، فهو غَريّ: لزِق به ولزمه، وأغرى بينهم العداوة: ألقاها كأنّه ألزقها بهم.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو لصوق مع استيلاء، ومن مصاديقه: استيلاء السَمن على القلب لاصقاً به، ولزوم الشيء مع السلطة عليه، ولزوق العداوة حاكماً، وكذلك الغضب إذا استولى ولزم، واللّون بالطلي على الشيء. والولوع إذا غلب واشتدّ، والكلب إذا استولى على الصيد ولزمه، وهكذا.

فهذا المعنى يحتاج إلى لحاظ قيدين ـ اللُصوق، الإستيلاء.

ومِنَ الَّذينَ قالوا إنّا نَصارى ... فأغرينا بَيْنَهُم العَـداوةَ والبَغْضـاءِ إلى يَـومِ القيامَة ـ ٥ / ١٥.

أي جعلنا العداوة مستولية ولاصقة بهم بحيث لا تنفكّ عنهم. وهذا المعنى إنّما يتحقّق بعد وجود أصل الموضوع بينهم، ثمّ لمّا لم ينتهوا عنه وأصرّوا عليه: فأغرى الله.

لَئِن لَم يَنْتَهِ المنافقونَ ... لَنُغرِيَنَّكَ بِهِم ثُمَّ لا يُجاوِرونَكَ فيها إلّا قَليلاً ـ ٣٣ / ٦٠.

يراد إلصاق الرسول (ص) بهم مع استيلائه عليهم ومعاشرته معهم ظاهراً إلى مدّة محدودة.

والتعبير بالمادّة في المورد: إشارة إلى أنّ ارتباطهم مجرّد قرب ولصوق ظاهريّ، من دون أن يكون بعِشرة أو صُحبة أو غيرها.

وأمّا التفاسير المختلفة الّتي ذكرت: فخارجة عن الحقيقة.

والمنظور في الآية الكريمة: أمر الله تعالى رسولَه بالصبر والاستقامة في الدعوة، وبالتحمّل في إيذاء المخالفين إلى أجل قليل زمانه، ثمّ يأتي زمان عذاب المنافقين ـ مَلعونينَ أينَمَا ثُقِفوا اُخِذوا.

* * *

غزل:

التهذيب ٨ / ٤٩ ـ قال الليث: غزلَت المرأةُ فهي تَغزِل بالمِغزل غَزْلاً. وعن الفرّاء: يقال مِغزَل ومُغزَل للّذي يُغزل به، وقد استثقلت العربُ الضمّة في حروف فكسرت ميمها وأصلها الضمّ، من ذلك قولهم ـ مِصحف ومِخدع ومِجسد ومِطرف ومِغزل، لأنّها اُخذت في المعنى من اُصحِف اي جُمعت فيه الصُّحُف، ومن اُغزِل أي اُدير وفُتِل فهو مُغزَل. وقال الليث: الغَزَل حديث الفِتيان والفتيات، يقال غازله مغازَلة، والتغزّل تكلّف ذلك. والغَزال: الشادِن حين يَتحرّك ويَمشي قبل الإثناء،

www.attaweel.com

وتُشبّه به الجارية في التشـبيب، فيُذكّر النعت والفعل على تذكير التشبيه. وعن ابن الأعـرابيّ: أُخذ الغَزَل من غَزَل الكلب، وهو أن يطلب الغـزالَ فإذا أحسّ بالكلب خرِق، أي لصق بالأرض فلها عنه الكلب وانصرف، فيقال غَزِل والله كلبُك، وهو كلب غَزِل، ومنه رجل غَزِل لصاحب النساء لضعفه عن غير ذلك. الغَزالة: الشمس إذا ارتفع النهار. والغَزّال: الّذي يبيع الغَزْل.

مصبا ـ غزلت المرأة الصوفَ ونحوَه من باب ضرب، فهو مَغزول وغَزْل تسمية بالمصدر، والنسبة إليه غَزْليّ على لفظه. والمِغزل بكسر الميم ما يُغزَل به، وتميم تضمّ الميم. والغَزال: ولد الظَبْية، أبو حاتم: أوّل ما يولَد فهو طَلا ثمّ هو غَزال والأُنثى غَزالة، فإذا قوِي وتحرّك فهو شادِن، فإذا بلغ شهراً فهو شَصَر. وغَزالة: قرية من قرى طوس. ويقال أخطأ الناسُ في تثقيل كلمة ـ الغزاليّ، وإنّما هو مخفّف نسبة إلى غَزالة القرية.

مقا ـ غزل: ثلاث كلمات متبائنات لا تقاس منها واحدة بأخرى: فالأُولى ـ غزلَت المرأة غَزْلها، والخشبة مِغزل، والجـمع مَغازِل. والثانية ـ الغَزَل وهو حـديث الفتيان والفتيات، ويقال غزِل الكلبُ غَزَلاً، وهو أن يطلب الغزالَ حتّى أدركه تركه ولَها عنه. والثالثة ـ الغزال وهو معروف، ولعلّ إسم الشمس مستعار من هذا.

الجمهرة ٣ / ١٠ ـ والغزل مصدر غَزَل يغزِل غَزْلاً، والمِغزل والمُغزل لغـتان فصيحتان. والغَزَل محادثة النساء ومفاكَهتهنّ، والتغازل محـادثة الفـتيان في الهـوى. والغَزال والغَزالة معروفان. وظَبْية مُغزِل معها غَزالها. والغَزالة الشمس عند طلوعها، ولا يقال غابت الغزالة.

قال الأصمعيّ: وليست الغزالة الشمس بعينها، ولكـن الغَـزالة وقت طـلوع الشمس. وقَرنُ غَزال ثنيّة معروفة.

❊ ❊ ❊

www.attaweel.com

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو امتداد مع التواء، ومن مصاديقه: مدّ في حبل وفتلُه، وهو الغزل، وحركة في خطّ مع التواء إلى يمين ويسار، وهذا كما في الغَزال، ولا يبعد كونه في الأصل صفة كجَبان، ويدلّ عليه قولهم ـ إذا تحرّك ومشى فيقال إنّه غَزال. ومن مصاديقه أيضاً: الغَزَل وهو مفاكَهة مع الفتيان والفتيات ومحادَثة معهم، فإنّها تمتدّ وتطول مع التواء إلى أيّ جهة، فإنّ النظر فيها إلى نفس المفاكَهة والإنس والمحادَثة، ومن هذا الباب غزِل الكلبُ إذا طلب غَزالاً، ولابدّ له من التلوّي.

وأمّا وقت طلوع الشمس على ما قال الأصمعيّ: فإنّ فيها إشراقاً من نورها بخطّ مع التواء.

ولا تَكونوا كالَّتي نَقضَتْ غَزْلَها مِن بَعد قوَّة أنكاثاً ـ ١٦ / ٩٢.

الغَزْل بمعناه المصدري، ويقابله النقض، ويراد نقض العمل، وهو الإبرام والفتل، فيعمل عملاً ثمّ يعمل على خلافه ونقضه وإبطاله.

وقد أتى بها في مورد نقض العهد واليمين:

وأوفوا بعَهد الله إذا عاهَدتُم ولا تَنقُضوا الأيمانَ بعدَ توكيدها.

* * *

غزو :

مقا ـ غزو: أصلان صحيحان: أحدهما ـ طلب شيء. والآخر ـ في باب اللقاح. فالأوّل ـ الغَزو، ويقال غزوت أغزو، والغازي: الطالب لذلك، والجمع غُزاة، وغَزِيّ أيضاً، كما يقال لجماعة الحاجّ حَجيج. والمُغزية: المرأة الّتي غزا زوجُها. ويقال في

www.attaweel.com

النسبة إلى الغزو غَزَويّ. والثاني ـ قولهم أغزَت الناقة إذا عسُر لِقاحها. وقال قوم: الأتان المُغزية: الّتي يتأخّر نِتاجها ثمّ تُنتج.

مصبا ـ غزوتُ العـدوّ غزواً، فالفاعل غازٍ، والجمع غُـزاة وغُزّىً مثل قُضاة ورُكَّع، وجمع الغُزاة غَزِيّ مثل الحَجيج، والغَزوة: المرّة، والجمع غَزَوات مثل شَهَوات، والمَغزاة كذلك، والجمع المَغازي. ويَتعدّى بالهمزة فيقال أغزيتُه: إذا بعثتَه بغزو، وإنّما يكون غَزْو العدوّ في بلاده.

التهذيب ٨ / ١٦٢ ـ قال الليث: غزوت بني فلان أغزوهم غَزواً، والواحدة غَزوة، وأغزَت المرأةُ، فهي مُغزية: إذا غزا زوجُها. والمَغزى: موضع الغَزو، وجمعها المَغازي. وتكون المـغازي بمعنى الغَـزَوات، يقال غزوت مَغزىً. والغَـزو: القصـد، وكذلك الغَوز، قد غزاه وغازه غَزواً وغَوزاً: إذا قصـده. وغزَّ فلان بفلان واغـتزّ به واغتزى به: إذا اختصّه من بين أصحابه. والمُغزية من الإبل الّتي جازت الحـقّ ولم تَلِد، وحقّها: الوقت الّذي ضربت فيه. والإغزاء: نِتاج سوء، حُواره ضعيف أبـداً. ويقال ما تغزو: أي ما تطلب، وما مَغزاك من هذا الأمـر: ما مَطلبُك. وأغزى فلان فلاناً: إذا أعطاه دابّة يغزو عليها.

كتاب الأفعال ٢ / ٤٤٠ ـ غزا غَزواً: قصد العدوَّ في دارهم، وأغزت الناقةُ: عسُر لقاحُها فهي مُغزٍ، وأيضاً جاوزت السنةَ فلم تلد فهي مُغزية، وفلاناً: جهّزته للغزو، والرجلَ: أمهلته وأخّرت ما لي عليه من الدَّين.

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ ما يستفاد من موارد استعمال المادّة: الأصل الواحد فيها هو طـلب شيء عملاً وفي الخارج ولو في القول وبالقول، وليست بمـعـنى مطلق القصد والإرادة، بل

قصد بالعمل.

فيقال غزا الشيء ـ أي طلبه حتّى يصل إليه، وغزوت فلاناً، ومَغزَى الكلام أي ما يُطلب بهذا الكلام وبسبب هذا القول، وما مَغزاك أي طلبُك في مقام العمل والحركة.

ومن مصاديقه: الحركة إلى جانب العدوّ وطلبه ليُقاتله، فيقال غزا العدوَّ، أي طلب قتالَه، وأغزى الرجلَ، أي جعله غازياً.

ومن مصاديق الإغزاء: الإمهال في تأدية الدَّين، وجعل المَديون في وسع حتّى يطلب ما عليه ويحصّله.

وكذلك التأخير في الولادة عن وقتها، حيث تجعل زوجَها أو صاحبَها في طلب الولد حتّى تلد، وكذلك في عُسر اللقاح.

يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا لا تَكونوا كالَّذيـنَ كَفَروا وقالوا لإخوانهم إذا ضَربوا في الأرض أو كانوا غُزّىً لو كانوا عِندَنا ما ماتوا ـ ٣ / ١٥٦.

الغُزّىٰ جمع غازٍ كطُلَّب جمع طالب، أي ضربوا في الأرض بقصد السير والحركة من دون مقصد معيّن وبأيّ نتيجة حصلت وهي حسنة، أو كانوا طالبين الوصول إلى مقصد معلوم كالقتال ومحاربة العدوّ.

ولمّا كان كلّ من هذين المسيرين في جهة مشروعة معقولة، وفي سبيل الحقّ والعمل بالوظيفة: لا يصحّ الخوف والاضطراب فيه من الموت.

نعم مَن لا يعتقد بفناء الحياة الدنيا وإقبال الآخرة وحسن الجزاء: فهو في نهاية التعلّق بالمادّة، ويحسب الموت فناءً قاطعاً:

ولئِن قُتِلتُم في سَبيل اللهِ أو مُتُّم لَمغفرةٌ مِنَ الله ورَحمَة خَيرٌ مِمّا يَجْمَعون ... لإلى الله تُحشرون.

* * *

www.attaweel.com

غسق :

مقا ـ غسق: أصل صحيح يدلّ على ظلمة. الغَسَق: الظلمة. والغاسِق: الليل. ويقال غسقَتْ عينُه أظلمت، وأغسقَ المؤذِّنُ: إذا أخَّر صلوةَ المغرب إلى غَسَق الليل. وأمّا الغَسّاق الّذي جاء في القرآن: فقال المفسّرون: ما تقطّر من جُلود أهل النار.

مفر ـ غَسَقُ الليل: شدّة ظلمتـه. والغاسِق: الليل المظلِم، وَمِن شَرِّ غاسِـق: وذلك عبارة عن النائبة بالليل كالطارِق، وقيل: القمر إذا كُسِف فاسودَّ.

صحا ـ الغسَق: أوّل ظلمة الليل، وقد غسَق الليلُ يَغسِق، أي أظلَم. والغاسِق: الليل إذا غاب الشفق. وغسَق الجُرحُ: سال منه ماء أصفر. والغَسّاق: البارِد المُنتِن.

لسا ـ غسقَتْ عينُه تَغسِق غَسْقاً وغَسَـقاناً: دمعَتْ، وقيل إنصبّت، وغسَـقَ اللّـبنُ: انصبّ من الضَّرع، وغسقَت السماءُ غَسْقاً: انصبّت وأرشّـتْ. وغسقَ اللـيلُ وأغسَق: انصبّ وأظلم. وغَسَق الليلِ: ظلمتُه، وقيل أوّلُ ظلمته. وَمِن شَرِّ غاسِقٍ: هذا الليل.

❊ ❊ ❊

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الظلمة النازلة المحيطة، سواء كانت في مادّيّ أو معنويّ.

فالمادّيّ كما في: غَسَق اللّيلُ، أي نزل وأحاطت ظلمته. وغسقت العـين: إذا انكدرت وانصبّت دمعتُها. وغسق الجُرح: إذا أنتَن وخرج منه القَيح. وهكذا سـائر الموارد.

وأمّا الغاسِق: فهو كلّ شيء نزل وأحاط، مادّياً كالظلمة في الليل، أو معنويّاً

www.attaweel.com

كالكدورات والظلمات الغاشية للقلب.

فالظلمة المادّية المحيطة فيها استعدادُ حدوث أيِّ شرّ ونائبة. والظلمة المعنويّة فيها اقتضاءُ أيِّ شرّ وضلال وانحراف وكفر.

وإحاطة هذه الكدورة والظلمة على القلب تتجسّم في الآخرة بصورة الغَسّاق وهو مبالغة الغاسق، فليس للكافرين طعام إلّا من ضَريع ولا شراب إلّا مِن غَسّاق:

إنَّ جَهَنَّم كانَت مِرصاداً... لا يَذوقونَ فيها بَرداً وَلا شراباً إلّا حَمِياً وغَسّاقاً جزاءً وِفاقاً ـ ٧٨ / ٢٥.

أي موافقاً لما فيهم.

وإنَّ لِلطّاغينَ لَشَرَّ مَآب جهنَّم ... فليَذوقوه حَميمٌ وغَسّاق ـ ٣٨ / ٥٦.

فالغسّاق هو المنكدر المُظلِم الّذي ليس فيه صفاء ونور، وهو من جنس عالم الآخرة وممّا يناسبها من أيّ جهة.

ولا يخفى أنّ الظلمة متن جميع الابتلاءات والشدائد في الآخـرة، فإنّها تـقابل النور الّذي هو من الله تعالى:

اللهُ نورُ السَّمٰواتِ والأَرض، اُنظرُونا نَقتَبِسْ مِن نوركُم، قيلَ ارجِعوا وراءَكُم فالتَمِسوا نوراً.

قُل أعوذُ بِرَبِّ ... ومِن شَرِّ غاسِقٍ إذا وَقَب ـ ١١٣ / ٣.

يراد مطلق ما يغسِق ويرِد محيطاً من ظلمة مادّية أو معنويّة.

وهذا يدلّ على أنّ كلّ مسلم يجب له أن يستعيذ عملاً من كلّ غاسق ويتّقي من شرّ أيّ مُظلم يحيطه، ولا سيّما ما يكون غير مادّيّ.

أقِمِ الصَّلاةَ لِدُلوكِ الشَّمسِ إلى غَسَقِ الليل ـ ١٧ / ٧٨.

www.attaweel.com

أي من أوّل وقت دُلوك الشمس إلى أن تحيط الظلمة، والدلوك هو المَـرْس والفَرْك، والشمس حين الغروب والمرور على الأُفق كأنّها في نظر الناظر تُمرَّس إلى جنب الأرض.

وهذه الآية الكريمة فيها إشارة ودلالة على تعيين وقت صلاة المغرب، وليس الدلوك بمعنى الزوال كما يتوهّم.

وأمّا ذهاب الحُمرة المشرقيّة: فهو من العلائم القطعيّة لتحقّق الغروب، ولا سيّما في نقاط لا يمكن الإطلاع عن غروب الشمس.

* * *

غسل:

مقا ـ غسل: أصل صحيح يدلّ على تطهير الشيء وتنقيته. يقال غسلت الشيء غَسلاً. والغُسل الإسم. والغَسول: ما يُغسل به الرأس من خِطميّ أو غيره. ويـقال فَحلٌ غُسَلة: إذا كثر ضِرابه ولم يُلقِح. والغِسلِين: ما ينغسل من أبدان الكفّار في النار.

مصبا ـ غسَلته غَسلاً من باب ضرب، والإسم الغُسل، والجمع أغسال، وبعضهم يَجعل المضموم والمفتوح بمعنىً، وغسَلت الميّتَ فهو مغسول وغَسيل، والتثقيل مبالغة، واغتَسل الرجلُ فهو مغتسِل، والمغتسَل بالفتح: موضع الاغتسال.

التهذيب ٨ / ٣٥ ـ قال الليث: الغُسل تمام غَسل الجِلد كلّه، والمصدر الغَسل. والغِسل، الخِـطمي. والغَسول: كلّ شيء غسلت به رأسـاً أو ثوباً أو غيرَه. إلّا مِـن غِسلِين: شديدِ الحرّ. قال الفـرّاء: ما يَسـيل من صَديد أهل النار. وقال الزجّـاج: اشتقاقه ممّا ينغسل من أبدان أهل النار. قلتُ: وهو على تقدير فِعلين فجعل إسماً واحداً لما يسيل منهم. وقال الليث: المغتَسل موضع الاغتسال، وتصغيره مُغَيسل، والجمع

www.attaweel.com

المَغاسِل. قلتُ وهذا قول النحويّين أجمعين. اللحياني: فَحلٌ غُسَلة ومِغسل وغِسّيل: إذا كان كثير الضِّراب، وقيل: الّذي يَضرب ولا يُلقح.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو تطهير شيء وتنظيفه بالماء عمّا فيه من الدَّرَن والوسخ. ويضاف إلى كلّ صيغة ما يستفاد من هيئتها، من صيغة المصدر وإسم المصدر والوصف والمبالغة والمزيد.

يا أيُّها الّذينَ آمَنوا إذا قُمْتُم إلى الصَّلوة فاغْسِلُوا وجوهَكُم وأيديَكُم إلى المرافق ـ ٥ / ٦.

الوضوء يكون واجباً حين دخول وقت الصلاة، فيتنجّز الحكم بوجوب الصلاة والغَسل، وعلى هذا عُبّر بالغَسْل مجرّداً.

وهذا بخلاف ما إذا لم يتنجّز التكليف بما يُشترط فيه الغَسل:

يا أَيُّها الَّذينَ آمَنوا لا تقربوا الصَّلاةَ وأنتُم سُكارى ... ولا جُنباً إلّا عابري سَبيل حتّى تغتسِلوا ـ ٤ / ٤٣.

فعُبّر بالاغتسال وهو افتعال يدلّ على الطوع والاختيار.

وبهذا الاعتبار يستعمل المُغتَسل في محلّ يُختار الغَسل فيه:

اركُض برِجلك هذا مُغتسَل باردٌ وشَراب ـ ٣٨ / ٤٢.

وأمّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِماله ... فَلَيسَ لَهُ اليَومَ هٰهُنا حَميم وَلا طَعام إلّا مِن غِسلِين لا يأكُله إلّا الخاطِئون ـ ٦٩ / ٣٦.

الغِسل بالكسر: ما يُغسل به، وكذلك الغِسلة، وغِسلين مزيدٌ فيه الحرفان الياء والنون، وتدلّ على انكسار وتسفّل زائد.

ولمّا كان الأصل في المادّة هو التنظيف والتطهير من الدَّرَن بالماء: فيكون الغِسلِين محدوداً بهذه الرابطة، في جهة مادّية أو معنويّة.

فالغِسلين ما يتحاتّ من آثار الغسالة المنكدرة بالدَّرَن المتظاهر الزائد، وأمّا الغِسلِين في ما وراء عالم المادّة: فهو ما يتحاتّ من دفع آثار الكدورات الظلمانيّة والرذائل النفسانيّة وما يقتضيه وجوده المحجوب الخاسر، فيتغذّى ويستطعم بما يتظاهر من نفسه.

فإنّ الغذاء هو عبارة عن جذب بدل عمّا يتحلّل ويفنى، فأصحاب الجحيم ليس لهم طعام زائد، بل يتغذّون بما يتحاتّ من الكدورات، وهذا كما في إدامة حياتهم ـ لا يَموت فيها ولا يَحْيَى.

❋ ❋ ❋

غشى :

مقا ـ غشى: أصل واحد صحيح يدلّ على تغطية شيء بشيء، يقال غشّيتُ الشيءَ أُغشّيه. والغِشاء. والغاشية: القيامة، لأنّها تغشى الخلق بأفزاعها. ويقال رماه الله بغاشية، وهو داء يأخذ كأنّه يغشاه. والغِشيان: غِشيان الرجل المرأةَ.

مصبا ـ غُشِي عليه بالبناء للمفعول غَشياً، وضمّها لغة. والغَشية المرّة، فهو مَغشيّ عليه. وغَشِيته أغشاه من باب تعِب: أتيته، والإسم الغِشيان، وكنّي به عن الجماع، كما كنّي بالإتيان، فقيل غشيها وتغشّاها، والغِشاء: الغِطاء وزناً ومعنى، وهو إسم من غشَّيْت الشيءَ إذا غطّيته، والغِشاوة: الغطاء أيضاً، وغَشِي الليلُ وأغشى: أظلم.

التهذيب ٨ / ١٥٣ ـ قال الليث ـ الغِشاوة: ما غَشي القلب من الطبع، والغِشاء:

www.attaweel.com

الغِطاء. وغاشـية السرج: غِطاؤه. والرجل يستغشي ثوبَـه كي لا يَسمع ولا يَرى. والغاشية: السؤّال الذين يَغشـونك يرجون فضلك، ومعروفك. والغاشـية: إسم من أسماء القيامة في القرآن. وعلى أبصارهم غِشاوة ـ وقرئ غَشوة، كأنّه رُدّ إلى الأصل، لأنّ المصادر كلّها تُردّ إلى فَعلة، والقراءة المختارة غِشاوة، وكلّ ما كان مشتملاً على الشيء فهو مبنيّ على فِعالة، نحو الغِشاوة والعِمامة والعِصابة، وكذلك أسماء الصناعات لاشتمال الصناعة على كلّ ما فيها نحو الخِياطة والقِصارة. أن تأتيهم غاشية ـ أي عقوبة مُجلِّلة تَعمّهم. فلمّا تغشّاها ـ كناية عن الجماع. وغاشية الرجل: مَن ينتابه من زوّاره وأصدقائه. ويقال للحديدة الّتي فوق مؤخرة الرحل: الغاشية، وهي الدامغة.

كتاب الأفعال ٢ / ٤٢٧ ـ غَشِي الشيءَ غِشياناً: نزل به، والمرأةَ: جـامَعها، والفرسُ: ابيضّ رأسُه، والرجلَ بالسوط: ضربتهُ. وغُشِي عليه غِشية وغَشياً وغِشياناً: ذهَب عقلُه.

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ستر حتّى يستولي به ويحلّ فيه، وبهذه القيود تتميّز من موادّ الستر والتغطية والمواراة وغيرها.

وهذا المعنى أعمّ من أن يكون في مادّيّ أو معنويّ، واستعمالها في ماوراء المادّيّ من قوى المادّيّات أو المعنويّات أكثر ـ راجع الرين والستر.

ومن مصاديقه ـ استيلاء الغَشية على المزاج، واستيلاء القوّة الشهويّة من الرجل على المرأة، واستيلاء لون البياض على الرأس، واستيلاء وقوع السوط في حال الضرب، واستيلاء الأفزاع يوم القيامة على الناس، واستيلاء الظلمة في الليل، وهكذا.

فلابدّ في كلّ مورد من موارد استعمالها: أن يلاحظ قيود استيلاء والستر والحلول

والنفوذ، وإلّا فيكون خارجاً وتجوّزاً.

وهذا المعنى آكد في الستر وأبلغ من التغطية والرين والمواراة.

واللّيل إذا يَغشى والنَّهارِ إذا تَجَلّى ـ ٩٢ / ١.

والنَّهارِ إذا جَلّاها واللّيلِ إذا يَغشاها ـ ٩١ / ٤.

ثُمَّ ٱستَوى عَلى العَرش يُغشي اللّيلَ النَّهارَ ـ ٧ / ٥٤.

كأنَّما أُغشيت وجوهُهم قِطَعاً مِنَ اللّيل مُظْلِماً ـ ١٠ / ٢٧.

يراد استيلاء ظلمة الليل وحلولها على ضوء الشمس والنهار والوجوه، فصارت مظلمة.

وإذا حذف متعلَّق الغشيان ـ إذا يَغشى: يراد كلّ شيء يكون تحت غشاءِ ظلمة الليل، من ضوء الشمس والنهار والوجوه وأشياء أُخر.

فَغشيَهُم مِنَ اليَمّ ما غشيَهم ـ ٢٠ / ٧٨.

وإذا غشيهم مَوج كالظُّلل ـ ٣١ / ٣٢.

أو كَظُلُمات في بَحرٍ لُجيّ يَغشاه مَوج ـ ٢٤ / ٤٠.

فيراد استيلاء الماء والموج بنحو الحلول واللصوق، وهذا أمر محسوس خارجيّ.

وتَغشى وجوهَهم النّارُ ـ ١٤ / ٥٠.

بدخان مُبين يَغشَى النّاسَ ـ ٤٤ / ١١.

يَومَ يَغشاهم العَذابُ من فَوقهم ـ ٢٩ / ٥٥.

فيراد استيلاء النار والدخان والعذاب وحلولُها، وهذه ممّا يتعلّق بماوراء الدنيا.

وختَم عَلى سمعِه وقلبه وجَعَل عَلى بَصره غِشاوة ـ ٤٥ / ٢٣.

www.attaweel.com

ومِن خَلفهم سَدّاً فأغشيناهُم فَهُم لا يُبصرون ـ ٣٦ / ٩.

يراد استيلاء الظلمة المعنويّة على قلوبهم وحلولها بحيث صارت قلوبهم محجوبة وبصائرهم عُمياً وسمعهم صُمّاً فهم لا يعقلون، وهذا أمر معنويّ روحانيّ.

فقد عبّرت في هذه الموارد بالمادّة: إشارة إلى شدّة الستر والاستيلاء.

ولَقَد رآهُ نزلة أُخرى عِندَ سِدرةِ المُنتهى عِندَها جَنَّة المأوى إذ يَغشى السِّدرةَ ما يَغشى ـ ٥٣ / ١٦.

سبق أنّ السدرة بمعنى التحيّر، والتحيّر يحصل في أثر الاستغراق في التوجّه أو بتحوّل عالم حياته كما في الموت والبعث، وبالحيرة تتحصّل حالة الانقطاع الصرف عمّا دون مورد التوجّه.

وفي هذه الحالة (الهَيَمان والصَّحو والسكر) يتجلّى نور الحقّ مستولياً على القلب ويغشاه، بحيث لا يبقى من أنانيّته أثر ـ ما كَذب الفؤادُ ما رأى. وهذه الحالة قريبة من الصحو المصطلح ـ فراجع.

ومن الحالات الغاشية: الأمَنَة والإطمينان والسكون:

ثُمَّ أنزلَ عَلَيكُم مِن بَعد الغَمّ أمَنَة نُعاساً يَغشى طائفة مِنكُم ـ ٣ / ١٥٤.

يراد غِشيان النُّعاس وهو حال الفَترة في الحواسّ والنوم الضعيف، في أثر حصول الأمن، وقد صرّح بهذا في:

إذ يُغشّيكُم النُّعاس أمَنَةً مِنهُ ـ ٨ / ١١.

ومنها: غِشيان الرجل زوجته بالحلول واللّصوق:

فَلَمّا تغشّاها حملَتْ حَملاً خَفيفاً ـ ٧ / ١٨٩.

فتكون المرأة مَغشيّة بهذه الحالة الملاصقة.

www.attaweel.com

ومنها ـ حالة شدّة وحدّة مستولية ملاصقة:

تَدور أعينُهم كالَّذي يُغشى عَلَيه مِنَ المَوت ـ ٢٣ / ١٩.

لَهُم مِن جَهَنَّم مِهاد ومِن فَوقهم غَواشٍ ـ ٧ / ٤٦.

هَل أتاكَ حَديثُ الغاشِيَةِ وجوهٌ يومئذٍ خاشِعَة ـ ٨٨ / ١.

أفأمِنوا أن تأتيهم غاشيةٌ مِن عَذاب الله ـ ١٢ / ١٠٧.

الغاشية من أسماء القيامة باعتبار غشيانها الناس صالحاً وطالحاً إمّا بالعذاب والشدّة والمضيقة والابتلاء ـ بالنسبة إلى أهل اليَسار، أو بالدهشة والحيرة والاضطراب ـ بالنسبة إلى أهل اليمين إلى أن يسكنوا، ثمّ تَغشيهم النعم الإلهيّة والألطاف الرحمانيّة ـ في جنّة عالية.

فالناس يوم القيامة إمّا أن يغشيهم العذاب ـ وجوهٌ يومَئذٍ خاشعةٌ عاملةٌ ناصبةٌ. وإمّا أن تغشيهم الرحمة ـ ووُجوهٌ يَومئذٍ ناعِمةٌ.

فالغِشيان غير مخصوص بالعذاب والنقمة.

وأمّا المقرّبون وأولياء الله الصالحون: فهم أيضاً في حيرة واضطراب من جهة سائر العباد، ومن جهة وظائفهم بالنسبة إليهم.

ولا يخفى أنّ القيامة فيها الحياة الروحانيّة، فإنّ البدن الّذي كان به وبقُويه تستمرّ الحياة الدنيويّة المادّيّة قد فات بالموت، فلم يبق أثر من حياته ولا وسيلة تستفاد بها من اللذّات الدنيويّة، فيبقى الروح وصفاته الذاتيّة والمكتسَبة وقُويه الفعليّة الموجودة، مبتنية عليها الحياة الآخرة القريبة من الروحانيّة، فتكون الحياة فيها باقتضاء تلك الصفات الفعليّة الراسخة في النفس وعلى ما يناسبها خيراً أو شرّاً ونوراً أو ظلمة، في القيامة تتجسّم تلك الخصوصيّات على صور تناسبها، وتَغْشى النفس من أيّ جهة،

وتجعلها في نعمة أو نقمة، كما في صورة البدن المادّيّ.

مضافاً إلى خصوصيّات في ذلك العالم خارجة عن إدراكنا، من كيفيّة التجسّم في النفس وصفاته وأعماله وغير ذلك ممّا يلحق النفس.

* * *

غصب :

التهذيب ٨/٢٦ ـ قال الليث: الغصب: أخذ الشيء ظلماً وقهراً. وسمعتُ العرب تقول غصبت الجِلد غَصْباً إذا كددتَ عنه شَعره أو وَبره قَسراً ولم تعطنه حتّى يسترخي عنه شَعره أو صوفه فيُمرَط، وإذا أرادوا ذلك بلّوا الجلدَ بالماء وأبوالِ الإبل.

مصبا ـ غصَبه غَصْباً من باب ضرب، واغتصبه: أخذه قهراً وظلماً، فهو غاصِب، والجمع غُصّاب مثل كُفّار، ويَتعدّى إلى مفعولين فيقال غصَبتُه مالَه وقد تزاد مِن في المفعول الأوّل، فيقال غصَبتُ مِنه مالَه. ومن هنا قيل غصَب الرجلُ المرأةَ نفسَها: إذا زنى بها كرهاً واغتصبَها نفسها كذلك، وربّما قيل على نفسها، ويُبنى للمفعول فيقال اغتُصِبَت المرأة نفسُها، يُضمَّن الفعل معنى غُلِبت.

أسا ـ غُصِب على عقله، واغتُصِبَت فلانةُ نفسُها: جومِعت مقهورة.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو تصرّف في شيء بدون حقّ وظلماً. وهذا المعنى يصدق على مفاهيم ـ أخذ الشيء قهراً، أو ظلماً، ونَزع الشَّعْر قَسْراً للظلم على الحيوان، والزنا.

وكانَ وَراءَهُم مَلِكٌ يأخُذ كُلّ سَفينة غَصباً ـ ١٨ / ٨٠.

www.attaweel.com

أي يأخذ كلّ سفينة بتصرّف عدوانيّ وبغير حقّ.

وذكر الأخذ يدلّ على أنّ مفهوم الأخذ غير مأخوذ في معنى المادّة، وإلّا فكان اللّازم أن يقال ـ يَغصِبُ كلَّ سفينة غصباً.

وأيضاً قد يكون الغصب صادقاً من دون أخذ، كما في تصرّف مكان، إذا كان بغير حقّ له، فالغصب لا يلازم الأخذ.

وكذلك مفهوم القهر: فهو أيضاً غير مأخوذ في معنى المادّة، فقد يكون الغصب متحقّقاً من دون قهر، كما في تصرّف شيء من دون غلبة وتفوّق.

* * *

غصّ:

مقا ـ غصّ: ليس فيه إلّا الغَصَص بالطعام، ويقال رجل غَصّان.

مصبا ـ غَصِصت بالطعام غصَصاً من باب تَعِب، فأنا غاصّ وغَصّان، ومن باب قتل لغة. والغُصّة: ما يُغصّ به الإنسان من طعام أو غيظ على التشبيه، والجمع غُصَص مثل غُرَف، ويَتعدّى بالهمزة.

الاشتقاق ٤٠٢ ـ ذو الغُصّة: كان فارساً، كان يغتصّ إذا تكلّم، يَصعب عليه الكلام. وأصل الغَصَص بالريق ونحوه، وإذا كان بالماء فهو شَرَق، فإذا كان من مرض أو ضعف فهو جَرَض، وإذا كان من كرب أو بكاء فهو جَأز.

لسا ـ الغُصّة: الشّجا. قال الليث: الغُصَّة شجاً يُغَصّ به في الحَرقَدة. وغصِصتُ باللقمة والماء، والجمع الغُصَص. والغَصَص مصدر قولك غَصِصتَ يا رجل تغَصُّ، فأنت غاصٌّ بالطعام. وخصّ بعضهم به الماء. وغصَّ المكانُ بأهله: ضاق، والمنزل غاصٌّ بالقوم أي ممتلئٌ بهم. وأغصَّ فلان الأرضَ علينا أي ضيَّقَها.

كتاب الأفعال ٢ / ٤٣٣ ـ غصِصتُ غَصَصاً: اختنقت، وأيضاً اغتمَمْتُ. وغصَصته أنا: خنقتُه، وغممتُه.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو انعصار وتضيّق يحدث في الحلق في مَجرى الطعام، كما أنّ الخنق انعصار يحصل في مجرى التنفّس، وهو أعمّ من أن يكون بشراب أو طعام أو بشيء آخر.

وبمناسبة هذا المعنى يستعمل كلّ منهما في التضيّق استعارة.

ذَرْني والمُكذِّبينَ أُولي النَّعْمة... إنَّ لَدَينا أنكالاً وجَحيماً وطَعاماً ذا غُصَّة وعَذاباً ـ ٧٣ / ١٣.

الغُصَّة كاللُّقمة: ما يُغَصّ به، أي يتحصّل به الانعصار والتضيّق في مَجرى الطعام، فلا يسوغ له ولا يسهل الطعام والشراب، والنَّعمة بالفتح: رفاهية العيش وطيبها واتّساعها، وهو مصدر.

فالنَّعمة والرفاهية في الدنيا توجب الغرور بها والغفلة عن النِّعمة الروحانيّة الأُخرويّة، والغرور يلازم التكذيب بالحقّ.

والمكذّب بالحقّ المتوغّل في الرفاهية: يكون محروماً عن النِّعمة الروحانيّة ويصير طعامه في القيامة ذا غصّة.

والطعام هو تذوّق في مأكول أو مشروب.

إنَّ جَهَنَّم كانَت مِرصاداً... لا يَذوقونَ فيها بَرداً وَلا شَراباً إلّا حَميماً وغَسّاقاً جزاءً وفاقاً ـ ٧٨ / ٢٥.

www.attaweel.com

فالأطعمة الّتي لأهل الجحيم لا يسوغ ولا يطيب أكلها وشربها، بل ينعصر ويتضيّق بها مجرى الطعام.

* * *

غضب:

مقا ـ غضب: أصل صحيح يدلّ على شدّة وقوّة، يقال إنّ الغَضْبة: الصَّخرة الصُّلبة. قالوا: ومنه اشتقّ الغَضَب، لأنّه اشتداد السُّخط. يقال غضِب يغضَب غَضَباً، وهو غَضْبانُ وغَضوبٌ، ويقال غضِبتُ لفلان، إذا كان حيّاً، وغَضِبتُ به إذا كان مَيّتاً. ويقال: إنّ الغَضوب: الحيّة العظيمة.

مصبا ـ غضِب عليه غَضَباً، فهو غَضبانُ، وامرأة غَضبىٰ وقوم غُضابىٰ وغَضبىٰ مثل سَكرىٰ وسُكارىٰ، وغِضاب أيضاً. ويَتعدّى بالهمزة، وغضِبَ مِن لا شيء، أي من غير شيء يوجِبه، وتَغضَّب عليه مثل غضِب.

التهذيب ٨ / ١٦ ـ قال الليث: رجل غَضوب: شديد الغَضَب. وعن الفرّاء: رجل غُضُبَّة وغَضُبَّة: إذا كان يَغضَب سريعاً. وقال الليث: الغَضوب: الحيّة الخبيثة. والغَضوب: الناقة العَبوس، وامرأة غَضوب. وعن ابن الأعرابيّ: المَغضوب الّذي قد ركبه الجُدريّ. وغيره: الغَضبة جُنّة تُتّخذ من جلود الإبل تُلبس للقتال. اللِّحيانيّ: غُضِب بصرُ فلان: إذا انتفخ من داء يُصيبه، يقال له الغُضاب.

الاشتقاق ٤٦١ ـ الغَضْب: الأحمر الغليظ. والغَضْبة: الصَّخرة الخشِنة. والغُضاب: ما تكسّر حول العين من الجلد. والغَضَب: معروف.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو تشدّد في قبال شيء آخر. ومن مصاديقه:

www.attaweel.com

تشدّد وتصلّب في الصخرة في مقابل من يستعملها. وتشدّد يُتراءى في الحيّة المقابلة، وكذا في الناقة العبوس. وتشدّد ومقاومة في الجُنّة في قبال العدوّ. وهكذا.

ومن ذلك الغَضَب: وهو تحرّك في النفس إلى حدّة وشدّة في قبال شيء آخر، ويقابله الحلم، وهو التعقّل والسكون.

وفي الغضب: خروج النفس عن الاعتدال في التعقّل والسكون، وحركتُه إلى جانب الحدّة والشدّة والاشتعال. قال الباقر (ع): الغَضَبُ جَمرة مِن الشيطان توقد في جَوف ابن آدم، وإنّ أحدَكم إذا غضِبَ احمرَّتْ عَينـاه وانـتفخَتْ أوداجُـه ودخـلَ الشيطانُ فيه.

هذا إذا كان الغضب في الباطل. وأمّا إذا كان على الحقّ وللحقّ وفي الله: فالغضب فيه ممدوح وحقّ ما دام لم يجرّ باطلاً.

ولمّا رَجع موسى إلى قَومه غَضبانَ أسِفاً قالَ بئسما خَلَفْتموني ـ ٧ / ١٥٠.

ولمّا سكتَ عَن موسى الغَضبُ أخَذَ الألواحَ ـ ٧ / ١٥٤.

وذا النّون إذ ذَهَبَ مُغاضباً فظنَّ أن لَن نَقدِر عَلَيه ـ ٢١ / ٨٧ .

لِلَّذين آمَنـوا... الَّذينَ يَجتنبونَ كبائِرَ الإثم والفواحِشَ وإذا ما غضِبُوا هُم يَغفِرون ـ ٤٢ / ٣٧.

غضب النّبيّ موسى (ص) كان في الله وبلحاظ انحـراف قومه عن سـبيل الله، وغضب ذي النون كان في الله ولكنّه لم يصبر على أذَى القوم ولم يحمل أعباء النّبوّة فخرج عنهم مُغاضباً. وغضب المؤمنين كان في الحقّ والصلاح حدوثاً ولكنّ ادامته لم يكن بصلاح، ولهم أن يعفوا عن من عليه الغضب.

وعلى أيّ حال فالغضب المدوح: ما يكون على حقّ وفي حقّ ومستمرّاً مادام

حقّاً، فيدور مَدار الحقّ، لا الحِدّة النفسانيّة.

وأمّا الغضب من الله العـزيز: فهو أيضاً شدّة وحدّة بمراتـبها في قـبال قـبائح الأعمال ومَظالم العباد ومَساوي الأخلاق والمَعاصي، وفي الّذين بدّلوا نعمة الله كفرا، وأخلّوا فيما خلق وقدّر.

إنَّ الَّذينَ اتَّخذوا العِجلَ سَينالُهم غَضَب مِن ربّهم ـ ٧ / ١٥٢.

ولكن مَن شرحَ بالكُفر صَدراً فَعَلَيهم غَضَب مِن الله ـ ١٦ / ١٠٦.

كُلوا مِن طَيِّبات ... وَلا تَطغوا فيه فَيَحلَّ عَلَيكُم غَضبي ومَن يَحلُل عَلَيه غَضَبي فَقَد هَوىٰ ـ ٢٠ / ٨١.

فَرجعَ موسى ... أم أرَدتُم أن يَحلّ عَلَيكُم غَضَب مِن ربّكُم فأخلَفْتُم مَوعدي ـ ٢٠ / ٨٦.

ومَن يولّهم يومئذٍ دُبُرَه ... فَقَد باءَ بِغَضَب مِنَ الله ـ ٨ / ١٦.

فَلَمّا جاءَهُم ما عَرفوا كَفروا به... فباءُوا بِغَضَبٍ عَلى غَضَبٍ وللكافرينَ عَذاب ـ ٢ / ٩٠.

وباءوا بِغَضَب مِنَ الله ذلكَ بأ نَّهُم كانوا يكفرون بآيات الله ويَقتلون النبيِّين ـ ٢ / ٦١.

ولا يخفى أنّ الخلاف والعصيان على نوعين: الأوّل ـ ما يوجب توقف الإنسان عن السلوك إلى الكمال والسعادة، كما في المعاصي الشخصيّة وترك الفرائض. والثاني ـ ما يوجب إخلالاً في النظم الإلهٰي والتقـدير الرّبوبي، ونقضاً للتقـديرات والحـقائق والأحكام التكوينيّة والتشريعيّة، كما في الكفر والظلم والإفساد في الأرض والقـتل والمقابلة لأنبيائه وأحكامه.

www.attaweel.com

وهذا النوع يوجب هيجان الغضب من الله عزّ وجلّ كما في الآيات الكريمة.

ثمّ إنّ الغضب في الخروج عن الاعتدال: يوجب تعدّياً وجَرحاً وشَتماً وضَرباً وقَتلاً. كذلك في الحقّ وعلى الحقّ: يوجب آثاراً مقتضية.

وأمّا آثار غضب الله عزّ وجلّ: هو البُعد عن الرحمة واللعنُ، وإعدادُ جهنّم، والعذابُ المُهين، والسقوطُ والهُويّ، والتضييقُ ـ ولَعَنَه، وأعدَّ لهم جهنَّمَ، عَذابٌ شَديد، فَقَد هَوىٰ.

وممّا يتعقّب الغضبَ الإضلالُ:

صِراطَ الَّذينَ أنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ المَغضوبِ عَلَيهِم وَلا الضّالّين.

فإنّ الضَّلال كما سبق في قبال الاهتداء (إهدِنا الصِّراطَ المُستَقيم). والهدايةُ من الله تعالى عبارة عن بسط الرحمة والفيض واللطف في تكوين ثمّ بعده في جريان الحياة، ويقابله الضلال والإضلال، وهو على خلاف الفطرة والتكوين، وإنّما يحدث بعوارض حادثة، بعنوان لعن وعذاب وبلاء ـ ربُّنا الَّذي أعطَى كُلَّ شَيء خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى.

وَما يُضلّ بِهِ إلّا الفاسِقين.

فالإنعام والرحمة في سبيل الهداية، كما أنّ الضلال في أثر الغضب، فإذا تحقّق الغضب والمغضوبيّة: يتعقّبه الضلال والبعد عن الرحمة.

سبقَتْ رَحمتُه غضبَه.

* * *

غضّ:

مصبا ـ غَضَّ الرجلُ صوتَه وطرفَه ومن طَرفه ومن صوته غَضّاً من باب قتل:

خفض، ومنه يقال غَضّ من فلان غضّاً وغَضاضَة، إذا انتقصَه، والغَضْغَضَة: النقصان، وغَضَضْتُ السقاءَ: نقصته. وغضّ الشيءُ يَغِضّ من باب ضرب: فهو غَضّ: طَريّ.

مقا ـ غضّ: أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما على كفّ ونَقص، والآخر على طَراوة. فالأوّل ـ الغَضّ: غَضُّ البصر، وكلّ شيء كففتَه فقد غَضَضْتَه. ومنه قولهم تَلحقه في ذلك غَضاضة: أي أمر يَغُضّ له بصرَه. ويقولون هو بحر لا يُغضَض. والأصل الآخر ـ الغَضّ: الطَّريّ من كلّ شيء. ويقال للطَّلع حين يَطلُع: غَضيض.

أسا ـ أُغضُض من صوتك: إخفِض منه، وغُضّ طرفَك وغُضّ من لجام فرسك أي صَوِّبه وطأمِنه لتنقص من غَرْبه. واغضُضْ لي ساعة، أي احبِس عليَّ مطيّتكَ وقِف عليّ. وفلان غَضيضٌ: ذليلٌ بيِّن الغَضاضة. ولحِقَتْه من هذا غَضاضة: نقص وعيبٌ.

صحا ـ غضَّ طرفَه أي خَفَضه. وكلّ شيء كففتَه فقد غضضتَه، والأمر منه في لغة أهل الحجاز أُغضُض، وأهل نجد يقولون غُضَّ طرفك. وانغضاضُ الطَّرْف: إنغماضه. وظَبي غَضيض الطَّرْف أي فاترُه. وغضُّ الطَّرف: احتمال المكروه. وشيء غَضّ وغَضيض أي طَريّ.

كتاب الأفعال ٢ / ٤٣٣ ـ وغَضَّ بصرَه يَغُضّه غضّاً: منعه ممّا لا يحِلّ له رؤيته وغيرَه: كفّه ووضع منه، والصوت: خفضه. وما غضضتك شيئاً: ما نقصتُك.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو كفّ مع خفض. ومن مصاديقه: الكفّ مع خَفض في الصوت، وفي النظر، وفي المطيّة، وفي المكروه بالتحمّل والاصطبار، أو فيما لا يحِلّ له.

www.attaweel.com

وبهذه المناسبة تطلق على الطريّ اللّيّن المنخفض بذاته، وعلى ما نقص ويكون مَعيباً ومنخفضاً، وعلى عين فاترة.

وَٱقْصِد في مَشيكَ وَٱغْضُض مِن صَوْتِك - ٣١ / ١٩.

إنَّ الَّذينَ يغُضّونَ أصواتَهم عِندَ رَسولِ الله أُولئِكَ الَّذينَ امتحَنَ الله - ٤٩ / ٣.

التعبير في الأُولى بكلمة مِن، وفي الثانية بدونها: إشارة إلى أنّ المطلوب في الثانية في مجلس رسول الله (ص): مطلق الغضّ بأيّ مرتبة كان، ولو وصل إلى حدّ السكوت الصَّرف والصَّمت التامّ. بخلاف الغضّ في مجالس أُخر ومصاحبات غيره: فالمطلوب فيها الكفّ والخفض في الصوت إلى حدّ لازم، بحيث يكتفي على حدّ لازم في مقام المكالمة والتفهيم بحسب المجالس والأشخاص والمقتضِيات. وأمّا عند المكالمة مع النبيّ أو من له رفعة وعظمة: فالميزان خفض الصوت في قبال صوته:

لا تَرفعوا أصواتَكُم فَوقَ صَوتِ النَّبيّ - ٤٩ / ٢.

قُل للمؤمنين يَغُضّوا مِن أبصارهم ويَحفَظوا فروجَهم ... وقُل للمؤمنات يغضُضنَ مِن أبصارهنّ ويحفظنَ فروجَهنّ - ٢٤ / ٣٠.

فهنا مطالب:

١ - إنّ جملة - يغُضّوا، ويَغضُضن: خبريّة استعملت في معانيها من الحكاية الجزميّة عن وقوع النسبة وتحقّقها، ولكنّ الداعي فيها هو الطلب والإنشاء، وهذا التعبير أبلغ في إفادة الوجوب واللزوم من صيغة الأمر، ولا سيّما على كون الجزم في يغضّوا، بمفهوم الشرطيّة الكائنة في فعل الأمر (قُل) وهو الحقّ المسلّم، والجملة جزاء مترتّب على الأمر، فيكون في هذا التعبير تأكيداً زائداً.

٢ - وقوع حفظ الفروج بعد الغضّ في الموردين: يدلّ على أهميّة الغضّ ولزومه

ووجوبه، في حدّ قبل حفظ الفروج، إذا لوحظ من حيث هو، وفي حدّ أعلى وأشدّ إذا لوحظ بالنسبة إلى آثاره، فإنّ الغضّ هو الّذي ينتج التحفّظ والتعفّف، كما أنّ عدم الغضّ يوجب آثاراً وينتهي إلى أعمال شنيعة، منها التورّط في الزنا.

٣ ـ قلنا إنّ الغضّ هو كفّ مع خفض، ولمّا كانت الآيات قبلها مربوطة بما يتعلّق بالرجال والنساء: عقّبها بها، فيكون الغضّ في الرجال في قبال النساء، وفي النساء في قبال الرجال.

٤ ـ سبق أنّ البصر هو العلم بنظر العين أو القلب، وهو في الأصل صفة، فيراد منه العين الباصرة، وجمعه الأبصار.

فيكون المراد الإشارة إلى فريضة واجبة للرجال والنساء، أن يكفّوا أبصارهم ويخفضوا نظرهم في مقابل من يحرم عليهم.

٥ ـ قلنا إنّ غضّ البصر أوّل مرحلة يوجب التوفيق في سائر مراحل التعفّف والتحفّظ من الرجال والنساء، وهذا المعنى في المرتبة الأُولى ناظر إلى الوجه والكفّين، فإنّهما المقابِلة والمواجهة والمترائية في قبال كلّ ناظر ومتوجّه، وبها يُستكشَف الجمال وسائر الخصوصيّات الجالبة للإنسان، وبها تتحقّق المخاطبة والمؤانسة.

ولا أثر في الغضّ عن سائر الأعضاء، إذا كان الوجه والكفّان خارجة عن الحكم. ولا فائدة في التحجّب والتستّر بدونها.

٦ ـ وقد ذكر الغضّ في الآية بكلمة مِن: إشارة إلى أنّ الغضّ واجب في حدّ صدق التحفّظ من النظر، لا مطلقاً حتّى ينتهي إلى نهايته.

٧ ـ وأمّا الجزم في يَغضّوا ويَحفظوا بحذف النون: فالتحقيق أنّ الأمر أو النهي إذا أفادا معنى الشرطيّة والسببيّة، يجزم جَزاؤهما المسبَّب، والعامل هو ذلك الأمر أو

www.attaweel.com

النهي، فإنّ فيهما معنى الشرطيّة، وهذا ظاهر قول الخليل كما في شرح الكافية للرضي. وأمّا القول بتقدير حرف الشرط: ففي غاية الضعف والوهن.

* * *

غطش:

مقا ـ غطش: أصل واحد صحيح يدلّ على ظلمة وما أشبهها، من ذلك الأغطش، وهو الّذي في عينه شبه العَمَش، والمرأة غَطْشاء، وفلاة غَطْشَى: لا يُهتدىٰ لها. وغطَش الليل: أظلم، والله أغطَشه. والمتغاطِش: المتعامي عن الشيء.

صحا ـ غطش: أغطَشَ الله الليلَ أي أظلمه، وأغطَش الليلُ أيضاً بنفسه. والغَطَش في العين: شبه العَمَش، والرجل أغطش، وقد غَطِش.

لسا ـ الغَطَش: شبه العَمَش، غَطِش غَطَشاً، ورجل غَطِش وأغطَشُ، وامرأة غَطشى بيّنا الغَطَش. والغَطَش: الضعف في البصر كما ينظر ببعض بصره، ويقال هو الّذي لا يفتح عينيه في الشمس. والغُطاش: ظلمة الليل واختلاطه، ليل أغطشُ، وقد أغطشَ الليلُ بنفسه. وأغطشَه الله أي أظلَمه. وغطِشَ الليلُ، فهو غاطش أي مُظلِم. الفرّاء: في أغطَشَ لَيلَها ـ أي أظلم. الأصمعيّ: الغَطش: السَّدَف (إختلاط النور والظلمة)، يقال أتيته غَطْشاً، وقد أغطش الليل. وجعل أبو تراب الغَطْش مُعاقِباً للغَبَش (ظلمة آخر الليل). ومَفازة غَطشى: غَمّة المسالك لا يُهتدى فيها. وغطّش لي شيئاً حتّى اذكُرَ، أي أفتَح لي.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو عَمَه في ظلمة ما لا أعلام فيه، ويقابله النور

مع الاهتداء، وهو أعمّ من مادّيّ أو معنويّ.

فالمادّيّ: كما في الليل الأغطش، فإنّ الظلمة المحسوسة هي الّتي أوجبت عَمَهاً وحيرة وضلالاً. وكما في العين الغطشاء، حيث تكون العين ضعيفة ومختلطة في رؤيتها وفيها ظلمة ما.

والمعنويّ: كما في مفازة وسيعة لا أعلام فيها للاهتداء، والسالك فيها يَضلّ في سبيله ويتحيّر ويعمه في تشخيص نظره، ومن ذلك التعامي والتغافل عن الشيء والتغاطش.

ولا يخفى أنّ موادّ ـ الغطو، والغطس، والغضي، والغشي، والغسق، والغسم، والغبش، والغلس، والعنش: فيها تقارن واشتراك من جهة اللفظ والمعنى.

ءَأنتُم أشَدُّ خَلقاً أمِ السَّماءُ بَناها رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاها، وأغطَشَ لَيلَها وأخرَجَ ضُحاها والأَرضَ بَعدَ ذلِكَ دحاها ـ ٧٩ / ٢٩.

أي جعل الليل غُطاشاً وأغطشَ، كما يقال أنّها مفازة غطشى، أي فيها عَمَه لااهتداء فيها.

وأمّا التفسير بالإظلام: فغير صحيح، فإنّ الليل هو المحيط المُظلِم وهو متّصف بالظلمة، فلا يقال أظلَم الليلَ، كما لا يقال أضاء النهارَ، قال الله تعالى:

واللّيلِ إذا يَغشاها والنّهارِ إذا جلّاها، كأنَّما أُغشيت وجوهُهم قِطعاً مِنَ اللّيل مُظلِماً، والنَّهارَ مُبصِراً.

وأمّا تقديم الليل على الضُّحى في الآية الكريمة: فإنّ الليل مقدّم على النّهار والضُّحى، إذا لوحظا من جانب عالم المادّة والطبيعة ـ أم السَّماءُ بَناها. وأمّا إذا لوحظا من جهة التكوين المطلق: فإنّ عالم المادّة والظلمة والليل تكون متأخّرة عن الضُّحى والنور.

www.attaweel.com

ثمّ إنّ المراد من الليل في الآية: مطلق الليل الحادث في السماوات في أثر الحركات السماويّة والنجوم السيّارة، لا الليل الحـادث في الأرض، فإنّ الأرض قد ذكرت في الآية بعدها ـ والأَرضَ بَعدَ ذلِكَ دَحاها.

وفي الآية الكريمة تنبيه على أنّ الإنسان في بدء أمره وسيره يواجه عالم الحيرة والغفلة والعَمَه والظلمة، وهذا الترتيب محفوظ في عالم الطبيعة على حسب اقـتضاء نظمها وتقديرها. وله أن يطلب بخلوص النيّة وصفاء السريرة أن يهديه الله إلى النور والضحى من الحقّ.

* * *

غطى:

مقا ـ غطو: يدلّ على الغشاءِ والستر، يقال: غطيت الشيءَ وغطّيته، والغِطاء: ما تَغطّى به. وغطا الليلُ يَغطو: إذا غشّى بظلامه.

مصبا ـ غطوتُ الشيء أغطوه، وغطَيته أغطِيه، من باب علا ورمَى، والتثقيل مبالغة، وأغطيته أيضاً. والغِطاء: الستر، وهو ما يغطّى به، وجمعه أغطية، مأخوذ من قولهم غطا الليل.

مفر ـ الغطاء: ما يُجعل فوقَ الشيء من طبق ونحوه، كما أنّ الغشـاء ما يجعل فوق الشيء من لباس ونحوه، وقد استعير للجهالة.

التهـذيب ٨ / ١٦٦ ـ قال الليث: الغطاء: ما تغطّيت به أو غطّيتَ به شـيئاً، والجميع الأغطِية. وغطا الليلُ: إذا غَشا، وليلٌ غاطٍ وغاض: مُـظلِم. ويـقال غـطا عليهـم البلاء. عن أبي عبيدة: إذا امتلأ الرجل شباباً قيل غطا يَغطي غَطياً وغُـطيّاً. وفلان مَغطيّ القِناع إذا كان خامِلَ الذكر، وماءٌ غاطٍ: كثير.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو المواراة مطلقاً ولو من جانب، مادّياً أو معنويّاً ـ راجع الستر.

ولا يخفى أنّ المادّة تستعمل واويّاً من باب نصر، ويائيّاً من باب ضرب، وفي الأوّل بمناسبة الواو جهة ارتفاع واعتلاء في المواراة، وفي الثاني بمناسبة الياء جهة انخفاض ونفوذ. فرعاية هذه الجهة أولى.

وأمّا مفاهيم ـ الجهالة، والظلمة، والامتلاء، والكثرة، والخمول، وغيرها: فإذا لوحظت فيها جهة المواراة المطلقة: فمن مصاديق الأصل، وإلّا فمن باب التجوّز.

وعَرَضنا جهنَّم يومئذٍ للكافرينَ عَرْضاً الَّذينَ كانَت أعيُنُهم في غِطاء عَن ذِكري وكانوا لا يَستطيعونَ سَمْعاً ـ ١٨ / ١٠٢.

معنى الأعين هو البصائر والأعين الباطنيّة، وإذا أُريد منها الأعين الظاهريّة: تكون كناية عن الباطنيّة، والكناية استعمال اللفظ في المعنى الحقيقيّ.

والغطاء للبصائر: هو الهوى والتمايل والأمل وسائر الصفات الرذيلة الّتي تَغشى القلوب وتُظلمها وتحجبها.

ولا يخفى أنّ الذِّكر وهو مصدر: مبدأ السلوك إلى الله المتعال ومنشأ جميع الخيرات والبركات والسعادات، ومن كان غافلاً ومحروماً عن التوجّه والتذكّر إليه: فهو متوغّل في شهواته وتمايلاته النفسانيّة.

فإنّ الذكر يُقابل الغفلة: قال تعالى:

لَقَد كُنتَ في غفلةٍ مِن هذا فَكَشَفنا عَنكَ غِطاءَكَ فَبَصَرُكَ اليَومَ حَديد ـ ٥٠ / ٢٢.

www.attaweel.com

فيستفاد من الآية الكريمة أنّ البصر الطبيعي في نفسه إذا لم يكن مغطّىً محجوباً: نافذ وحديد.

والإنسان إذا فارق عنه بدنه وقواه البدنيّة الجسمانيّة الدنيويّة: تزول عنه تمايلاته النفسانيّة وشهواته الحيوانيّة الّتي صارت حجاباً لروحه وحائلاً لبصيرته وتعقّله، فيكون بصره خالصاً صافياً نافذاً، فيرى مالم يره في حياته الدنيويّة، ويشاهد حقيقة حاله ومآله.

فليتدبّر الإنسان في أنّ الغفلة عن التوجّه والتذكّر وفي العمل والسلوك إلى الله: علامة تكوُّن الغطاء والحجاب.

* * *

غفر:

مقا ـ غفر: عُظم بابه السَّتر، ثمّ يشِذّ عنه ما يذكر، فالغَفْر: الستر. والغفران والغَفر: بمعنى يقال غفر الله ذنبه غفراً ومَغفرة وغُفراناً. ويقال غَفِر الثوب: إذا ثار زئبرُه، وهو من الباب، لأنّ الزِّئبر يغطّي وجهَ الثوب. والمِغفَر: معروف. والغِفارة: خرقة يَضعُها المدهن على هامَته. ويقال الغَفير: الشَّعر السائل في القَفا.

مصبا ـ غفر الله غفراً من باب ضرب، وغُفراناً: صفح عنه، والمغفرة إسم منه، واستغفرت اللهَ: سألته المغفرة، واغتفرت للجاني ما صَنع. وأصل الغَفر الستر. ومنه يقال ـ الصَّبغ أغفر للوسخ والمِغفَر: ما يُلبس تحت البيضة. وغِفار: حيّ من العرب.

التهذيب ٨ / ١٠٦ ـ قلت: أصل الغَفر: الستر والتغطية، وغفَر الله ذنوبه: أي سترها ولم يفضحه بها على رؤوس الملأ، وكلّ شيء سترته فقد غفرته. ومنه قيل للّذي يكون تحت بيضة الحديد على الرأس مِغفر. وقال الأصمعيّ: غفر الرجل متاعه: إذا أوعاه. ويقال جاءوا جَمّاً غفيراً: جاءوا بجماعتهم. ويقال للرجل إذا قام من

www.attaweel.com

مرضه ثمّ نُكِس غَفَر. وعن الأمويّ: اغفروا هذا الأمر بغُفرته: أي أصلِحوه بما ينبغي أن يُصلَح به. وكلّ ثوب يغطّى به شيء: فهو غِفارة.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو محو الأثر، وتستعمل في الذنوب والمعاصي، ومفهوم المحو أعمّ.

وأمّا مفاهيم الستر والصفح والإصلاح وغيرها: فمن لوازم محو الأثر، فإنّه يوجب ستر الخطاء الواقع والصفح عنه والإصلاح.

قال تعالى:

وإن تَعْفوا وتَصْفَحوا وتَغْفِروا فإنَّ الله غَفورٌ رَحيم ـ ٦٤ / ١٤.

يُصلِح لَكُم أعمالَكُم ويَغفر لَكُم ذنوبَكُم ـ ٣٣ / ٧١.

فإنّ محو أثر العصيان والخطأ يلازم تحقّق الصفح وقصد الإصلاح.

وأمّا الستر: فلا يلازم محو أثر الخطأ والصفح عنه، فإنّ الستر لا يوجب محو أثره بل يدلّ على تثبيته تحت ساتر، ويكون الستر حينئذ قبل تحقّق الصفح والإصلاح والعفو، ولا يلازم توبة الله إليه وشمول رحمته ولطفه:

فاغفِر لَنا وارحَمْنا ـ ٧ / ١٥٥.

ربِّ اغفِر لي ولأخي وأدخِلنا في رَحْمتك ـ ٧ / ١٥١.

واستغفِره إنَّهُ كانَ تَوّاباً ـ ١١٠ / ٣.

ثمّ إنّ الغفران يُعقّب آثاراً على مقتضى مورده:

www.attaweel.com

فمنها الأجر الكبير:

والَّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالحاتِ لَهُم مَغفرة وأجرٌ كَبير ـ ٣٥ / ٧.

فإنّ آثار المعاصي هي الّتي تمنع عن ظهور آثار الأعمال الصالحة، فإذا انتفت بالمغفرة تظهر آثار الحسنات.

ومنها الرزق الكريم مادّياً ومعنويّاً:

فالَّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالحات لَهُم مَغفرة ورِزق كَريم ـ ٢٢ / ٥٠.

هذا أيضاً بسبب تحقّق ما يقتضي توجّه اللطف والفيض، بانتفاء الموانع.

وهكذا في:

بِما غَفَرَ لي ربّي وجَعَلني مِن المُكرَمين ـ ٣٦ / ٢٧.

ثُمَّ ازدادوا كُفراً لَم يكُنِ الله لِيغفرَ لَهُم ولا ليَهْديهم سَبيلاً ـ ٤ / ١٣٧.

وأن استغفِروا ربّكُم ثُمَّ توبوا إليه يُمتِّعكُم مَتاعاً حَسَناً ـ ١١ / ٣.

فإنّ الغفران يوجب رفع الموانع، فيتحصّل اقتضاء الإكرام والهداية وتوبة الله إليه.

ثمّ إنّ الغفران له أسباب ومقدّمات لابدّ من حصولها حتّى يتحصّل المغفرة من الله المتعال:

منها التوجّه إلى الذنب وإلى كونه خطأً وخلافاً، والندمُ عليه بالقلب: كما في:

ربِّ إنِّي ظَلَمتُ نَفسي فاغْفِر لي فَغَفَرَ لَه ـ ٢٨ / ١٦.

والَّذينَ إذا فَعَلوا فاحِشَةَ أو ظَلَموا أنفُسَهُم ذَكَروا اللهَ فاستَغفروا ـ ٣ / ١٣٥.

ومنها ـ تحصّل حالة الطاعة والإتّباع الكامل: كما في:

فاتَّبِعوني يُحبِبكُم الله ويَغفر لَكُم ذنوبكُم ـ ٣ / ٣١.

فاغفِر للَّذينَ تابوا واتَّبَعوا سَبيلَك ـ ٤٠ / ٧.

وقالوا سَمِعنا وأطَعْنا غُفرانَكَ ـ ٢ / ٢٨٥.

ومنها ـ حصول الإيمان القاطع بالله العزيز، فإنّه يمحو ما سَلف من الخطأ والذنب في حقوق الله المتعال: كما في:

إنّا آمنّا بربّنا ليَغفر لَنا خَطايانا ـ ٢٠ / ٧٣.

يا قَومَنا أجِيبوا داعيَ الله وآمِنوا به يَغفر لَكُم مِن ذنوبكُم ـ ٤٦ / ٣١.

وعَدَ اللهُ الَّذينَ آمَنوا وعَمِلوا الصّالحاتِ لَهُم مغفرَة ـ ٥ / ٩.

ومنها رفع حوائج المضطرّين من عباده: كما في:

إن تُقْرِضوا الله قَرضاً حَسَناً يُضاعِفهُ لَكُم ويَغفر لَكُم ـ ٦٤ / ١٧.

ومنها التوسّل إلى أولياء الله والزلفى لديهم ليستغفروا له ـ كما في:

فاستَغْفَروا الله واستغْفَرَ لَهُم الرَّسولُ لوَجَدوا الله توّاباً رَحيماً ـ ٤ / ٦٤.

وهكذا كلّ ما يوجب رفع الخلاف وحصول الوفاق والتسليم، وما دام لم تتحصّل هذه الحالة النورانيّة الخالصة: لا يمكن حصول الغفران.

ويقابل هذه الأُمور الموجبة للغفران: ما يُنفيه، وهو ما يكون له أثر باق في الدين أو في الجامعة، من بدعة مخترعة أو إضلال عن الحقّ أو ظلم فاحش منبسط أو قول فاسد مَهين في الله المتعال:

١ ـ إنَّ اللهَ لا يَغفر أن يُشْرَكَ بِه ويَغْفر ما دونَ ذلكَ لِمَن يَشاء ومَن يُشْرِك باللهِ فَقَد ضَلَّ ضَلالاً بَعيداً ـ ٤ / ١١٦.

لا تُشرِك بالله إنَّ الشِّرك لظُلم عَظيم ـ ٣١ / ١٣.

فإنّه ظلم في مقام عظمة الله تعالى وجلاله وليس فوقه ظلم. مضافاً إلى أنّه يخرج الإنسان عن مقام التوحيد وهو أصل الدين وأساس المعرفة ولبّ الحقّ والنور. فما دام هذا الانحراف في النّفس كيف يتصوّر له الصلاح والفلاح، وليس في وجوده اقتضاء أن يغفر من جانب من لا يُوحِّده.

والشرك كفر في الجملة، والكافر لا ربط بينه وبين الله تعالى حتى يتوقّع المغفرة، فهو لا يعرفه ولا يعتقد بوجوده:

وإنِّي كلَّما دعوتُهم لِتغْفِر لَهُم جَعَلوا أصابعَهُم في آذانهم ـ ٧١ / ٧.

٢ ـ الكفر بالله تعالى: فلا اقتضاء في هذا المورد للغفران بوجه، حيث إنّ الكافر لا يقول بوجوده ولا يعتقد به، بل ينكره ويخالفه. فيكون الغفران له موافقة ورضاً عنه وعن كفره.

نعم يمكن في الكفر والشرك ونظائرهما: وقوع المغفرة بالنسبة إلى سائر الأعمال والخطيئات من باب اللطف والرحمة والجود العامّ، أو في مقابل سائر الأعمال المستحسنة. وإلى هذا المعنى يشير بقوله:

ويَغفر ما دون ذلك لِمَن يشاء ـ الآية.

إن تستغفِر لَهُم سَبعينَ مَرَّةً فَلَن يَغفر الله لَهم ذلك بأنَّهم كَفَروا بالله ورَسوله ـ ٩ / ٨٠.

ثُمَّ آمَنوا ثُمَّ كَفَروا ثُمَّ ازدادُوا كُفراً لَم يكن اللهُ لِيغفر لَهم ولا لِيَهْديَهم سَبيلاً ـ ٤ / ١٣٧.

وهذا المعنى يشمل لما بعد الموت أيضاً، فإنّ الكافر منقطع في نفسه عن الله،

www.attaweel.com

ومحجوب عن فيضه ورحمته، وعدوٌّ لله ولرسوله، فلا اقتضاء فيه في طول حياته في الدنيا وفي الآخرة للغفران:

إنَّ الَّذينَ كَفَروا وصَدّوا عَن سَبيل الله ثُمَّ ماتوا وهُم كُفّار فَلَن يَغفر الله لَهُم ـ ٤٧ / ٣٤.

٣ ـ الافتراء على الله والابتداع في دين الله: وهذا أيضاً يعود إلى الكفر والشرك، فإنّ جعل الأحكام وتشريع الدين إنّما هو من الله، وليس لأحد أن يُبدع بدعة في دينه، والدين برنامج السير إلى الله المتعال.

فالمُبدع هو الّذي يجعل نفسه شريكاً في التشريع في قبال الربّ المتعال، ويفتري في دين الله، وهو الظالم في أمر الله:

ومَن أظلَمُ مِمَّن افتَرى عَلى اللهِ كَذِباً أو قالَ أُوحِيَ إليَّ ولَم يوحَ إلَيه شَيء ـ ٦ / ٩٣.

مضافاً إلى أنّه يُضلّ عباد الله ويُزيغ السالكين إليه عن صراطه الحقّ ويسدّهم عن السير:

فَمَن أظلَمُ مِمَّن افتَرى عَلى اللهِ كَذِباً لِيُضلّ النّاس بغيرِ عِلم ـ ٦ / ١٤٤.

٤ ـ الظلم وتضييع حقوق الناس مادام لم يُصلح: والإصلاح إمّا بفدية من أمواله أو أعماله الحسنة لذوي الحقوق، أو بترضية الله بالإحسان عليهم حتى يرضوا ويعفوا عمّن ظلمهم.

وهذا الإصلاح لازم فيه وفي نظائره أيضاً: من الظلم والتضييع والبدعة والإضلال وغيرها:

فَمَن تابَ مِن بَعد ظُلمه وأصلَح فإنَّ الله يَتوبُ عَلَيه إنَّ اللهَ غَفورٌ رَحيم ـ ٥ / ٣٩.

ولكلّ من هذه الأُمور النافية للغفران مراتب شدّة وضعفاً، وكلّما اشتدّت مرتبةً: اشتدّ انتفاءُ الصلاحيّة والاقتضاء فيها لتوجّه المغفرة والرحمة وشمولها.

وأمّا الغَفورُ والغَفّار والغافِر: فمن أسماء الله عزّ وجلّ، وتختلف خصوصيّات مفاهيمها باختلاف صيغها، فالغافِر يدلّ على من يقوم به المغفرة. والغَفّار فيه مبالغة وكثرة. والغَفور، فيه دلالة على ثبوت في الاتِّصاف بالمغفرة. وكلّ منها يستعمل في مورد يناسبه ويقتضيه ـ فراجع موارد استعمالاتها.

والمغفرة من الله تعالى بمقتضى صفته الرحمة، وكما أنّ رحمته سبقت غضبه: فمغفرته أيضاً سبقت أخذه ومجازاته.

وعلى هذا يذكر إسم الرحيم مقارناً للغفور في ٧٢ مورداً.

وقد يذكر أسماء ـ الحليم، الشكور، العفوّ، العزيز: مقارناً له على حسب ما يقتضيه المورد.

فظهر أنّ الغفران هو السابق الأصيل الثابت في الله المتعال ما دام الاقتضاء في المحلّ موجوداً، سواء كان مستحقّاً له أم لا، كما في تعلّق الرّحمة. إلّا إذا إنتفى الاقتضاء كما قلنا.

وهذا المعنى يشار إليه بقوله تعالى:

إن تُبدوا ما في أنفُسِكُم أو تُخْفوهُ يُحاسِبكُم بهِ الله فيغفرُ لِمَن يَشاء ويُعذِّب مَن يَشاء ـ ٢ / ٢٨٤.

فيغفر بحسب رحمته وحلمه وعفوه، ما دام لم ينتف اقتضاء المغفرة، وإذا انتفى الاقتضاء بل وُجد اقتضاء العذاب: فيُعذِّب.

وسبحانه وتعالى عن أن يُعذّب من دون جهة ملزمة صالحة، فإنّ مشيّته على

www.attaweel.com

مقتضى الحكمة والعدل والصلاح. راجع الشيء.

* * *

غفل :

مصبا ـ الغفلة: غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكّره له، وقد استعمل فيمن تركه إهمالاً وإعراضاً، يقال منه: غفلت عن الشيء غُفولاً من باب قعد، وله ثلاثة مصادر: غُفول، وهو أعمّها. وغَفلة، وغَفَل. وغفَلته تغفيلاً: صيّرته كذلك، فهو مُغفَل. وأغفلت الشيء إغفالاً: تركته إهمالاً من غير نسيان، وتغفّلت الرجلَ: ترقّبت غفلـتَه. وتغافل: أرى من نفسه ذلك وليس به. وأرض غُفل: لا عَلَم بها. ورجل غُفل: لم يُجرِّب الأُمور.

مقا ـ غفل: أصل صحيح يدلّ على ترك الشيء سهواً، وربّما كان عن عمد. من ذلك غفلتُ عن الشيء غفلة وغفولاً، وذلك إذا تركته ساهياً. وأغفلته إذا تركته على ذُكر منك له. ويقولون لكلّ ما لا مَعلم له: غُفل، كأنّه غُفِل عنه. فيقولون: أرض غُفل لا عَلَم بها وناقة غُفل: لا سِمَة عليها.

التهذيب ٨ / ١٣٦ ـ الليث: أغفلت الشيء: تركته غَفَلاً وأنت له ذاكِر. وغفل عن الشيء يغفل غفلة وغُفولاً، والتغافل: التعمّد. والمُغفَّل: من لا فِطنة ولا إرَبَ له. ودابّة غُفل: لا سِمَةَ عليها. ورجل غُفل: لا يُعرف له حَسَب. وعن الكسائيّ: أرض غُفل: لم تمطِر.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يُقابل التذكّر. وقلنا في السهو: إنّ السهو

غفلة عن عمل يقصده ولم يكن، سواء كان عن ذكر أم لا. والغفلة تكون عمّا يكون. كما أنّ النسيان يكون عمّا كان ذاكراً له.

وأمّا مفاهيم الترك وما لا عَلَم له أو لا حَسَب له وغيرها: فمن آثاره.

فالغفلة: عبارة عن انتفاء التذكّر. والإغفال: جعل شخص آخر غافلاً لا يتذكّر. والغُفل صفة كالصُّلب: ما يكون الغفلة ثابتاً فيه لا يتذكّر، أو لا يُتذكّر حتّى يكون لازماً. والتغافل: استمرار الغفلة.

يا وَيلَنا قَد كُنّا في غَفلة مِن هذا ـ ٢١ / ٩٧.

لَقَد كُنتَ في غفلَةٍ مِن هذا فَكَشَفْنا عَنكَ غِطاءَك ـ ٥٠ / ٢٢.

وَدَخَل المدينةَ عَلى حين غَفلة مِن أهلِها ـ ٢٨ / ١٥.

إقترَبَ للنّاس حِسابُهم وهُم في غَفلة ـ ٢١ / ١.

فالغفلة أوّل مانع وأعظم خطر للسالك عن سلوكه، وما دام التغافل موجوداً لا يوجد إمكان السير والعمل والتوفيق.

وكما أنّ الغفلة في الأُمور المادّيّة الدنيويّة توجب مواجهة خطر وابتلاء كذلك في الأُمور المعنويّة الروحانيّة:

وأخافُ أن يَأكُلَهُ الذِّئبُ وأنتُم عَنهُ غافِلون ـ ١٢ / ١٣.

ودَّ الَّذينَ كَفَروا لو تَغفلون عَن أسْلِحتكُم وأمْتِعتكُم فيَميلُونَ عَلَيكُم مَيْلةً واحِدة ـ ٤ / ١٠٢.

ذلك بأ نَّهُم كذَّبوا بآياتِنا وكانوا عَنها غافِلين ـ ٧ / ١٤٦.

والغفلة في أداء الوظائف الإلهيّة معفوّ عنها: إذا كانت عن قصور بلا تعمّد وتقصير وتنبّه:

ألم يأتِكُم رُسُل مِنكُم ... ذلكَ أن لم يَكُن ربّك مُـهلِكَ القُـرى بـظُلْمٍ وأهْـلُها غافِلُون ـ ٦ / ١٣١.

وأمّا الآثار الطبيعيّة والفوائد والعوائد الروحانيّة، كالترقّيات والكمالات المعنويّة: فهي متوقّفة على العمل والمجاهـدة والسّـير، وعلى هذا المبـنى يلزم من باب اللطف والرحمة وبسط الفيض: إرسال الرسل والهداية، كما قال تعالى:

لِتُنذِرَ قَوماً ما أُنذِرَ آباؤهم فَهُم غافِلون ـ ٣٦ / ٦.

سيُريكُم آياتِه فتَعرِفونَها وما ربّكَ بغافِلٍ عَمّا تَعملون ـ ٢٧ / ٩٣.

وأمّا الغفلة في الله تعالى: فغير ممكن، فإنّ الله تعالى محيط بجميع الأشياء عالم بها ولا نهاية لعلمه ولا حدّ له، وليس في نوره حدّ وقصور وعجز وضعف، فهو تعالى متوجّه ومتذكّر وعالم بجميع الأشياء والأعمال والحركات والنيّات:

لا تأخُذُهُ سِـنَة وَلا نَوم، يَعلَم ما بَينَ أيديهم وَما خَلفهم ـ ولَقَد خَلَقنا فوقَكُم سبعَ طرائقَ وما كُنّا عَن الخَلْق غافِلين ـ ٢٣ / ١٧.

ولكُلٍّ دَرَجات مِمّا عَمِلوا وما ربُّك بغافِلٍ عَمّا تَعملون ـ ٦ / ١٣٢.

ثمّ إنّ الله تعالى قد وصف وعرّف الغافلين بقوله:

ولَقَد ذَرَأنا لجَهَنَّم كَثيراً مِن الجنّ والإنس لَهُم قلوبٌ لا يَفقَهون بِها ولَهُم أعيُن لا يُبصِرون بِها ولَهُم آذانٌ لا يَسـمعونَ بِها اولئكَ كالأَنعام بَل هُم أضَلُّ أُولئِكَ هُـم الغافلون ـ ٧ / ١٧٩.

فالغفلة تحطّ مرتبة الإنسان إلى ما هو دون مرتبة الحيوان.

* * *

www.attaweel.com

غلب :

مصبا ـ غَلَبه غَلْباً من باب ضَرب، والإسم الغَلَب، والغَلَبة أيضاً، وبمضارع الخطاب سمّي، ومنه بنو تَغلِب.

مقا ـ غلب: أصل صحيح يدلّ على قوّة وقهر وشدّة. من ذلك غلب الرجلُ غَلباً وغَلَباً. والغِلاب: المغالَبة. والأغلب: الغليظ الرقبة، يقال غَلِب يغلَب غَلَباً. وهَضبة غَلباء، وعِزّة غَلباء. واغلَولبَ العُشب: بلغ كلّ مبلغ. والمُغلَّب من الشُّعراء: المغلوب مِراراً والمُغَلّب أيضاً: الّذي غلب خصمَه أو قِرنه.

الاشتقاق ٢٥ ـ غلَب يغلب غَلَباً، فهو غالب، ويقولون لمن الغَلَب، ومن قال الغَلْب فهو لحن. ويقال شاعر مغلَّب: إذا غلبه مَن هو دونه، كما غلبت ليلى الأخيليّةُ النابغةَ الجَعدي، فهو من المُغلّبين. ويقولون رجل أغلَب: بيّن الغَلَب، إذا غلظت عنقُه حتّى لا يُمكنه أن يلتفت، وبذلك سمّي الأسدُ أغلب. ويقال أخذته بالغُلُبَّى أي بالقهر. وقد سمّت العرب غالباً وغُلَيباً وأغلب.

صحا ـ مِن بَعدِ غَلَبِهم: هو من المصادر مفتوح العين مثل الطَّلَب، قال الفرّاء: يحتمل أن يكون غلَبَةً فحذفت الهاء عند الإضافة. وغالبه مغالبةً وغِلاباً. وغَلابِ مثل قَطامِ: إسم امرأة. وتغلَّب على بلد كذا: استولى عليه قهراً، وغلّبته أنا عليه تغليباً. والغِلاب: الكثير الغلبة. وحديقة غَلباء: مُلتفّة، وحدائق غُلب.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو التفوّق مع القدرة، أو تفوّق في قدرة. وأمّا القهر والاستيلاء والشدّة والغلظة وغيرها: فهي من لوازم الأصل.

www.attaweel.com

وأمّا الأغلب بمعنى الرقبة الغليظة كعنق الأسد: فإنّ غِلظة العنق وعدم لينتها وفقدان الضِّعة فيها، علامة التفوق والتكبّر والاقتدار.

وعِنباً وقَضباً وزَيتوناً ونخلاً وحَدائق غُلباً ـ ٨٠ / ٣٠.

الحَدْق بمعنى الاستدارة، أي المقامات المستديرة من الجنّات الملموسة، أو الروحانيّة والاستدارة أحسن الأشكال وأتمّها وأسدّها.

والأغلب من المقام: ما يكون متفوّقاً ومتعالياً وفيه قدرة وقوّة في ذاته يعلو على سائر المقامات ويتظاهر عليها.

والله غالبٌ عَلى أمره ولكنّ أكثرَ النّاسِ لا يَعلمون ـ ١٢ / ٢١.

يراد تفوّقه ذاتاً على جميع الموجودات وعلى ما يأمره ويُريده مع وجود القدرة، وهذا أعلى مرتبة التفوّق وأسنى مقام القدرة الروحانيّة.

كَم مِن فِئَةٍ قَليلة غَلَبَت فِئَةً كَثيرَة ـ ٢ / ٢٤٩.

وإن يَكُن مِنكُم عِشرون صابرون يَغلبوا مائتين ـ ٨ / ٦٥.

غُلِبَت الرُّومُ في أدنى الأَرض ـ ٣٠ / ٢.

إن ينصرْكُم اللهُ فَلا غالبَ لَكُم ـ ٣ / ١٦٠.

يراد التفوّق مع وجود قدرة.

كتبَ الله لأغلِبنَّ أنا ورُسُلي ـ ٥٨ / ٢١.

فإنّه تعالى المتفوِّق المطلق وله القدرة التامّة، يفعل ما يشاء بما يشاء على اقتضاء حكمته.

* * *

غلظ :

مصبا ـ غلُظ الشيءُ بالضمّ غِلَظاً وزان عِنَب: خلاف دَقّ، والإسم الغِلظة

بالكسر، وحكى في البارع التثليث عن ابن الأعرابيّ، وهو غليظ، والجمع أغلاظ. وعذاب غليظ: شديد الألم. ورجل غليظ وغلُظ الرجلُ: إشتدّ، وفيه غِلظة من غير لين ولا سلس. وأغلظ له في القول إغلاظاً: عنّفه. وغلّظت عليه في اليمين تـغليظاً: شدّدت عليه وأكّدت. وغلّظت اليمين تغليظاً أيضاً: قوّيتها وأكّدتها. واستغلظ الزرع: اشتدّ.

التهذيب ٨ / ٨٤ ـ قال الليث: الغِلَظ مصدر قولك غلُظ الشيءُ يغلُظ غِلَظاً في الخِـلقة، واسـتغلظ النّبات والشّجرُ. وأغلظتُ الثـوبَ وغيرَه: إذا وجـدته غـليظاً. واسـتغلظتُ الثوبَ: إذا تركتَ شِراءَه لغِلَظـه. وتغليظ اليمـين: تشديدها وتوكيدها. ورجل غليظ: فَظّ ذو غُلظة وغِلظة وغَلظة ثلاث لغات. وأرض غليظة: إذا كان فيها وُعوثَة (تعسّر السلوك) وكانت ذات حَصى مُحدّد.

لسا ـ الغِلَظ: ضدّ الرِّقّة في الخلق والطبع والفعل والمنطق والعيش ونحو ذلك. غلُظ: صار غليظاً. واستغلظ مثلُه، وهو غليظ وغُلاظ، والأُنثى غليظة، وجمعها غِلاظ. وأمر غليظ: شديد صعب، وعهد غليظ: كذلك. وبينهما غِلظة ومغالَظة أي عداوة.

مفر ـ الغِلظة: ضدّ الرقّة. ويقال غِلظة وغُلظة، وأصله أن يستعمل في الأجسام لكن قد يستعار للمعاني كالكبير والكثير.

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يقابل الرقّة، وسبق في الرحم، الفرق بينها وبين الرحمة والرأفة والعطوفة والرفق واللطف، فراجعه. قال في الفـروق: انّ الرقّـة والغلظة تكونان في القلب وغيره خلقة. والرحم فعلُ الراحم. والناس يقولون: رقّ عليه فرحمه.

www.attaweel.com

ولا يخفى أنّ هذا المعنى إنّما يصحّ إذا يلاحظان في مقام الاتّصاف بهما في القلب، مع أنّ معناهما أعمّ، ويستعملان في الأجسام الخارجيّة وفي الصفات الباطنيّة وفي الأُمور المعنويّة وفي الأفعال والجريانات الجارية.

ففي الموضوعات الخارجيّة: كما في:

كَزَرعٍ أخرَجَ شَطأَهُ فآزَرَهُ فاستَغلَظَ فاستَوَى عَلى سُوقه ـ ٤٨ / ٢٩.

يراد الغلظة والاستحكام في الشّطأ والفرع.

وفي الموضوعات الروحانيّة: كما في:

ولو كُنتَ فَظّاً غَليظَ القَلب لانفَضّوا مِن حَولك ـ ٣ / ١٥٩.

يراد الغِلَظ في القلب في قبال الرقّة، في مقابل الأُمور الحادثة والجريانات الواقعة والمشاهدات الخارجيّة.

وفي الصفات والأخلاق: كما في:

يا أيُّها النّبيُّ جاهِد الكُفّارَ والمُنافقين واغلُظ عَلَيهم ـ ٩ / ٧٣.

يراد الغِلظ في قبال التظاهر بصفات الرقّة واللينة والمحبّة والعطوفة، ومن آثاره الغِلَظ في الأعمال.

وفي الأعمال: كما في:

قاتِلوا الَّذينَ يَلونكُم مِن الكُفّارِ وليَجدوا فيكُم غِلظةً ـ ٩ / ١٢٣.

يراد الغِلَظ في المقاتلة والمقابلة والعمل.

وفي التعهّد والالتزام: كما في:

وأخَذنا مِنهُم ميثاقاً غَليظاً ـ ٤ / ١٥٤.

www.attaweel.com

يراد التعهّد والالتزام بإطاعة الأمر والتسليم.

وفي الأجسام اللطيفة: كما في:

عَلَيها ملائكةٌ غِلاظٌ شِداد ـ ٦٦ / ٦.

وفيما يرتبط بالأُمور الأُخرويّة: كما في:

وَمِن ورائه عَذابٌ غَليظٌ ـ ١٤ / ١٧.

فظهر أنّ الغِلظة تقابل الرقّة ولها مصاديق حقيقيّة في أنواع من الجواهر والأعراض. وأمّا مفاهيم ـ الشِّدّة والتأكيد والتقوية والصُّعوبة وغيرها: إنّما هي من آثار الأصل.

ويدلّ على هذا ذكر الشدّة بعده كما في ـ مَلائكَةٌ غِلاظٌ شِداد.

ولا يخفى أنّ الغلظة فيهم من جهة أنفسهم وذواتهم خلقة بنسبة عالمهم، لا من جهة الصفات والأخلاق وخصوصيّات المعاشرة والمباشرة، وإلّا فاللّازم التعبير بجملة ـ غِلاظ الأخلاق وأمثالها، وهذا أوفق بمحيط العذاب، وإن كان إرادة الإطلاق أيضاً ممّا لا مانع منه. ومثلها قوله تعالى ـ فَظّاً غَليظَ القَلبِ ـ فإنّ ظاهرها نفس القلب، وإن كان التعبير بالشرطيّة يُعطي كون الغلظة في الخُلق والعمل، حيث إنّ الشرط يدلّ على الاختيار، إلّا أن يكون للماضي والبحث عن الملائكة سيجيء في ـ الملك ـ إن شاء الله تعالى.

فحقيقة الرقّة أمر كلّيّ واحد، كما أنّ الغِلظة أيضاً كذلك، وتختلف خصوصيّاتها باختلاف الموارد وبحسبها. ومن آثار الغِلظة: البُغض والعُدوان والخلاف والقول السيّئ والضرب والقتل والهَجر وأمثالُها، على اقتضاءِ الموارد.

* * *

غلف :

مصبا ـ غِلاف السِّكِّين ونحوه، وجمعه غُلف مثل كتاب وكُتب. وأغلفت السِّكِّين إغلافاً: جعلت له غِلافاً، أو جعلته في الغِلاف، وغلَفته غَلفاً من باب ضرب: لغة في جعله في الغلاف، ومنه قيل: قلبٌ أغلفُ: لا يَعي لعدم فهمه، كأنّه حُجِب عن الفهم كما يُحجَب السِّكِّين ونحوُه بالغِلاف. وغلَف لحيته بالغالية: ضخمها، وقال ابن دُريد: غلَفها من كلام العامّة، والصواب غلّلها وغلّاها تغليةً أيضاً. والغُلفة: هي الغُرلة والقُلفة. وغلِف غَلَفاً من باب تعِب: إذا لم يُختَن، فهو أغلفُ، والأُنثى غَلفاء، والجمع غُلف.

مقا ـ غلف: كلمة واحدة صحيحة تدلّ على غِشاوة وغِشيان شيء لشيء. يقال: غِلاف السَّيف والسِّكِّين. وقلب أغلفُ، كأنّما أُغشي غلافاً فهو لا يَعي شيئاً. وقالوا قلوبنا غُلف، أي أُغشيت شيئاً فهي لا تَعي، وقُرِئت ـ غُلُفٌ ـ أي أوعية للعلم، والقياس في ذلك كلّه واحد. ويقولون تغلّف بالغالية، وليس ببعيد ممّا ذكرناه.

التهذيب ٨ / ١٣٥ ـ قال الليث: الغِلاف: الصَّوّان، وقلبٌ أغلفُ. ويقال: غَلفتُ القارورةَ وأغلَفتها في الغِلاف، وغلّفتُ السرج والرحلَ. ويقال تغلّف الرجل واغتلَف. والأقلَف يقال له الأغلَف، وهي الغُلفة والقُلفة. وقال بعضهم: تغلّف بالغالية إذا كان ظاهراً. فإذا كان داخلاً في أصول الشَّعر قيل تغلّل. وعن أبي طالب في قوله ـ قلوبُنا غُلْف ـ فمن قرأ غُلُف فهو جمع غِلاف، أي قلوبنا أوعية للعلم، كما أنّ الغِلاف وعاء لما يُوعَى فيه. وإذا سكّنت اللّام كان جمع أغلف، وهو الّذي لا يَعي شيئاً.

❊ ❊ ❊

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الدلالة على وجود ما يَحوي شيئاً مخصوصاً به

في ذلك المورد.

ومن مصاديقه الغِلاف للسَّيف والسِّكّين والسَّرج والحشفة وغيرها.

والغِلاف أغلظ من الحجاب وأخصّ من جهة الاختصاص بالمحويّ. والقِلف: مخصوص بما يكون جزءاً ومتّصلاً بالشيء كالجلد من الشجرِ.

فَفَريقاً كذَّبتُم وفَريقاً تَقتلون وقالوا قلوبُنـا غُلْف بَل لَعَنَهُم الله بكُفرهم فَقَليلاً ما يؤمنون ـ ٢ / ٨٨ .

وكفرِهم بآياتِ الله وقتلِهم الأنبياءَ بغير حقّ وقولهم قلوبنا غُلْف بَل طبعَ الله عَلَيها بكُفرهم ـ ٤ / ١٥٤.

الغُلف جمع الأغلـف كأحمر وحُمْر، ما يتّصف بصفة كونه ذا غِلاف، كالأصمّ والأعمى، أي من يكون ذا عَمَى وصَمَم.

وأمّا قراءة الغُلُف جمع الغِلاف: فغير مناسب، فإنّ كون القلب غلافاً لا معنى له، والغِلاف المطلق لا يدلّ على أنّ محتواه علم أو مرض أو غيرهما. وأيضاً ـ هذا المعنى لا يناسب اعتذارهم في نفي الإيمان، فإنّ القلوب إذا كانت أوعية للعلوم: ينبغي لها أن تدرك الحقّ وتصدّق الحقيقة.

فمرادهم الاعتذار بأنّهم لا يستطيعون أن يُدركوا حتّى يؤمنوا، كأنّ في قلوبهم الحُجُب وعليها غُلُف لا يشاهدون الآيات الإسلاميّة.

ولا يبعد أن يكون المراد: أنّهم يَدّعون كون قلوبهم غُلفاً كنايةً عن التكذيب والمخالفة، وأنّهم لا يشـاهدون الآيات، تعمّـداً وإعراضاً عنها، فكأنّهـم يجـعلون في قلوبهم الغُلف والقُلُف عدواناً وكفراً. وهذا المعنى هو المناسب بقوله تعالى ـ بَل لَعَنهم الله، بل طَبع الله عَلَيها ـ إشارة على أنّ مبدأ هذا الكفر ودعوى الغُلُف في قـلوبهم:

www.attaweel.com

ليس اعراضهم اختيار أو بالتعمّد منهم على ما يدّعون، بل من جهة الطبع واللعن.

ختَمَ اللهُ عَلى قلوبِهم وعَلى سَمْعِهم وعَلى أبصارِهم غِشاوة.

وأيضاً إنّ المعنى الأوّل وهو كون قلوبهم غُلفاً ذا غِلاف، مرجعه إلى وجود قصور في مقام الإدراك والإيمان، وهذا لا يناسب القَدح والذمّ عليهم، وذكر هذا المعنى في رديف قوله تعالى:

فَفَريقاً كذّبتُم وفَريقاً تَقتلون، وكفرِهم وقتلِهم الأنبياء.

* * *

غلق:

مصبا ـ غلِق غَلَقاً الرهنُ من باب تعِب: استحقّه المرتهِن فترك فَكاكَه. وفي البارع: هو أن يَرهنَ الرجلُ متاعاً ويقولَ إن لم أفكّ في وقت كذا فالرهنُ لك بالدَّين، فنهى عنه بقوله لا يُغلَق الرهن، أي لا يَملكه صاحبُ الدَّين بدَينه بل هو لصاحبه. ورجل مِغلاق إذا كان الرَّهن يُغلَق على يديه. وغلِقَ الرجلُ غَلَقاً مثل ضجِر وغضِب وزناً ومعنى. ويمين الغَلَق أي يمين الغضَب. وغَلَقُ البابِ جمعُه أغلاق. والمِغلاق مثل الغَلَق والجمع مَغاليق، والمِغلق لغة فيه. وأغلقتُ البابَ: أوثقته بالغَلَق، وغلّقته مبالغة وتكثير. والغَلْق ضدّ الفتح. وغلَقته غَلْقاً من باب ضرب: لغة قليلة.

مقا ـ غلق: أصل واحد صحيح يدلّ على نُشوب شيء في شيء. من ذلك الغَلَق، يقال منه: أغلقتُ الباب فهو مُغلَق. وغَلِقَ الرهنُ في يد مرتَهِنه إذا لم يَفتكّه. وكلّ شيء لم يُتخلّص فقد غَلِق. ويقال: غَلِق ظَهرُ البعير فلا يبرأ من الدَّبَر.

صحا ـ أغلقت البابَ فهو مُغلَق، والإسم الغَلْق وهذا من غلقتُ البابَ، وهي لغة رديّة متروكة. ولا أقول لِقدر القوم قد غليَتْ، ولا أقول لباب الدار مَغلوق.

www.attaweel.com

وغلَّقَت الأبوابَ: شـدّد للكثرة. وباب غُلُق أي مُغلَق وهو فُعُل بمعنى مفعـول مثل قارورة فُتُح.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يقابل الفتح. وهذا المعنى تختلف خصوصيّاته باختلاف الموضـوعات من بابٍ ورَهنٍ وداء وغـيره. كما أنّ الفـتح أيـضاً تخـتلف خصوصيّاته بحسب متعلَّقه، كالفتح في باب أو قلب أو مَنبع ماء أو سرّ أو بـيع أو مشكل أو رزق أو قارورة أو غيرها. فيعبّر عن معانيها بالشرح والفجر والكشـف والتسهيل والتوسعة والرّفع وغيرها.

والغَلق آخر مرتبة من الردم والسدّ والحجر والدفع والحجب والمنع، وليس فيه رجاء نفوذ وارتباط وعبور بوجه إلّا أنّ يُفتَح الغَلَق.

وراوَدَتْه الَّتي هوَ في بَيتها عَن نَفسِه وغلّقتِ الأبوابَ وقالَت هيتَ لَك قالَ مَعاذَ الله ـ ١٢ / ٢٣.

الرَوْد: الطلب والاختـيار، والمراودة: استمرار في الطلب، وراوَده عن نفسـه وعلى نفسه: إذا طلب منه نفسه. وهاتِ وهيتَ بمعنى آتِ وهلُمَّ، من أسماء الأفعال أو مشتقّ من الإيتاء ـ راجعه.

عبّر بالتغليق لدلالة المادّة والهيـئة على الشدّة وآخر مرتبـة من السـدّ بحيث لا يمكن له الخروج والفرار من سلطتها.

وهنا يظهر مقام عفّته وعصمته: إذا كانت الموانع مرتفعة والمقتضيات بـتمامها موجودة، مع وجود الاهتمام الطبيعي والتمايل البشري، إلّا أنّ التوجّه إلى الله تـعالى وإلى عبوديّته: أوجب العصمة والصيانة عن الفحشاء والظلم.

www.attaweel.com

واستدلّ في تحفّظه ببرهان وجدانيّ ضروريّ، وهو لزوم الاجتناب عن الظلم على صاحب البيت وهو زوج زليخا وسيّد يوسف، الّذي بيده أحسن الله تعالى مثواه، والله عزّ وجلّ لا يَهدي الظالمين ـ إنَّهُ رَبّي أحسَنَ مَثواي إنَّهُ لا يُفلح الظّالمون.

وفي التعبير لطف آخر: حيث تنطبق الجملة على الله تعالى وهو الربّ الحقيقيّ، وعلى الزوج أيضاً وهو المربّي الظاهريّ وله حقّ التربية.

❊ ❊ ❊

غلّ:

مصبا ـ الغِلّ: بالكسر الحقد. وبالضمّ طوق من حديد يجعل في العنق، والجمع أغلال. والغَلَّة: كلّ شيء يحصل من رَيع الأرض أو أُجرتها ونحو ذلك، والجمع غَلّات وغِلال. وأغلّت الضَّيعةُ: صارت ذات غَلّة. وغلَّ غُلولاً من باب قعَد، وأغلَّ: خان في المَغْنم وغيره. وقال ابن السكّيت: لم نسمع في المَغنم إلّا غلّ ثلاثيّاً، وهو متعدّ في الأصل، لكن أُميتَ مفعوله فلم يُنطَق به.

مقا ـ غلّ: أصل صحيح يدلّ على تخلّل شيء وثَبات شيء، كالشيء يُغرَز. من ذلك قول العرب: غللتُ الشيءَ في الشيء إذا أثبتَّه فيه، كأنّه غرزتَه. والغُلّة والغَليل: العطش، وقيل ذلك لأنّه كالشيء يَنغلّ في الجوف بحرارة، يقال بعير غَلّانُ أي ظمآنُ. والغَلَل: الماء الجاري بين الشجر. ومنه الغُلول في الغُنم، وهو أن يخفَى الشيء فلا يُردّ إلى القَسم، كأنّ صاحبه قد غلّه بين ثيابه. ومن الباب الغِلّ وهو الضِّغن يَنغلّ في الصدر. فأمّا قول النبيّ (ص) ـ لا إغلال ولا إسلال ـ فالإغلال الخيانة، والقياس فيه واضح. ومن الباب: الغُلّان: الأودية الغامضة، واحدها غالّ، وذلك أنّ سالكها ينغلّ فيها. والغِلالة: شِعار يُلبس تحت الثوب، وبِطانة تُلبس تحت الدِّرع. ومن الباب الغُلّة، وهو القِدام يكون على رأس الإبريق، والجمع غُلَل.

مفر ـ غلّ: الغَلَل أصله تدرّع الشيء وتوسّطه. ومنه الغَلَل للماء الجاري بين الشجر، وقد يقال له الغيل، وانغلّ فيما بين الشجر: دخل فيه، فالغُلّ مختصّ بما يقيّد به فيَجعل الأعضاء وسطه. وغُلّ فلان: قُيِّد به. وقيل للبخيل هو مَغلول اليد. والغُلول: تدرّع الخيانة. والغِلّ: العداوة. والغَليل: ما يتدرّعه الإنسان في داخله من العطش.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو إدخال شيء في شيء يوجب تغيّراً وتحوّلاً، ومن مصاديقه الغِلّ وهو ما يدخل في القلب ويوجب تحوّله من الصفاء والخلوص إلى خلط وانكدار، كالعداوة والبغض والضِّغن والحِقد والحَسد والخيانة وغيرها. والغَلَل وهو ما يجري بجريان خفيف ضعيف بين الشجر أو بين الأرض أو من بطن الوادي، نافذاً يوجب طراوة فيها وتحوّلاً. والغُلّة والغَلَل والغُلّ عبارة عن شدّة عطش مع حرارة تجري في البدن وتوجب خروجه عن حالة الاعتدال. والغُلّ هو القيد يجعل في رقبة أو يد أو فيهما كأنّه يُدخَل في الأعضاء بسبب شدّ وقبض فيها يمنعها عن البسط والحركة ويوجب تغيير حالة فيها. والغَلّة عبارة عن دخل أو محصول يتحصّل من دار أو ضيعة، وهي فائدة حاصلة من ملك مستخرجة منها مع بقاء الأصل، فكأنّها داخلة وجارية في بطونها. والغِلالة ثوب يدخل ويُلبَس تحت الثياب.

وما كانَ لنبيّ أن يَغلّ ومَن يَغلُل يأتِ بِما غَلَّ يَومَ القيامَة ثُمَّ تُوَفّى كُلّ نَفسٍ بِما كَسَبَتْ وهُم لا يُظلمون ـ ٣ / ١٦١.

ونَزَعنا ما في صُدورِهم مِن غِلّ إخواناً عَلى سُرُر مُتقابِلين ـ ١٥ / ٤٧.

وهو ما يكون داخلاً في قلوبهم خلاف الخلوص وما في زوايا صدورهم من أخلاط ضعيفة توجب انكداراً.

www.attaweel.com

والتعبير بالصـدور إشارة إلى أنّها ليست متمكّـنة في بـاطن قـلوبهم بـل في ظاهرها، من الكدورات الدنيويّة والعلائق الجسمانيّة والصفات الّتي توجب انكداراً، أو من الأفكار والاعتقادات الجزئيّـة المتخالفـة الّتي قد أوجبت اختـلافاً فيما بينهم بحسب اختلاف مراتبهم في المعارف الإلهيّة ـ فَلم يَلُم أحدٌ أحداً، ووَجَدوا الله عنده.

والغَلَل في النفس كباقي الصفات النفسانيّة يَبقى فيها وتبُعَث عليها. والغَلَل في العمل كالخيانة والغشّ والخديعة وغيرها ـ لا يُغادِرُ صَغيرَةً وَلا كَبيرَةً.

والنبيّ المبعوث من جانب الله تعالى: لازم أن يكون على عصمة تامة وخلوص كامل وصفاء مطلق، حتّى يصحّ ارجاع الناس إليه:

أطيعوا اللهَ وأطيعوا الرَّسول.

ولا تَجعَل في قلوبنا غِلّاً للّذينَ آمَنوا ربَّنا إنَّكَ رَؤوفٌ رَحيم ـ ٥٩ / ١٠.

نزع الغِلّ عن صدور أهل الجنّة في الآخرة يدلّ على لزوم نزعه في الدنيا ليصير المؤمنـون إخواناً على قلوب خالصـة صافية منوّرة، فإنّ الآخرة فيها يتجلّى ويظهر ما كان في الدنيا متحقّقاً ظاهراً أو باطناً. ومَن يَغلُل يأت بما غلَّ يوم القيامة.

ولا تَجعَل يَدَك مَغلولَة إلى عُنُقك ولا تَبسطها كُلّ البَسْط ـ ١٧ / ٢٩.

وقالَت اليَهودُ يدُ الله مَغلولة غُلَّتْ أيديهم ولُعِنوا بِما قالوا بَل يَداه مَبسوطَتانِ يُنفقُ كَيفَ يَشاء ـ ٥ / ٦٤.

خُذوه فغُلّوه ثُمَّ الجَحيمَ صَلّوه ـ ٦٩ / ٣٠.

تدلّ الآيات على أنّ الغَلّ ضدّ البَسط، فإنّ الغَلّ إدخال شيء في شيء آخـر بحيث يكون بينهما تقـيّد وتغلّل. ومَغلوليّـة اليد إمّا ظاهريّ إذا غُلّت بغُل ظـاهريّ وقيّدت به. وإمّا باطنيّ ومن جهة المعنى إذا غلّت بغُلّ الإمساك والبخل وبقيد الأفكار

الخياليّة والوهميّة الشـيطانيّة. واليد إذا لم تكن مغلولة بغُلّ ظاهريّ أو باطنيّ: فـهي مبسوطة.

وأمّا المغلوليّة إلى العنق: فإنّ اليد المغلولة والمنكسرة تُعلَّق بالعُنق، وحـينئذٍ تكون محدودة مغلولة منقبضة، وعلى هذا عبّر بقوله إلى عُنُقك، ولم يعبّر بقوله ـ في عُنقك، فإنّ اليد غير مغلولة في العنق.

وأيضاً ـ إنّ العنق يعبّر به عن النفس كناية، كما في:

فظلَّتْ أعناقُهم لها خاضعين.

فيشار إلى النهي عن قبض اليد بمنظور التوجّه إلى حفظ جانب النفس فقط.

وأمّا مغلوليّة يد الله عزّ وجلّ: فإنّها توجب وتكشف عن محدوديّة في قدرته وإرادته، وهذه تكشف عن محدوديّة في ذاته ونوره، سبحانه وتعالى عن ذلك، وهو نور غير محدود وغير متناه في ذاته وصفاته ـ لُعِنوا بما قالوا.

وأمّا قوله ـ فغُلّـوه: أي فأدخِلوا الغُلّ فيـه واجعلوه مَغلـولاً بالتعلّق بالمال والعنوان، كما اعترف به بقوله ـ ما أغنى عنّي ماليَهْ هَلَك عنّي سُلطانِيَه خُذُوه فغُلّوه ـ إشارة إلى أنّ المال والسلطان والتعلّق بهما لم تَهلك بل صورها البرزخيّة هي السلسلة الّتي ذرعها سبعون ذِراعاً.

وجَعَلنا الأغلالَ في أعناقِ الَّذينَ كَفَروا ـ ٣٤ / ٣٣.

إنّا اعتَدْنا للكافرينَ سَلاسِل وأغلالاً وسَعيراً ـ ٧٦ / ٤.

إذ الأغلال في أعْناقهم والسَّلاسلُ يُسْحَبون ـ ٤٠ / ٧١.

سبق في السلسلة: أنّها ما تكون فيها استطالة في اتّصال أجزاء. ويراد منها: سلاسل التمايلات والشهوات النفسانيّة الدنيويّة المتسلسلة المتجسِّمة بصورة السَّلاسل،

ومنها تتحصّل الأغلال وهي التقـيّدات والحدود والتعلّقات المادّيـة، ومنها تتحصّل السعير.

فالسلاسل بها يُجرّ إلى جانب لا يُتمايل إليـه. والسَّحب هـو الجـرّ. وقـوله ـ يُسْحَبون خبر عَن المبتدأ، أي يُسحَبون بها الكافرون.

فالسلاسل والأغلال: هي الّتي كسبت أيديهم وتحصّلت بها، ولازم من جانب الله تعالى أن يوصِلَ ويُلحِق كلّ شيء إلى صاحبه، وهذا معنى الاعتاد (أعتدنا)، أي الإنفاذ وإجراء ما يُراد ويَلزم على شخص.

وأمّا الأعـناق: قلنا إنّ العنق مظهر الشخصيّة، وفيه يظهر الخضوع والتواضع والاستكبار، والارتفاع والانخفاض، والموت والحياة.

* * *

غلم:

مقا ـ غلم: أصل صحيح يدلّ على حَداثة وهَيج شهوة من ذلك الغُلام وهو الطارّ الشارب الّذي ظهر شاربه ولعلّ الصحيح الشابّ كما في التهـذيب، وهو بـيّن الغُلوميّة والغُلومَة، والجمع غِلمة وغِلمان. ومن بابـه اغتلم الفحل غُلمـة: هاج من شهوة الضِّراب، والغَليم: الجارية الحَدثة، الشابّ، ذَكَر السَّلاحِف.

مصبا ـ الغلام: الإبن الصغير، وجمع القلّة غِلمة، وجمع الكثرة غِلمان، ويطلق الغلام على الرجل مجازاً بإسم ما كان عليـه، كما يقال للصغير شـيخ مجـازاً بإسم ما يَؤول إليه. والغُلمة: شدّة الشهوة. وغَلِم غَلَماً من باب تعب، إذا اشتدّ شبقه، واغتلم البعير إذا هاج من شدّة شهوة الضِّراب.

التهذيب ٨ / ١٤٠ ـ قال الليث: غَلِم يغلَم غَلَماً وغُلمةً واغتَلم اغتلاماً، وهو

www.attaweel.com

المغلوب شهوةً. والمِغليم: سواء فيه الذكر والأُنثى. وقال شمر: يقال غلام غِلّيم وجارية غِلّيم. وقال الليث: الغلام الطارّ الشابّ، وجاء في الشعر غلامة للجارية. وفي حديث عليّ (ع) ـ تَجهَّزوا لِقِتال المارِقين المغتلِمين ـ قال الكسائيّ: الاغتلام أن يُجاوِز الإنسان حدَّ ما أُمر به من الخير والمباح.

لسا ـ الغُلمة: شهوة الضِّراب. غَلِم الرجلُ وغيرُه يَغلَم غَلْماً واغتلَم اغتلاماً: إذا هاج، وكذلك الجارية، والغِلّيم: الشديد الغُلمة، ورجل غَلِم وغِلّيم ومِغليم. والأُنثى غَلِمة ومِغليمة ومِغليم وغِلّيمة وغِلّيم. والاغتلام: مجاوَزة الحدّ. وفي نسخة المحكم: والاغتلام: مجاوزة الإنسان حدَّ ما أُمر به من خير أو شرّ، وهو من هذا، لأنّ الاغتلام في الشهوة مجاوَزة القدر فيها.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الخروج عن الاعتدال في مطلق الاشتهاء، وهذا المعنى يتجلّى في الطفل أن يبلغ الحُلم والعقل وبعدها في الشهوة الخاصّة الجنسيّة.

وأمّا التجاوز عن حدّ ما أُمر به أو القدر المعتدل: فلابدّ من تقييده بالاشتهاءِ وفي المشتهيات النفسانيّة، لا مطلق التجاوز.

والظاهر أنّ كلمة الغُلام في الأصل صفة على وزان الشُّجاع، أي من يتّصف ويتجلّى فيه مطلق الشهوة في لهو ولعب وبطن وكلام وغيرها، والطفل ما لم يبلغ: مصداق أتمّ لهذا المعنى، حيث إنّه يعيش بمطلق الشهوة في أيّ جهة.

وقد أُطلق في القرآن المجيد على المولود الجديد، كما في:

يا زَكَريّا إنّا نُبشِّرُكَ بِغُلامٍ اسمُهُ يَحْيىٰ ... قالَ رَبِّ أنّى يكونُ لي غُلامٌ وكانَتِ امرأتي عاقِراً ... قالَت أنّى يَكونُ لي غُلامٌ ولَم يَمْسَسْني بَشَر ـ ١٩ / ٧ ـ ٢٠.

وقد أطلق على طفل غير بالغ، كما في:

فأدلى دلوَه قالَ يا بُشرى هذا غُلام ـ ١٢ / ١٩.

وأمّا الجِدارُ فَكانَ لِغُلامَيْنِ يَتيمين ـ ١٨ / ٨٢ .

فهذه الكلمة صارت مستعملة في خصوص الطفل غير البالغ، بالغلبة.

ولمّا كان لفظ الغلام بحسب مادّته مشعراً بالاشتهاء المطلق، وهذا المعنى لم يكن مناسباً في مقام البشارة الإلهيّة به: وصفه في مقام يقتضي التوصيف والتعريف بقوله:

فبَشَّرناه بِغُلام حَليم ـ ٣٧ / ١٠١.

لا تَوْجل إنّا نُبشِّرُك بِغُلام عَليم ـ ١٥ / ٥٣.

قالوا لا تَخَفْ وبَشَّروه بِغُلام عَليم ـ ٥١ / ٢٨.

لِأهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً ـ ١٩ / ١٩.

بِغُلام اسْمُهُ يَحيى ـ ١٩ / ٧.

فإنّ الشهوة تكون معتدلة إذا وقعت تحت نفوذ العلم، وكذلك إذا تحقّق الحلم: فإنّه حصول انضباط وطمأنينة في الإحساسات. والتزكية تنحية ما ليس بحقّ وإخراجه. والحياة تشمل الحياة الروحانيّة أيضاً.

والَّذينَ آمَنوا واتَّبَعَتهُم ذُرِّيَّتهُم بإيمان ... يَتَنازَعون فيها لا لَغو فيها ولا تأثيم ويَطوفُ عَلَيهِم غِلمانٌ لَهُم كأنَّهُم لؤلؤ مَكنون ـ ٥٢ / ٢٤.

جمع غلام، قلنا إنّه طفل لم يبلغ الحُلم، والتقييد بقوله ـ لَهُم: إشارة إلى كونهم

www.attaweel.com

مخصوصين لهم ومنسوبين إليهم وموظّفين على خدمتهم.

والتعبير بالغلام: إشارة إلى كونهم ذوي اشتهاء شديد وعلاقة في تلك الوظائف المحوّلة إليهم، يَفعلون ما يؤمَرون به بإحساسات وإخلاص ومحبّة، وأنّهم في الخلوص وصفاء النيّة وطهارة القلب كاللؤلؤ المحفوظ.

لا لغوٌ فيها ولا تأثيم.

وهذا التوصيف يناسب كونهم من جنس الملائكة، وأنّ أهل الجنّة من جهة لطافتهم وطهارتهم وتنزّههم جسماً وباطناً، مستعدّون ومتناسبون إلى معاشرة الملائكة ومجالستهم:

جَنّات عَدْن يَدخلونَها ومَن صلَح مِن آبائهم وأزواجِهم وذرّيّاتِهم والمَلائكةُ يَدْخلون عَلَيهم مِن كُلّ باب ـ ١٣ / ٢٥.

فلا يذهب عليك أنّ النظر في ذكر الغلمان إلى جهة الشهوة الجنسيّة المادّية الّتي هي من عوامل العيش في الدنيا: فإنّ تلك الشهوة الخاصّة من مقتضيات المادّة ومن لوازم القوى البدنيّة الّتي تزول بزوال البدن.

والعيش في الآخرة أشدّ عمقاً وأحلى التذاذاً وأدوم امتداداً وأدقّ لطفاً وأرقّ تنزّهاً وأقوى طهارة ـ اللّهمَّ لا عَيشَ إلّا عَيشُ الآخرَة.

فَلا تَعلم نَفسٌ ما أُخفي لَهُم مِن قُرَّة أعيُن ـ ٣٢ / ١٧.

وما الحَياةُ الدُّنيا في الآخِرَة إلّا مَتاعٌ ـ ١٣ / ٢٦.

* * *

غلو:

مقا ـ غلو: أصل صحيح في الأمر يدلّ على ارتفاع ومجـاوَزة قَدر، يقال غلا

السِّعرُ يَغلو غَلاءً، وذلك ارتفاعه. وغلا الرجلُ في الأمر غُلوّاً إذا جاوز حدَّه. وغلا بسهمه غَلواً إذا رمى به سهماً أقصى غاية. وتغالَى الرجلانِ: تَفاعَلا من ذلك، وكلّ مَرماة عند ذلك غَلوة، وغلت الدابّة في سيرها غَلْواً، واغتلَتْ اغتلاء، وغالَتْ غِلاء. وتغالَى النبتُ: إرتفع وطال. وتَغالى لحمُ الدابّة: إذا انحسر عنه وَبَره، وذلك لا يكون إلّا عن قوّة وسِمَن وعُلوّ. وغلتِ القِدرُ.

مصبا ـ الغَلوة: الغاية، وهي رَمية سهم أبعدَ ما يُقـدَر عليه، والجمع غَلَوات مثل شَهَوات. وغلا بسهمه من باب قتل: رمى به أقصى الغاية، وغلا في الدِّين غُلوّاً من باب قعد: تصلّب وشدّد حتّى جاوز الحدّ. وغالَى في أمره مُغالاة: بالغ. ويـقال للشيء إذا زاد وارتفع: قد غَلا، ويَتعدّى بالهمـزة، فيقال أغلى الله السِّـعر. وغاليتُ اللّحم وغاليتُ به: إشتريته بثمن غال، أي زائد.

التهذيب ٨ / ١٩٠ ـ قال الليث: غلا السِّعرُ غَلاءً: مَمدود، وغلا في الدِّين يغلُو غلوّاً: إذا جاوز الحدّ. والدابّة تغلو في سيرها غَلواً وتغتلي بخِفّة قوائمها. وتغالىٰ لحمُ الدابّة: إرتفع وصار على رؤوس العظام.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو تجاوز الحدّ في الارتفاع ومن مصاديقه: غَلاء سِعر متاع. وغلوّ الرجل في دينه أو عقيدته. والمغالاة في أمر. وغَلو الدابّة في السير من شدّة في حركته. والتغالي في لحم الدابّة من السمن الزائد. والغلاء في الثمن إذا كان زائداً عن قدر معتدل. والغَلو في النبت وعلوّه. والغَلو في الرَّمي وارتفاع مسيره.

ولا يخفى أنّ جوهر صوت الغين يدلّ على نفوذ في الجملة، ويشتدّ هذا المعنى بضمّ إلى حروف أخرى متجانسة شديدة جهرة، ويضعف بحروف رخوة.

فالأوّل كما في غلق وغلب وغلج وغلو وغلم وغلّ وغمّ.

والثاني كما في غثّ وغرّ وغسّ وغشّ وغفق وغفر وغفل.

فإنّ المجهورة ما ينقطع جري النَّفَس إذا حرّكتَها وهي ـ ظِلُّ قَوٍّ رَبَضٌ إذا غزا جُندٌ مُطيع، والمهموسة بخلافها ـ وهي ـ سَتَشْحِثُك خَصَفَةٌ. والشديدة: ما ينقطع عن الإسكان وهي ـ أجدُك قطبتَ. والرِّخوة بخلافها.

قُل يا أهلَ الكِتاب لا تَغلوا في دينكُم غيرَ الحَقّ ولا تتَّبِعوا أهواءَ قَوم قَد ضَلّوا ـ ٥ / ٨٠.

يا أهلَ الكِتابِ لا تَغلوا في دينكُم ولا تقولوا عَلى الله إلّا الحَقّ إنَّما المسيحُ عيسى ابنُ مَريم رَسولُ الله ـ ٤ / ١٧٠.

يراد الارتفاع الخارج عن الاعتدال في الاعتقادات الدينيّة، والدين هو الخضوع قبال برنامج أو أمر آخر، والخطاب لمطلق أهل الكتاب من اليهود والنصارى وغيرهم.

والمراد إظهارُ التعصّب الشديد بحيث يمنع عن قبول الحقّ، من نبيّ إلٰهيّ آخر أو كتاب سماويّ أو دين حقّ، أو القولُ المتجاوز عن الحقّ في الله عزّ وجلّ وفي رسوله المبعوث، إتّباعاً أهواءَ الضالّين المضلّين.

فإنّ المناط في جميع الأديان الإلهيّة والعقائد والآراء: كونها حقّاً، ولا خصوصيّة لدين خاصّ أو نبيّ معيّن أو اعتقاد صحيح إلّا كونه حقّاً.

فالحقّ هو المتّبع المطاع الّذي يجب عقلاً وشرعاً استقباله، في أيّ مورد كان، وإلى أيّ شخص يُنسب، وفي أيّ دين يكون.

* * *

www.attaweel.com

غلى :

مصبا ـ الغالية: أخلاط من الطيب. وتغلّيتُ بالغالية وتغلّلتُ: إذا تطيّبت بها. وغلَت القِـدر غَلياً من باب ضرب، وغَلَياناً أيضاً. وفي لغـة: غَلِيَتْ تَغلَى من باب تعِب. ويَتعدّى بالهمزة فيقال أغليتُ الزيت ونحوَه إغلاء، فهو مُغلى.

مقا ـ غلَت القِدرُ تَغلِي غلَياناً. وأمّا الغالية: فممكن أن يكون من هذا، أي هي غالية القيمة.

لسا ـ غلا: وغلت القِدر والجرَّةُ تغلي غَلياً وغَلَياناً، وأغلاها وغَلّاها. ولا يقال غَلِيَتْ.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو حصول ارتفاع ينتهي إلى انخفاض وسكون. ومن مصاديقه: غليان شيء وجَيَشانه حتى يسكن. والغالية المركّبة من الأجزاء الطيّبة والدهن تَغلي وتسكن.

والانخفاض فيها بمقتضى حرف الياء الدالّ على الانكسار.

وبين المادّة ومادّة الغلو اشتقاق أكبر.

إنَّ شَـجَرَةَ الزَّقّوم طعامُ الأثيم كالمُهلِ يَغلي في البُطـون كَغلي الحَـميم خُـذوه فاعتِلوه إلى سَواء الجَحيم ـ ٤٤ / ٤٥.

سبق في الشجرة إنّها ما علا وظهر منه فروع مادّياً أو معنويّاً، والمراد تناوله من شجرة تنمو وتعلو من سيّئات أعماله وأخلاقه وأفكاره، ومعلوم أنّه ممّا لا يلائمه يومئذ، ويوجب الخروج عن اعتدال المزاج، كما أنّ الحميم يوجب اضطراباً ووحشة

www.attaweel.com

وعذاباً وابتلاء ومحنة.

فإنّ المزاج يتحقّق باعتدال العمل في المعدة وسكونها واطمينانها، والزقّوم من جهة حدّة ومرارة ومكروهيّة فيه لا يكون مطبوعاً وملائماً، فيغلي في البطـون كما في الأطعمة غير الملائمة.

* * *

غمر:

مقا ـ غمر: أصل صحيح يدلّ على تغطية وسـتر، في بعض الشدّة. من ذلك الغَمْر: الماء الكثير، وسمّي بذلك لأنّه يَغمُر ما تحـته، ثمّ يشتقّ من ذلك فيقال فرس غَمْر: كثير الجَرْي، شُبّه جريه في كثرته بالماء الغمر. ويقال للرجل المِعطاء: غَمْر. ومن الباب الغَمْرة: الانهماك في الباطل واللهو، وسمّيت غَمرة لأنّها شيء يستر الحقّ عن عين صاحبها. وغَمَرات الموت: شدائده الّتي تَغشى، وكلّ شدّة غَمرة، لأنّها تغشى. وفلان مُغامِر: يرمي بنفسه في الأُمور كأنّه يقع في أمور تسـتره. ومنه الغَمـر: وهو الّذي لم يُجرّب الأُمور، كأنّها سُترت عنه. والغِمر: الحِقد في الصدر، وسمّي لأنّ الصدر ينطوي عليه. والغِمر: العَطش، وهو مُشبه بالغِمر الّذي هو الحقد، والجمع الأغمار. ومن الباب غَمَر اللحم، وهو رائحته تبق في اليد، كأنّها تُغطّي اليد. والغُمر: القَدَح الصغير، كأنّ الماء يَغمُره.

مصبا ـ الغِمر: الحِقد وزناً ومعنى. وغَمِر صدرُه علينا من باب تعِب، والغِمر أيضاً: العطش. والغَمْـرة: الزحمة وزناً ومعنىً، ودخلت في غمار النـاس بضمّ الغـين وفتحها أي في زحمتهم أيضاً. والغامِر: الخراب من الأرض، وقيل ما لم يُزرَع وهـو يحتمل الزراعة، وقيل له غامِر لأنّ الماء يَغمره، فهو فاعل بمعنى مفعول، وما لم يَبلغه الماء فهو قفر. وغَمرته أغمرُه مثل سـترته أسترُه وزناً ومعنى. والغمرة: الانهماك في الباطل.

مفر ـ غمر: أصل الغَمر إزالة أثر الشيء، ومنه قيل للماء الكثير الّذي يزيل أثر سيله غَمْر وغامِر. وبه شبّه الرجل السخيّ والفرس الشديد العَدو فقيل لهما غَمْر، كما شبّها بالبحر. والغَمْرة: معظَم الماءِ الساترة لمقرِّها، وجُعل مَثلاً للجهالة الّتي تَغمُر صاحبها.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ورود شيء أو إيراده في محيط متسفّل أو جريان غير ملائم.

والفرق بينها وبين موادّ ـ الغَمس والغَور والغِلّ والغَوص:

أنّ الغَمس: هو إدخال شيء في شيء آخر بسهولة، كما في المايع.

والغَوص: هو ورود إلى باطن شيء والتحرّك فيه.

والغَور: هو ورود في قعر شيء وانخسافه فيه.

والغِلّ: إدخال شيء في شيء بحيث يوجب تحوّلاً وتغيّراً.

ومن مصاديق الغَمر: إيراد شخص في سيلان ماء، أو ماء كثير، أو في أمر شديد، أو في زحمة وازدحام، أو في مهلكة، أو وروده في محيط غفلة أو حيرة أو عماية أو سُكر أو لهو، أو جريان أو مضيقة أو خمول أو قهر أو مضيقة عطش أو حِقد أو تحزّب، وهكذا.

ومن لوازم الأصل: التستّر والمحجوبيّة والغرق وسرعة السير وغيرها.

قُتل الخرّاصونَ الّذين هُم في غَمرة ساهون ـ ٥١ / ١١.

فَذَرْهُم في غَمْرتِهم حَتّى حِين ـ ٢٣ / ٥٤.

بَل قلوبُهم في غَمْرةٍ مِن هذا ـ ٢٣ / ٦٣.

www.attaweel.com

ولَو تَرَى إذِ الظّالِمونَ في غَمَرات الموتِ ـ ٦ / ٩٣.

الخَرص: إختلاق على الظنّ من دون استناد إلى أساس متين. والسهو هو الغفلة عن عمل يقصده. والغَمرة مصدر للمرّة، ويراد منها مطلق غَمرة مناسبة في كلّ مورد، وقلنا إنّ الغمرة: ورود أو إيراد شيء في حالة منحطّة أو جريان متسفّل غير ملائم.

وحالات الموت والشرك والكفر والتكذيب: كلّها متسفّلة منحطّة، فإنّ الموت آخر مرتبة نازلة من الحياة الدنيويّة. والشرك أو الكفر: تسفّل عن مقام الحقّ والتوحيد والنور إلى ظلمة الجهل والعمى والحيرة والضلال. والكذب: تبعّد وتنحّي عن الحقّ والصدق والصفا، وانحطاط في الزيغ والغواية.

فما دام الإنسان يطلب الورود أو إيراد نفسه إلى انحطاط، أو يرضى بإدامة الكون والعيش فيه: فلا تنفعه الذِّكرى والموعظة ـ وما أنتَ بهادِي العُمْيِ عَن ضَلالَتِهم، وذَكِّرْ فإنَّ الذِّكرَى تَنفَعُ المؤمنينَ، وذَرِ الَّذينَ اتَّخَذوا دِينَهم لَعِباً ولَهْواً.

والغَمر: أشدّ حالة من الابتلاء باللّهو والجهل والغفلة والظلمة والحيرة والضلال، فإنّه ورود تحت سيطرة هذه الحالات المتسفّلة.

وأمّا المُغامِر: فهو من المفاعلة، وتدلّ على استمرار الحدث.

* * *

غمز:

مصبا ـ غمزه غمزاً من باب ضرب: أشار إليه بعين أو حاجب، وليس فيه غَميزة ولا مَغمزة: أي عيب. وغمزته بيدي، من قولهم غمزت الكبش بيدي: إذا جسستَه لتَعرف سمنه، وغَمز الدابّةُ في مَشيه غَمزاً، وهو شبيه العرج.

مقا ـ غمز: أصل صحيح وهو كالنَّخس في الشيء بشيء. ثمّ يستعار، من ذلك غمزت الشيء بيدي غَمزاً، إذا غاب وذُكر بغير الجميل. والمغامِز: المعايب. وفي عقل فلان غَميزة، كأنّه يُستضعَف. وممّا يستعار: غَمز بجَفْنه: أشار. ومنه: غمَز الدابّة مِن رِجله، كأنّه يغمِزُ الأرضَ برجله.

مفر ـ أصل الغَمْز: الإشارة بالجَفْن أو اليد طلباً إلى ما فيه مُعاب. ومنه قيل: ما في فلان غَميزة أي نقيصة يُشار بها إليه.

التهذيب ٨ / ٥٥ ـ قال الليث: الغَمز: الإشارة بالجَفن والحاجب، والغَمز: العَصر باليد، والغميزة: ضَعفة في العمل وجَهلة في العقل، تقول: سمعت منه كلمة فاغتمزتها في عقله، والمَغامِز: المَعايب، وتقول: ما في هذا الأمر مَغمز أي مَطمع. والغَمْز في الدابّة: الظلع من قبل الرِّجل. عن أبي زيد: أغمزتُ فيه إغمازاً: إذا استضعفتَه. الأصمعيّ: الغَمَز: الرُّذال من الإبل والغنم والضِّعافُ من الرجال.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو إشارة إلى شيء بجَفن أو حاجب أو عين في مقام التعييب والتضعيف.

وبهذه المناسبة تطلق على عصر شيء باليد بعنوان طلب عيب فيه. وعلى ما يُحتقر ويُعاب، فيقال هذه غميزة. وعلى عرج ضعيف وميل في الرِّجل.

والفرق بينها وبين اللَّمز والهَمز والرَّمز والطَّنز:

أنّ اللَّمز كالغمز في المواجهة ولو بكلام خفيّ.

والهَمز: كاللَّمز في غير المواجهة، بل بالغيب.

www.attaweel.com

والطَّنز: كلمة باستهزاء إشارةً.

والرَّمز: إشارة بالشفتين أو غيرهما مطلقاً.

إنَّ الَّذينَ أجرَمُوا كانوا مِنَ الَّذينَ آمَنوا يَضحكون وإذا مَرّوا بهم يَتغامَزون وإذا انقَلبوا ـ ٨٣ / ٣٠.

التغامز تفاعل، ويدلّ على الاستمرار، أي يشيرون إليهم بعنوان التحقير والتضعيف والتعييب.

وهذا بلحاظ كونهم متعلِّقين بالحياة الدنيا وزينتها، ولا استيناس لهم بالحياة الروحانيّة المعنويّة. فيتصوّرون الإيمان بالله ورسوله والعمل بأحكام دينيّة والعبادة لله واتّباع الرسول: خوضاً في انحراف وباطل.

* * *

غمض:

مصبا ـ غَمض الحقُّ غُموضاً من باب قعد: خَفِيَ مأخذه، وغمُضَ بالضمّ: لغة، ونسبٌ غامض: لا يُعرَف. وأغمضتُ العينَ إغماضاً وغمّضتها تغميضاً: أطبقتُ الأجفان.

مقا ـ غمض: أصل صحيح يدلّ على تطامُن في الشيء وتداخل. فالغَمْض: ما تَطامَن من الأرض، وجمعه غُموض، ثمّ يقال غَمض الشيءُ من العلم وغيره، فهو غامِض. ودارٌ غامِضة: إذا لم تكن شارعةً بارزةً. ويقال: ما ذُقت غُمضاً من النوم ولا غِماضاً، أي كقَدر ما تُغمَض فيه العين. والمغمَّضات: الذنوب يَركبها الرجل وهو يعرِفها لكنّه يُغمّض عنها كأنّه لم يَرها. ويقال: غُمِّضت الناقة: إذا رُدّت عن الحوض فحملت على الذائد مُغمِّضةً عينيها فوردَتْ. وأغمضتُ حدَّ السيف: إذا رققتَه كأنّك لرقّته أخفيته عن العيون.

التهذيب ٨ / ٢٠ ـ دارٌ غامِضة: غيرُ شارعة، وقد غمضت تَغمُض غُموضاً. والغامِض من الرجال: الفاتر عن الحملة. وأمر غامِض، وقد غمَض غُموضاً. وخلخال غامِض قد غمَض في الساق غموضاً، وكعب غامض أيضاً. وما غمضت ولا أغمضت ولا اغتمضت: لغات كلّها. وقد يكون التغميض من غير نوم ويقال أُغمُضْ لي في البياعة، أي زِدني لمكان رداءته أو حُطّ لي من ثمنه. ويقال للرجل الجيّد الرأي: قد أغمَض النظر وأغمضَ في الرأي، ومسألة غامِضة: فيها نظر ودقّة.

الاشتقاق ٤٠٧ ـ وغمّضتُ عنه إذا تجاوزت. والغُمض والغُماض والتغميض واحد، من النوم. والغَمض: المنهبط الغامض من الأرض.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو خفض في تمايل إلى جانب. وهذا هو الفرق بينها وبين موادّ ـ الغَضّ، الخَفض، الإطباق.

وهذا المعنى أعمّ من أن يكون في عين البصر أو عين القلب.

ومن مصاديقه: غُموض في الحقّ إذا كان فيه خفاء ما مع تمايل عن المَرأى، وهكذا في النسب، وفي الأرض المنخفضة في جانب، وفي العلوم إذا كان فيها خفاء وتمايل عن الأفكار المتوسّطة. وفي الدار إذا كانت متمايلة عن الشارع المعروف وفيها خفاء. وهكذا في العين.

وأمّا إطلاقها على النوم والتجاوز بدون لحاظ القيدين فتجوّز.

فلابدّ في الأصل من تحقّق القيدين وملاحظتها، فمفاهيم الفتور والخفاء والغموض في السيف وفي الناقة وفي الخلخال وغيرها: إذا لوحظ فيها القيدان: فتكون من مصاديق الأصل، وإلّا تكون تجوّزاً.

www.attaweel.com

يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا أنفِقوا مِن طيِّباتِ ... ولا تَيَمَّموا الخَبيثَ مِنهُ تُنفِقون ولَستُم بآخذِيه إلّا أن تُغمِضوا فيه ـ ٢ / ٢٦٧.

أي إلّا أن تُميلوا أعينكم وأبصاركم مع خفض فيها، حتّى تسامحوا فيما تأخذونه.

ولا يخفى أنّ إنفاق شيء خبيث رديء: هو كالمنّ بعد الإنفاق ـ قال تعالى:

الَّذينَ يُنفِقونَ أموالَهُم في سَبيلِ اللهِ ثُمّ لا يُتبِعونَ ما أنفَقوا مَنّاً ولا أذىً لَهُم أجرُهُم عِندَ رَبِّهِم ـ ٢ / ٢٦٢.

فإنفاق شيء خبيث: كالمنّ والأذى، ويوجب أذىً في الطرف.

مضافاً إلى أنّ الإنفاق من الطيّبات: يكشف عن المحبّة في الله، وعدم التعلّق بالدنيا ومتاعها، ثمّ يوجب ازدياداً فيهما.

* * *

غمّ:

مقا ـ غمّ: أصل واحد صحيح يدلّ على تغطية وإطباق، تقول: غممتُ الشيء أغُمّه، أي غطّيتُه. والغَمَم أن يُغطِّيَ الشَّعرُ القَفا والجبهةَ في بنائه، يقال رجل أغمُّ وجبهة غَمّاءُ. ومن الباب: الغمام جمع غمامة، وقياسه واضح. ومنه الغِمامة وهي الخِرقة تُشدّ على أنف الناقة شدّاً كي لا تَجد الريحَ. وغُمَّ الهلالُ: إذا لم يُرَ. ويقال يوم غَمّ وليلة غمّة إذا كانا مُظلِمَيْن. وغمّه الأمر يغُمّه غمّاً، وهو شيء يَغشى القلب، معروف.

مصبا ـ غمَّه الشيءُ غمّاً من باب قتل: غطّاه، ومنه قيل للحزن غمٌّ، لأنّه يُغطِّي السرورَ والحِلم، وهو في غمّة أي حيرة ولَبس، والجمع غُمَم. وغَمّ اليومُ والسماءُ غَمّاً من باب قتل أيضاً، وأغمّ: جاء بغمّ من تكاثف حرّ أو غيم. وغُمّ عليه الخبر: خفي. وغُمّ الهلال أيضاً: ستر بغيم أو غيرها، والغَمام: السحاب. والغَمامة أخصّ منه. وغَمّ

الشخصُ غمّاً من باب تعِب: سال شَعر رأسه حتّى ضاقت جبهتُه وقفاه، ورجل أغمُّ الوجهِ والقفا، وامرأة غَمّاء. وكراع الغَميم: واد في ثلاثين ميلاً من مكّة.

صحا ـ الغَمّ: واحد الغُموم، غمَّه فاغتمّ. وغمَمت الحمارَ وغيره: إذا ألغمتَ فمه ومِنخريه الغِمامة وهي الكعام، والجمع الغمائم. وغَمَمْتُه: غطّيته، فانغمّ. والغُمّة: الكُربة. يقال أمر غُمّة: أي مبهم ملتبِس. وغَمّ يومُنا، فهو يوم غَمّ: إذا كان يأخذ بالنَّفَس من شدّة الحرّ، وأغمّ يومُنا. مثلُه. وليلة غمّ أي غامّة وُصف بالمصدر كما تقول ماء غَور، وغُمّ عليه الخبر: أي استُعجم، مثل أُغمِي.

الأفعال ٢ / ٤٣٠ ـ غَمَّ اليومُ غمّاً وأغمّ: جاء بالغَمّ من حرّ أو تكاثف غَيم. والسماءُ كذلك. وغمّه غمّاً: أدخلَ عليه الغمّ. والإناءَ وغيرَه: غطّاه. وغُمّ الهلال: سُتر. وغُمّ الرجل: زُكم.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو التغطية في قبال نور أو مثله من سعة أو صحّة أو سرور أو بهجة أو جمال، فهو أعمّ من أن يكون في مورد مادّي أو معنويّ.

ففي المورد المادّيّ كما في:

وظَلَّلنا عَلَيْكُم الغَمامَ وأنزَلْنا عَلَيْكُم المنَّ والسَّلْوى ـ ٢ / ٥٧.

والغَمام هو السحاب ويطلق عليه بلحاظ انجراره وحركته، كما أنّ الغمام يطلق باعتبار كونه مغطّياً نور الشمس.

وفي المورد الروحانيّ كما في:

ويَومَ تَشقَّقُ السَّماءُ بالغَمام ونُزِّلَ المَلائِكَةُ تَنزيلاً المُلكُ يَومئذٍ الحقُّ للرَّحمٰن ـ ٢٥ / ٢٥.

www.attaweel.com

والغَمام في هذه الآية الكريمـة ما يُغطِّي عن تجـلِّي نور الحـقّ. وحرف البـاء للتعدية. وكلمة تشقّق: مضارع والأصل تتشقّق. والمراد من السماءِ: السماء الروحانيّ.

يراد فناء المادّة والبدن الجسمانيّ، ومواجهةُ العـالَم الروحانيّ، والمقابلة به بعد انشقاق حجاب وغَمام، ونزولُ الملائكة فيه.

ثُمَّ أنزَلَ عَلَيكُم مِن بَعد الغَمّ أمَنَة نُعاساً ـ ٣ / ١٥٤.

وقتَلْتَ نَفساً فنجَّيناك مِنَ الغمّ وفتَنّاك فُتوناً ـ ٢٠ / ٤٠.

فاستَجَبنا لَهُ ونَجَّيناهُ مِنَ الغَمّ وكَذلك نُنجي المؤمنين ـ ٢١ / ٨٨ .

أي أنزل الأمن والنجاة من المضـيقة والابتلاءِ والاغتمام في الحرب. ونجّـيناك من تغطية حالة الإبتلاءِ والإضطراب والوحشة الّتي كانت في قتل النفس. واستجبنا ونجّيناه من تغطية الابتلاءِ الشديد الّتي حصلت له في كونه مغاضباً. فالغم: هو تغطية شدّة وابتلاءِ ومضيقة في قبال رخاء وسعة وتنعّم.

واتلُ عَلَيهم نَبأ نوح إذ قالَ لِقَومه ... فأجمِعوا أمرَكُم وشُرَكائَكُم ثُمَّ لا يَكُـن أمرُكُم عَلَيكُم غُمَّة ثُمَّ اقضوا إليَّ ـ ١٠ / ٧١.

الغُمّة فُعلة بمعنى ما به يُغَمّ، أي ما بسـببه يتحصّل ويتكوّن الغمّ. يـراد لزوم التفكّر والتدبّر والتعقّل في جريان أُموركم وفي ما تعملون حتّى لا يكون سبباً للغمّ.

إذ تُصعِدون ولا تَلوُون عَلَى أحَد والرَّسولُ يَدعوكُم في أُخريٰكُم فأثابَكُم غَمّاً بغَمّ لِكَيلا تَحزَنوا عَلى ما فاتَكُم ـ ٣ / ١٥٣.

أي فجازاكم جزاءً يرجع إليكم، غمّاً مُلصَقاً بغمّ مكرّراً، حتّى لا تحزنوا بعدُ في فوت نفـع عنكم، كما فعلتم في ذلك الحـرب، إذ انصرفتم عن مواضعكم لئلّا يفوت الغنم عنكم، فأوجب ذلك العصيانُ والتخلّفُ هزيمةً وقتلاً وجَرحاً للمسلمين.

* * *

www.attaweel.com

غنم :

مقا ـ غنم : أصل صحيح واحد يدلّ على إفادة شيء لم يُملَك من قبلُ، ثمّ اختصّ به ما أُخذ من مال المشركين بقهر وغلبة. ويقولون: غُناماك أن تَفعل كذا، أي غايتك والأمر الّذي تَتَغنّمه. وغَنْم : قبيلة، ولعلّ اشتقاق الغَنَم من هذا.

مصبا ـ غنِمتُ الشيء أغنَمهُ غنماً: أصبتُه غنيمة، والجمع الغنائم والمغانم، والغُنمُ بالغُرم، أي مقابل به، فكما أنّ المالك يختصّ بالغُنم ولا يشاركه فيه أحد: فكذلك يَتحمّل الغُرم. أبو عبيد: الغنيمة ما نِيلَ من أهل الشرك عنوةً والحرب قائمة، والفَيء ما نِيل منهم بعد أن تضع الحربُ أوزارَها. والغَنَم : إسم جنس يطلق على الضَّأن والمعز، وقد تجمع على أغنام، على معنى قطعات من الغنم، ولا واحد للغنم من لفظها. وقال الأزهريّ: الغنم الشاء، والواحدة شاة.

صحا ـ الغَنَم : إسم مؤنّث موضوع للجنس يقع على الذكور والإناث وعليهما جميعاً، وإذا صَغّرتَها ألحقتَها هاء فقلت غُنَيْمة، لأنّ أسماء الجموع الّتي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميّين فالتأنيث لها لازم، يقال له خمس من الغَنَم. والإبل كالغَنَم في جميع ما ذكرناه. والمَغْنم والغنيمة بمعنىً، يقال: غنِم القومُ غُنماً. وغنّمتُه تغنيماً: إذا نَفلتَه. واغتنمه وتغنّمه: إذا عدّه غنيمة.

التهذيب ٨ / ١٤٩ ـ قال الليث: الغَنَم : الشاء، لفظ للجماعة، وإذا أفردتَ الواحدة قلت شاة. وقال غيره: تقول العرب: تَروح على فلان غنمانِ، أي قطيعانِ، لكلّ قَطيع راع على حِدة، وكذلك تَروح عليه إبلانِ. وقال الليث: الغُنم : الفوز بالشيء من غير مشقّة. والاغتنام: انتهاز الغُنم.

❊ ❊ ❊

www.attaweel.com

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو تناول مال لم يكن مالكاً له من قبلُ، ربحاً أو بالأصالة ومن غير معاملة. ومن مصاديقه: الغنيمة المأخوذة من العدوّ بالحرب. وما يتحصّل بالتجارة.

وأمّا الغَنَم: فتطلق على الشاء في قبال البقر والإبل، فإنّه لا يراد من الغنم إلّا جهة كونها نعمة صرفة وما ينال ويتصرّف بهذا المقصود، وليس فيها جهة أخرى من كونها حَمولة أو مركوبة أو عاملة أو غيرها، فكأنّها غنيمة خالصة وفائدة رابحة ونتيجة مقصودة من التكسّب والتجارة.

والغُنم أعمّ من أن يكون مادّياً أو معنويّاً.

وَٱعْلَموا أنَّ ما غَنِمْتُم مِن شَيءٍ فأنَّ لِلّهِ خُمُسَه ولِلرَّسول ـ ٨ / ٤١.

يراد مطلق ما يُتناول غُنماً من أيّ شيء وبأيّ طريق كان، غنيمةً في حرب أو ربحاً أو في تجارة أو أُجرة من عمل.

ويشترط في صدق مفهوم الغنم: أن يتحصّل في نتيجة عمل ومجاهدة، وأمّا ما يصل إلى شخص من دون عمل: فلا يصدق عليه الغنم، كما في الهبة والعطية والإرث. إلّا أن يعلم كون المال غير مخمَّس.

فإنّ حقيقة الإرث والهبة: جعل شخص نائباً عن المالك الأوّل وإقامته في مقامه من دون عمل فيما بينهما، فالثاني مكلّف بما يكلّف به الأوّل.

فكُلوا مِمّا غَنِمتُم حَلالاً طَيِّباً واتَّقوا اللهَ إنَّ اللهَ غَفورٌ رَحيم ـ ٨ / ٦٩.

أي من الأموال الّتي تحصّلت في أيديكم بعمل ومجاهدة صحيحة، فهي حلال طيّب لكم، فإنّها نتيجة جهادكم في سبيل الله، وأرباح تجارتكم وعملكم.

www.attaweel.com

تَبتَغونَ عرضَ الحَياةِ الدُّنيا فعندَ اللهِ مَغانمُ كَثيرة ـ ٤ / ٩٤.

يراد مطلق ما يُتناول من الأموال المادّية والفوائد الروحانيّـة الّتي يُعطيها من يشاء.

ومَغانمَ كَثيرَةً تأخـذونَها وكانَ اللهُ عَـزيزاً حَكـيماً وعَـدكُم اللهُ مَـغانمَ كَـثيرَةً تأخذونَها فَعجَّل لَكُم ـ ٤٨ / ١٩.

يراد مطلق الغنائم والأموال الّتي تصل إلى أيدي المؤمنين المجاهدين في سبيل الله، ومن جملتها غنائم الحرب الّتي يأخذونها من الكفّار بالظفر والفتح.

قالَ هيَ عَصايَ أتوكّأُ عَلَيها وأهُشُّ بِها عَلى غَنَمي ـ ٢٠ / ١٨.

يراد جنس الغنم لا الواحد. ولمّا كان في جوابه إشارة إلى استناده واتّكائه على عصاه وتوجّهه إلى سببيّتها: فقال تعالى:

ألقِها يا موسى فألقيها.

ومِنَ البقَر والغَنَم حرَّمنا عَلَيهم شُحومُهما ـ ٦ / ١٤٦.

يتعلّق باليهود.

وفلسفة التحريم إمّا للتعذيب أو لصلاح في الموضوع أو في تحريمه، وهو الخبير.

* * *

غنى:

مصبا ـ الغنّة والغَناء مثل كلام: الاكتفاء، وليس عنده غَناء أي ما يُغتنى به، يقال غَنِيتُ بكذا عن غيره من باب تعِب، إذا استغنيتَ به، والإسم الغُنية، فأنا غنيّ. وغنيَت المرأة بزوجها عن غيره، فهي غانِيـة، والجمع الغَواني. وأغنيت عنك مَغنَى فلان ومَغناتَه: إذا أجزأت عنه وقتَ مقامه. وغنِيَ من المال يغنَى غِنىً مثل رَضِي، فهو غَنيّ، والجمع أغنياء.

www.attaweel.com

مقا ـ غنى: أصلان صحيحان: أحدهما يدلّ على الكفاية. والآخر صوت. فالأوّل ـ الغِنىٰ: في المال، يقال غَني يغنَى غِنىً. والغَناء الكفاية، يقال: لا يُغنِي فلان غَناءَ فلان، أي لا يكفي كفايته، وغَني عن كذا، فهو غانٍ. وغنِي القَوم في دارهم: أقاموا كأنّهم استغنوا بها، ومَغانيهم: مَنازلهم. والغانية: المرأة، استغنَتْ ببعلها. ويقال استغنَتْ بجمالها عن لُبس الحِلَى. ويقال تغنّيت بكذا وتغانيت به، إذا أنت استغنيت به. والأصل الآخر ـ الغِناء: الصوت.

التهذيب ٨ / ٢٠١ ـ قال الليث: الغِنى في المال مقصور، واستغنَى الرجلُ: أصاب غِنىً، والغُنية: إسم من الاستغناءِ عن الشيء.

وفي الحديث ـ ليسَ منّا مَن لم يتغنَّ بالقرآن ـ كان سفيان بن عُيَينة يقول: معناه ليس منّا من لم يستغنِ به. ولم يذهب به إلى الصوت. قال أبو عبيد: وهذا كلام جائز فاش في كلام العرب، يقولون: تغنّيت تغنّياً وتغانيت تغانياً بمعنى استغنيت. ومن ذهب به إلى التطريب فهو من الغِناء الصوت ممدود، يقال غنّى فلان يغنّي أُغنيَّة وتغنّى بأغنية حسنة، وجمعها الأغانيّ، والغَناء: الإجزاء والكفاية يقال رجل مُغن، أي مُجزئ كاف.

قع ـ ـ غنى، ثراء، ثروة، وفرة، كثرة = (عوسِر).

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يقابل الفقر، أي عدم الاحتياج. ومن مصاديقه الكفاية، والإجزاء، والتموّل.

وبلحاظ هذا القيد: يطلق الغانية على المرأة، لاستغنائها بذاتها، وكفاية الرجل معيشتها وجميع ما تحتاج إليها بالطبيعة بالازدواج والتعلّق بها.

وهكذا يطلق المَغنى على المكان: لأنّ المكان يستر حاجة الإنسان وفقره.

وأمّا الصوت والتغنّي: فهو مأخوذ من اللغة العبريّة، من مادّة عِناه.

قع ـ = (عاناه) = غَنّى، تَرنَّم.

قع ـ = (عنوت) = نغم، صوت.

مع وجود تناسب بين المفهومين، فإنّ الاستغناء يوجب التظاهر والطغيان والتجاوز عن الحدّ، ومنه رفع الصوت.

فَجَعَلناها حَصيداً كأن لَم تغنَ بالأمس ـ ١٠ / ٢٤.

الَّذينَ كذَّبوا شُعَيباً كأن لَم يَغنوا فيها ـ ٧ / ٩٢.

فأصْبَحوا في دِيارِهِم جاثِمين كأن لَم يَغنوا فيها ـ ١١ / ٦٨.

ضمير التأنيث يرجع إلى الدار والأرض. والحَصد أخذ المحصول وقطعُه، والحَصيد: ما يتحقّق فيه الأخذ ويتّصف بكونه ذا حَصد.

وغناء الأرض: فقدان الحاجة والنقص فيها وتماميّتها من جميع الجهات من موقعيّة وهواء وماء وضوء وإنبات وأشجار وأثمار.

وغناؤهم في ديارهم في الآيتين: عبارة عن سعة معيشتهم فيها واستغنائهم في حياتهم الدنيا من جميع الجهات.

والإغناء: جعل شيء غنيّاً وذا غناء، كما في:

فَما أغنَى عَنهُم ما كانوا يَكسِبون ـ ١٥ / ٨٤ .

ما أغنى عَنّي مالَيهْ ـ ٦٩ / ٢٨.

فَما أغنَت عَنهُم آلِهتُهم ـ ١١ / ١٠١.

وما تُغني الآياتُ والنُّذُر عَن قَوم لا يؤمِنون ـ ١٠ / ١٠١.

www.attaweel.com

وإنَّ الظنَّ لا يُغني مِن الحقّ ـ ٥٣ / ٢٨.

حَتّى يُغنيَهُم الله مِن فَضله ـ ٢٤ / ٣٣.

فَهَل أنتُم مُغنونَ عَنّا مِن عَذابِ الله ـ ١٤ / ٢١.

أي لا توجب المال والكسب والآلِهة والظنّ والناس والآيات أن يكونوا ذات غناء ترفع حاجاتهم وتدفع فقرهم، حتّى يكتفوا بها عن غيرها.

فإنّ هذه الأمور ممّا يتعلّق بالمادّة والحياة الدنيويّة، وهو ينتفي بانتفاءِ البدن وموته، فلا تنفع في الحياة الأُخرويّة بوجه.

ولا ينفع فيها إلّا ما يتعلّق بالروحانيّة وما كان لله وفي الله، فإنّه تعالى مالك يوم الدِّين، يعطي من فضله من يشاء بما يشاء.

ثمّ إنّ الإغناء إذا أُضيف إلى غير الله تعالى: يستعمل بحرف عَن. وأمّا إذا نُسب إلى الله المتعال: يستعمل بلا واسطة حرف ومطلقاً، كما في:

يُغنِيهم الله.

إلّا أن أغناهُم الله.

يُغنِ الله كُلّاً مِن سَعَته.

فَسَوفَ يُغنيكُم الله مِن فَضله ـ ٩ / ٢٨.

فإنّ إغناء الله تعالى مطلق ويتعلّق بذات الشيء بطور مطلق من دون خصوصيّة وقيد وحدّ، وهو القادر المطلق يفعل ما يشاء كيف يشاء.

وأمّا غيره تعالى أيّاً ما كان: فهو يُغني في جهة خاصّة به وفي محدودة عمله وتأثيره وقدرته. وحرف عن يدلّ على الصدور والخروج.

فغيره تعالى وإن كان نافعاً ومفيداً ومغنياً في الحياة الدنيا في جهة خارجة عن

www.attaweel.com

مطلق الذات وفي محدودة أثره، إلّا أنّ الحياة الآخرة لا يغني فيها عن شيء، فإنّ الملك يومئذٍ لله وبيده وتحت مشيّته.

ويكفي في غفلة الإنسان وجهله: أنّه إذا شاهد في الحياة الدنيا غِناءً في جهة من جهاته، يُعرض عن الله الّذي بيده أزمّة الأُمور.

كُلّاً إنَّ الإنْسانَ ليَطْغى أن رَآهُ اسْتَغنى ـ ٩٦ / ٧.

والغنيُّ: من أسماء الله عزّ وجلّ:

واللهُ غنيٌّ عَنِ العالَمين ـ ٣ / ٩٧.

إن تكفروا فإنَّ الله غنيّ عَنكُم ـ ٣٩ / ٧.

والله الغنيّ وأنتُمُ الفُقَراء ـ ٤٧ / ٣٨.

قالوا اتَّخذَ الله ولداً سُبحانَهُ هُوَ الغنيّ ـ ١٠ / ٦٨.

ولا يخفى أنّ الفَقر إمّا في جهة التكوين والإيجاد.

أو في جهة التسوية وتعديل الخلق بعد الإيجاد.

أو في جهة التقديرات وبرنامج البقاء وإدامة الحياة.

أو في جهة الأُمور الخارجيّة والفقر إليها من وسائل الحياة.

وجميع الموجودات إنساناً أو غير إنسان: فقراءُ محتاجون في هذه الجهات كلّها، وليس شيء من هذه الأُمور الأربعة في اختياره وتحت قدرته.

سَبِّح اسمَ رَبّك الأعلى الَّذي خَلَقَ فَسَوّى والَّذي قَدَّرَ فَهَدى ـ ٨٧ / ٣.

ولَم يَكُن لَهُ شَريكٌ في المُلك وخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ فقدَّره تَقديراً ـ ٢٥ / ٢.

يا أَيُّها النّاسُ أنتُم الفُقراءُ إلى الله واللهُ هوَ الغنيّ الحَميد ـ ٣٥ / ١٥.

www.attaweel.com

فالله تعالى هو الغنيّ المطلق وهو الأزليّ الدائم في ذاته وبذاته ولذاته، وليس في وجوده فقر ولا ضعف ولا حاجة بوجه من الوجوه، وهو نور لا يتناهَى ولا يُحدّ بأيّ حدّ، وهو الكائن قبل أيّ موجود وبعد فناء كلّ شيء. وكيف يتصوّر له فقر وضعف وهو أوجد كلّ الأشياء وسوّيها وقدّرها ورزقها.

أمَّن يَبدءُ الخَلقَ ثُمَّ يُعيدُه ومَن يَرزقُكُم مِنَ السَّماء والأَرض ـ ٢٧ / ٦٤.

وَما مِن دابَّةٍ في الأَرض إلّا عَلَى الله رِزقُها ـ ١١ / ٦.

ثمّ إنّ الغنيّ قد وُصِف في القرآن المجيد: بأربعة أوصاف:

والله غنيّ حَليم ـ ٢ / ٢٦٣.

واعلَموا أنَّ الله غنيّ حَميد ـ ٢ / ٢٦٧.

وربّك الغنيّ ذو الرّحمة ـ ٦ / ١٣٣.

ومَن كَفَر فإنَّ رَبّي غَنيّ كَريم ـ ٢٧ / ٤٠.

فإنّ الغِنى من حيث ذاته يقتضي الطغيان والعدوان والاستكبار، فقورنَ بصفة الحلم والمحموديّة والرحمة والكرم، وكلّ منها في مورد يناسبه، وهذه الصفات تخالف الطغيان والعدوان الممتنعة من الله الغنيّ.

نعم الغنى المطلق يقتضي الحلم والكرم والرحمة، وإلّا يوجب فقراً وضعفاً واحتياجاً، فإنّ الطغيان يلازم الفقر والاحتياج.

وأمّا الغنى الظاهريّ الخياليّ في جهة: فمن جهة ملازمته الجهل والغفلة عن الحقّ وعن حقيقة فقره وفنائه: يظهر منه الطغيان والاستكبار.

فالطغيان نتيجة غِنى الانسان، من جهة كشفه عن الفقر والنقصان.

* * *

غوث :

مقا ـ غوث: كلمة واحدة وهي الغَوث من الإغاثة، وهي الإعانة والنُّصرة بعد الشدّة.

مصبا ـ أغاثه إغاثـة إذا أعانـه ونصَره، فهو مُغيـث، وبإسم الفـاعل سمّي. والغوث إسم منه. واستغاث به فأغاثه، وأغاثهم الله برحمته: كشف شدّتهم.

صحا ـ غوَّث الرجلُ: قال وا غَوثاه، والإسم الغَوث والغُواث والغَواث. قال الفرّاء: يقال أجاب الله دعاءه وغُواثه وغَواثه، قـال، ولم يأت في الأصـوات شيء بالفتح غيره، وإنّما يأتي بالضمّ مثل البكاء والدُّعاء، وبالكسر مثل النِّداء والصِّياح. وغَوث: قبيلة. واسـتغاثني فلان فأغثتُـه. والإسم الغِياث صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها.

التهذيب ٨ / ١٧٧ ـ والغياث: ما أغاثَك الله به، ويقول الواقع في بليّة: أغِثني، أي فرّج عنّي. وتقول ضُرب فلان فغوَّث تغويثاً، أي قال وا غوثاه. قلتُ: ولم أسمع أحداً يقول: غاثه يغوثه بالواو. ويقال: اسـتغثت فلاناً فما كان لي عنده مَـغوثة ولا غَوث: أي إغاثة. ومَغوثة وغَوثٌ: إسمان يوضعان موضع الإغاثة.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الإنقـاذ من ابتلاء وشـدّة وجعلُه في كَنَـفه. وبهذين القيدين يحصل الافتراق بين المادّة وموادّ الإنقاذ والتخليص والإعانة والنصر والإنجاء والتفريج.

فإنّ النظر في الإنقاذ: إلى مطلق التخريج من الابتلاء والانغمار فيه.

وفي التخليص: إلى جعله مُصَفّى عن الشوب والخلط.

وفي التفريج: إلى إحداث فرجة وخلل بين الشيئين.

وفي الإنجاءِ: إلى تنحية شيء عن ابتلاء بشيء آخر.

وفي العَون: إلى النصرة المتداوم المتظاهر عن قريب.

وفي النصرة: إلى مطلق الإعانة بأيّ نحو كان.

فتفسير المادّة: بالإعانة والنصر والكشف والتفريج، من باب التقريب.

والظاهر أنّ يَغوثَ وهو من الأصنام سمّي به باعتبار تصوّر إغاثته.

وإن يَستَغيثوا يُغاثوا بماءٍ كالمُهل ـ ١٨ / ٢٩.

فاستَغاثَه الَّذي مِن شيعَته عَلى الَّذي مِن عَدوّه ـ ٢٨ / ١٥.

إذ تَستَغيثونَ ربَّكُم فاستَجابَ لَكُم ـ ٨ / ٩.

والَّذي قالَ لِوالِدَيْه ... وهُما يَستَغيثانِ الله وَيْلك آمِن ـ ٤٦ / ١٧.

الاستغاثة: طلب الإنقاذ من ابتلاء حتّى يجعله في كنفه، والابتلاءُ: كما في ـ حرارة نار جهنّم، وفي الشدّة من مواجهة العدو، وفي المحاربة، وفي التألّم من انحراف الأولاد وضلالهم.

ولا يخفى أنّ الإستغاثة لازم أن يكون واجداً لشرائطها ومستحقّاً للإجابة والإغاثة والإنقاذ، وأمّا إذا لم يكن أهلاً لها ومستحقّاً لحسن الإجابة: فلا يصحّ أن يُغاث ويُنقذ ممّا فيه من ابتلاء، كما في ابتلاء من ابتلي بعذاب وشدّة بسوء العمل وسوء الاختيار والإصرار على الخلاف والعصيان.

* * *

غور:

مقا ـ غور: أصلان صحيحان، أحدهما خُفوض في الشيء وانحطاط وتطامن،

www.attaweel.com

والأصل الآخر ـ إقدام على أخذ مـال قهراً أو حَرَباً. فالأوّل ـ قولهم لقـعر الشيء غَورُه، ويقال غارَ الماءُ غَوراً، وغارت عينُه غُؤوراً. وغارت الشمسُ غِياراً: غابت. والغورُ: تِهامة وما يلي اليمـن، سمّيت بذلك لأنّها خلاف النَّجـد، والنَّجـد مرتفِع من الأرض، يقال غارَ الرجلُ إذا أتى الغَور، وأغار. وغوَّر الرجل: إذا نزل للقائلة، كأنّه نزل مكاناً هابِطاً. والأصل الآخر ـ الإغارة، يقال أغار بنو فلان على بني فلان إغارة وغارةً، وإغارة الثعلب: مِن هذا أيضاً.

مصبا ـ الغَور من كلّ شيء قعره، ومنه يقال بعيد الغَور أي حَـقود، ويـقال عارف بالأُمور وغارٍ في الأمر: إذا دقّق النظر فيه. وغارت العينُ مـن بـاب قـعدَ: انخسفت. وأغار الفرسُ إغارة، والإسم الغارة، مثل أطاعَ إطاعةً والإسم الطاعة: إذا أسرع في العَدو، وأغار القومُ إغارة: أسرعوا في السير، ثمّ أطلقت الغارة على الخيل المُغيرة، وشَـنّوا الغارة: أي فرّقوا الخـيل. وأغار على العـدوّ: هجم عليهم ديارهم وأوقع بهم. والغار: ما ينحت في الجبل شبه المَغارة، فإذا اتّسع قيل الكهف.

التهذيب ٨ / ١٨١ ـ قال الأصمعيّ: يقال لفم الإنسان وفرجه: هما الغارانِ، يقال المرء يَسعى لغارَيْه. والغار: شجر. وأغار الحبلَ يُغيره إغارة وغـارة: إذا شـدّ فتله، وحَبل مُغار: شديد الفتل والإغارة مصدر حقيـقيّ، والغارة إسم يـقوم مـقام المصدر، وأغار الفرسُ إغارة وغارة، وهو سرعة حُضره. ابن الأعـرابيّ: المُـغوِّر: النازل نصف النهار هُنيهة ثمّ يرحل.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ورود شيء وخفضٌ في قعر شيء ومُنخَفَضه. ومن مصاديقه: الغَور من الماء في قعر شيء. وغَور الخيل في داخل محيط العدوّ وسيرُها

إليه. وغور الحبل في نفسه بالفتل. وغَور الأرض في نفسها إذا كانت منحطّة. والغور في موضوع علميّ بالتحقيق فيه. وغور الجبل في قطعة منه حتّى يتحصّل منه الغار. وغور في البدن وانخفاض فيه كما في الفرج والفم. وهكذا.

والغارة إسم لما يتحصّل من الغَور: كما في غار الجبل وفي الغارة.

إن أصبحَ ماؤكُم غَوْراً فَمن يأتيكُم بماءٍ مَعين ـ ٦٧ / ٣٠.

أو يُصبحُ ماؤها غَوْراً فَلَن تَستَطيعَ لَهُ طلباً ـ ١٨ / ٤١.

الآية الأُولى في مقام التـوحيد والإيمان بالله ـ قُل هوَ الرَّحمٰنُ آمَـنّا بِهِ وعَلَيه تَوَكَّلنا.

والثانية في مقام إثبات عجز العبد ولزوم التوجّه إلى مشيّة الله وحَوله وقوّته:

ولَولا إذ دخلتَ جنَّتَكَ قلتَ ما شاءَ الله ولا قوَّةَ إلّا باللهِ.

وعلى هذا عبَّر فيها بقوله:

فَلَن تَستَطيعَ لَهُ طَلباً.

والمراد صيرورة الماء في حالة الخسف والانخفاض إلى عمق الأرض، وهـذا التعبير أحسن من التعبير بالغائر، فإنّ الاتّصاف بالغور أعمّ من أن يكون شأنيّاً أو فعليّاً. بخلاف الغور مصدراً.

لَو يَجدونَ مَلجأً أو مَغاراتٍ أو مُدَّخَلاً لَوَلَّوا إليهِ وهُم يَجمَحون ـ ٩ / ٥٩.

إذ أخرَجَهُ الَّذينَ كَفَروا ثانيَ اِثنين إذ هُما في الغارِ إذ يَقول لصاحِبه لا تَحزَنْ إنَّ اللهَ مَعَنا ـ ٩ / ٤١.

الغار إسم من الغَور، بمعنى ما يكون فيه غَور وهو أعمّ من أن يكون صغيراً أو كبيراً، وإطلاقه فيما يكون طبيعيّاً، بخلاف المَغارة فإنّـه إسم مكان بمعنى المحلّ الّذي

يُغار فيه، ويطلق غالباً على الغار الّذي يختار الغور فيه. والمُدَّخل إسم مكان من باب الافتعال كالادتخال، قلبت التاء دالاً، ويدلّ على الاختيار.

وأمّا إفراد المَلجأ والمُدَّخَل، وجمع المَغارات: فإنّ الملجأ والمدّخل يتصوّر كلّ منهما على نحوين، على نحو محدود ضيّق، أو على نحو وسيع يَسع جماعة كثيرةً، وهذا بخلاف المحلّ الّذي يُغار فيه، فلا يصدق الغور إلّا في مَدخل ضيّق.

وأمّا جريان الغار: فتدلّ الآية الكريمة: على أنّ إخراج الكفّار كان متوجّهاً إلى الرسول (ص) فقط دون صاحبه ـ **إذ أخرجَه**.

وعلى أنّ صاحبه قد حزن وكان مضطرباً ـ **لا تَحزَنْ إنَّ اللهَ مَعَنا**.

وعلى أنّ الحزن كان مستمرّاً ـ **إذ يقولُ لِصاحِبِهِ** ـ فإنّ المضارع يدلّ على الاستمرار والتوقّع.

وعلى أنّ السكينة والتأييد بالجُنود قد تَعلّق بالرسول فقط ـ **فأنزَلَ اللهُ سَكينَتَهُ عَلَيه وأيَّدَهُ بِجُنود** ـ فإنّ الضمير مفرد.

والكلام في نصر الله تعالى لرسوله ـ **فَقَد نَصَرَه اللهُ إذ أخرَجَه**.

فهذه المصاحَبة لا تدلّ على فضيلة، إن لم تدل على طعن فيه.

* * *

غوص:

مقا ـ غوص: أصل صحيح يدلّ على هجوم على أمر متسفِّل. من ذلك الغَوص: الدخول تحت الماء. والهاجم على الشيء غائص. وغاصَ على العلم الغامِض حتّى استنبطه.

مصبا ـ غاصَ على الشيء غَوصاً من باب قال: هجَم عليه، فهو غائِص،

وجمعه غاصَة مثل قائف وقافَة، وغَوّاص أيضاً مبالغة، وغاصَ في الماء لاستخراج ما فيه، ومنه قيل غاصَ على المعاني: كأنّه بلغ أقصاها حتّى استخرج ما بَعُدَ منها.

صحا ـ الغَوص: النزول تحت الماء، وقد غاص في الماء. والهاجم على الشيء غائص. والغَوّاص الّذي يَغوص في البحر على اللؤلؤ، وفعلُه الغِياصة. وفي الحديث ـ لُعِنت الغائصةُ والمَغوصة ـ فالغائصة: الحائض الّتي لا تُعلِم زوجَها أنّها حائض فيُجامعُها. والمَغوصة: الّتي لا تكون حائضاً فتقول لزوجها إنّي حائض.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ورود إلى باطن شيء وتحرّك فيه، مادّياً أو معنويّاً ـ راجع ـ غمر.

والحائض باعتبار غوصه في دم الحيض يقال إنّها غائص. وإذا كانت بريئة منه ونسبت إليه فهي مَغوصة.

وَسَخَّرنا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بأمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أصابَ وَالشَّياطينَ كُلُّ بَنّاءٍ وَغَوّاصٍ ـ ٣٨ / ٣٧.

وَسَخَّرنا لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ عاصِفَةً ... وَمِنَ الشَّيَاطينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذٰلِكَ ـ ٢١ / ٨٢.

الغوص ورود إلى داخل شيء وتحرّك أو تحقيق فيه، بحراً كان أو غيره، وهذا يتناسب مزاجهم في جهة اللطافة فيهم، إن اُريد من الشياطين: شياطينُ الجنّ.

ويمكن أن يراد شيطان الإنس، فإنّ الشيطان مَن مالَ عن الحقّ وتحقّق فيه العوج والالتواء، فهو حينئذٍ أشدّ تمايلاً إلى الغوص في المادّيّات.

وتسخير سليمان الشياطين من الجنّ: من باب الإعجاز ومن جانب الله تعالى وبقدرته، وقد صرّح به في الآيتين ـ وسَخَّرنا، وهذا كالريح.

* * *

غوط:

مقا ـ أصل صحيح يدلّ على اطمينان وغور، من ذلك الغائط: المطمئِنّ من الأرض، والجمع غِيطان وأغواط. وغُوطَةُ دمشق يقال إنّها من هذا، كأنّها أرض منخفِضة. وربّما قالوا: إنغاطَ العُود: إذا تثنّى، وإذا تثنّى فقد انخَفض. وقياسه صحيح.

مصبا ـ الغائط: المطمئنّ الواسع من الأرض، ثمّ أطلق الغائط على الخارج المستقذَر من الإنسان، كراهةً لتسميته بإسمه الخاصّ، ثمّ اشتقّوا منه وقالوا تَغوَّط الإنسانُ.

التهذيب ٨ / ١٦٥ ـ عن ابن الأعرابيّ: يقال للرجل غُطْ غُطْ، إذا أمرتَه أن يكون مع الجماعة إذا جاءت الفتن، وهم الغاطُ، يقال ما في الغاطِ مثلُه، أي في الجماعة. وقال الليث: الغُوطة: موضع بالشام كثيرُ الماء والشجر. والغائط: المطمئنّ من الأرض، وجمعه الغِيطان والأغواط، قال: والتغويط كناية عن الحدث، وكان الرجل إذا أراد التبرّز إرتاد غائطاً من الأرض يغيب فيه عن أعيُن الناس، ثمّ قيل للبَراز نفسِه وهو الحَدَث غائطٌ كناية عن النَّجو، إذا كان سبباً له، وقد تَغوَّط الرجل: إذا أحدَث، فهو مُتغوِّط، وغاطَ الرجل في الوادي يَغوط: إذا غاطَ فيه. عن ابن الأعرابيّ: الغوطَة: مجتمَع النبات والماء، ويقال ضَرب فلان الغائط، إذا تبرَّز، وغاطَ فلان في الماء يَغوط، إذا انغمس فيه. وعن الفرّاء: أغوِطْ بئرَك، أي أبعِد قعرَها، وهي بِئر غَويطَة: بعيدة القَعر. أبوعمرو: غاطَ: حفر ودخل، وغاط الرجلُ في الطين. الأصمعيّ: غاط في الأرض يَغيط ويَغوط: إذا غاب. ابن شُمَيل: الغائط: الأرض الواسعة الدَعوة، سمّي

غائطاً لأنّه غاط في الأرض، أي دخل فيها.

صحا ـ غاط في الشيء يَغوط ويَغيط: دخل فيه، ويقال: هذا رملٌ تَغوطُ فيه الأقدام، ويقال أتى فلان الغائطَ.

❊ ❊ ❊

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو انخفاض مع حالة سكون، ومن مصاديقه: الأرض إذا انخفض وسكن وهو الغائط، وكذا الغُوطة. وغاطَ في الرمل أو في الماء أو في الوادي: إذا كان منخفضاً ونازلاً فيها. وأغاطه وغوّطه: إذا جعله منخفضاً مطمئنّاً.

وأمّا الدخول والغيبة والتقعّر واجتماع النبات والماء وغيرها: فهي من آثار الأصل في كلّ مورد، كلّ واحد في مورد.

وإن كُنتُم مرضىٰ أو عَلى سَفَرٍ أو جاءَ أحَدٌ مِنكُم مِن الغائِط ـ ٤ / ٤٣.

الغائط من الأرض ما انخفض من الأرض مطمئنّاً، والمجيء منها كناية عن التبرّز، وهذه الكناية توافق الأدب. وفيها إشارة إلى أنّ التبرّز لازم أن يكون في محلّ مستور محفوظ.

وليعلم أنّ كلّ ما يكون من موضوع مستقبَح يذكر في القرآن المجيد: إنّما يستعمل ويذكر بالكناية، ولا يصرّح به، تأدّباً.

❊ ❊ ❊

غول:

مصبا ـ غاله غَوْلاً من باب قال: أهلَكه، واغتالَه: قتله على غَرّة، والإسم الغِيلة. والغائلة: الفساد والشرّ. وغائلةُ العبد: إباقه وفجوره ونحو ذلك، والجمع

www.attaweel.com

الغوائل. وقال الكسائي: الغوائل: الدواهي. والمِغول: سيف دقيق له قفاً كهيئة السِّكّين. والغُول: من السَّعالي، والجمع الغيلان وأغوال، وكلّ ما اغتالَ الإنسان فأهلَكه: فهو غُول.

مقا ـ غول: أصل صحيح يدلّ على خَتل وأخذ من حيث لا يدرى، يقال غاله يغوله: أخذه من حيث لا يَدري. قالوا: والغَول: بُعد المَفازة، لأنّه يَغتال مَن مَرَّ به. والغُول: من السَّعالي، سمّيت لأنّها تغتال. والغِيلة: الاغتيال، والياء واو في الأصل.

التهذيب ٨ / ١٩٢ ـ الأصمعيّ: هذه أرض تَغتال المشيَ: أي لا يستبين فيها المشيُ من بُعدها وسعتها. وقال الليث: الغَول: بُعد المفازة، وذلك أنّها تغتال سَير القوم. وفي الحديث ـ لا عَدوَى ولا هامةَ ولا غُولَ ـ تزعم العرب أنّها مَرَدة الجنّ والشياطين، وذكروا ذلك في أشعارهم فأبطل النبيّ (ص) ما قالوا. ابن الأعرابيّ: غال الشيءُ زيداً: إذا ذهب به يغوله غَولاً، والغَول: كلّ شيء ذهب بالعقل. أبو عبيد: المِغول: سوط في جوفه سيف، لأنّ صاحبه يغتال به عدوّه من حيث لا يحتسبه أي يُهلكه. قال الأصمعيّ: قتل فلان فلاناً غِيلةً، أي في اغتيال وخفية. ابن السكّيت: غاله: إذا اغتاله، وكلّ ما أهلك الإنسانَ فهو غُول، والغضب غول الحلم.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الشرّ النافذ في شيء، ومن مصاديقه: ما في سعة المفازة وبُعدها. وما يتوهّم ويتخيّل في حيوان موهوم في الأمكنة المخوفة. وما يَنفذ في العقل ويذهب به. والسيف الدقيق في غلاف أو بصورة سوط ففيه خطر زائد. والغضب النافذ في حالة التحلّم. وما يوجب فساداً أو خطراً.

وبينها وبين الموادّ ـ الغور، الغوص، الغوى: اشتقاق أكبر، وباختلاف الحروف

www.attaweel.com

الأواخر تختلف المعاني.

يُطافُ عَلَيهِم بكأسٍ من مَعين... لا فيها غَولٌ ولا هُم عَنها يُنزَفون ـ ٣٧ / ٤٨.

أي لا شرّ ولا فساد ينفذ فيمن يشربه، كما يتراءى في بعض الأشربة اللذيذة المادّية.

وهذا المعنى أي انتفاء الغَول والمضرّة: ملحوظ في كلّ من النعم الأُخرويّة.

فإنّها دار السلام ودار القرار، لَهُم دارُ السَّلامِ عِندَ ربّهم.

فنفي الغَول يدلّ على انتفاء كلّ شرّ ينفذ: من غمّ وابتلاء ومصيبة ومضيقة وتألّم وتحسّر وعذاب ونقمة تؤثّر في النفس.

* * *

غوى:

مصبا ـ غوَى غَيّاً من باب ضرب: إنهمَك في الجهـل، وهو خلاف الرُّشـد، والإسم الغَواية، وهو لَغَيَّةٌ بالفتح والكسر، كلمة تقال في الشتم، كما يقال في الزَّنية. وغَوَى أيضاً: خابَ وضلَّ، وهو غاوٍ، والجمع غُواة، وأغواه: أضلَّه. وغوِي الفصيلُ غوىً من باب تعب: فسدَ جوفُـه من شرب اللبن. والغاية: المَدى، والجمع غـاي وغايات. والغاية: الراية، والجمع غايات. وغييتُ غايـة: بيّنتُها، وغايتك أن تفعل كذا: أي نهاية طاقتك أو فعلك.

مقا ـ غوى: أصلان: أحدهما ـ يدلّ على خلاف الرُّشـد وإظلام في الأمـر. والآخر ـ على فسـاد في شيء. فالأوّل ـ الغَيّ وهو خلاف الرُّشـد والجهلُ بالأمـر والانهماكُ في الباطل، يقال غوَى يَغوِي غَيّاً، وذلك عندنا مشـتقّ من الغَياية، وهي الغُبرة والظلمة تَغشيان كأنّ ذا الغيّ قد غشيه ما لا يرى معه سبيل حقّ. ويقال وقع

القوم في أُغوِيّة، أي داهية وأمر مظلم. والتغاوي: التجمّع، ولا يكون ذلك في سبيل رشد والمُغوّاة: حُفرة الصائد، والجمع مُغوَّيات. فأمّا الغاية: فهي الراية، وسمّيت بذلك لأنّها تظلّ مَن تحتها، ثمّ سمّيت نهاية الشيء غاية، وهذا من المحمول على غيره، وإنّما سمّيت بغاية الحرب، وهي الراية لأنّه يُنتهى إليها كما يرجع القوم إلى رايتهم في الحرب. والأصل الآخر ـ قولهم ـ غَوِي الفصيلُ: إذا أكثر من شرب اللّبن ففسَد جوفه. والمصدر الغَوَى.

التهذيب ٨ / ٢١٨ ـ ابن الأعرابيّ: الغيّ: الفساد، فغَوى ـ أي فسد عليه عيشُه، والغَوّة والغَيّة: واحد. ويقال أغواه إذا أضلّه، وعن بعض الأعراب: غَواه بمعنى أغواه.

صحا ـ الغَيّ: الضلال والخيبة أيضاً، وقد غوَى يغوِي غيّاً وغَوايةً فهو غاوٍ وغَوٍ، وأغواه غيرُه، فهو غَويّ على فعيل. والتغاوي: التجمّع والتعاون على الشرّ. والغاغةُ من الناس: الكثير المختلطون.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يقابل الرُشد، والرشد هو الدلالة إلى الخير والصلاح، فيكون الغيّ هو الهداية إلى شرّ وفساد. قال تعالى:

قَد تبيَّن الرُّشدُ مِنَ الغَيِّ، وإن يَروا سَبيلَ الرُّشد ... وإن يروا سَبيلَ الغيّ يتَّخِذوه سَبيلاً ـ ٧ / ١٤٦.

فمفاهيم ـ الانهماك في الجهل، والخيبة، والضلال، والفساد، والإظلام والداهية: كلّها من آثار الأصل المترتّبة عليه.

والتغاوي يدلّ على مطاوعة في استمرار الغيّ في المفاعلة.

والمُغَوّاة: إسم مكان من التفعيل بمعنى محلّ الهداية إلى الشرّ.

وأمّا الغاية: فهي من مادّة ـ غيي يائيّاً.

ويدلّ على أنّه خلاف الضلال قوله تعالى:

ما ضلَّ صاحبُكُم وما غَوى ـ ٥٣ / ٢.

وعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى ـ ٢٠ / ١٢١.

قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيّ ـ ٢ / ٢٥٦.

وإن يَرَوْا سَبيلَ الغَيّ يَتَّخِذوهُ سَبيلاً ـ ٧ / ١٤٦.

وإخوانُهُم يَمُدّونَهم في الغَيّ ثُمّ لا يُقصِرون ـ ٧ / ٢٠٢.

يراد الاهتداء إلى الشرّ والفساد، لا نفس الشرّ والفساد والضلال، فهو مرتبة ضعيفة من الشرّ والفساد والضلال ومقدّمة إليها، وعلى هذا يذكر نفيه بعد نفي الضلال.

فليس ضلالاً وعصياناً فعليّاً حتّى يوجب العقاب وينافي مقام العصمة والنبوّة، بل هو عصيان وخلاف في مقام إرشاد الله إلى الصلاح، وعلى هذا ذكر العصيان أوّلاً، ثمّ في نتيجته الغواية ـ وَعَصى آدَم رَبَّه فَغَوى ـ مع أنّ الغيّ مقدّمة للعصيان، وإذا تحقّق العصيان المحرَّم الفعلي يتحقّق الغوى قهراً قبله.

ثمّ انّ التبيّن والاتّضاح في قوله تعالى:

قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيّ.

إنّما يتحقّق في سطح الأفكار العامّة بالنسبة إلى الهداية إلى جانب الصلاح والفلاح أو الفساد والخيبة، دون نفس الصلاح أو الفساد. وكذلك في اتّخاذ سبيل الغيّ والرشد.

www.attaweel.com

إنَّ عبادي لَيسَ لَكَ عَلَيهم سُلطانٌ إلّا مَن اتَّبعَكَ مِنَ الغاوين ـ ١٥ / ٤٢.

والشُّعراءُ يَتَّبِعهُم الغاوونَ ـ ٢٦ / ٢٢٤.

وأُزلِفَتِ الجَنَّةُ للمتَّقينَ وبُرِّزَت الجَحيمُ للغاوين ... فكُبكِبوا فيها هُم والغاوُون ـ ٢٦ / ٩١.

فالغاوي مَن يَهتدي إلى الشرّ والفساد ويطلب السلوك إليه، في قبال الراشد وهو من يطلب الصلاح والخير ويهتدي إليه، كما أنّ المتّقي من يحفظ نفسه عن الورود في ما لا يجوز ويحرم عليه.

ولمّا كان الغالب على وجود الشيطان وكذا على الشاعر من حيث إنّه شاعر، جهة الشرّ والفساد: فيكون التابع والمتّبع لهم الّذين يطلبون الشرّ.

والإغواء: جعل الآخر غَويّاً أي طالباً ومهتدياً سبيل الفساد والشرّ.

ربَّنا هؤلاء الَّذينَ أغوَيْنا، أغوَيْناهُم كَما غوَيْنا تَبرّأنا إليكَ ما كانوا إيّانا يَعْبدون ـ ٢٨ / ٩٣.

وأقبلَ بَعضُهُم عَلى بَعض يَتَساءَلون ... وما كانَ لَنا عَلَيكُم مِن سُلطان بَل كُنتُم قَوماً طاغين ... فأغوَيْناكُم إنّا كُنّا غاوِين ـ ٣٧ / ٣٢.

في الآيتين الكريمتين بيان اعتذار من قولهم ـ بأنّا أغويناهم: أي على حسب اقتضاء ما علينا من الغيّ، وما كان لنا قصدُ سوء عليهم أو خلافٌ وعصيان على الله.

وهذه الدعوى إن كانت صحيحة: فيُسألون عن سبب غوايتهم وعن إدامة الجهالة والغواية في سبيل الضلال ـ قَد تَبَيَّنَ الرُّشدُ مِنَ الغَيّ.

وقد خاطبوهم بقولهم ـ وَما كانَ لَنا عَلَيكُم مِن سُلطان بَل كُنتُم قَوماً طاغين ـ فأشاروا أيضاً إلى اعتذارين آخرين في الإغواء: بأنّ الإغواء دلالة إلى فساد، وليس

فيه سببيّة وسلطنة وجبر. وبأنّ الإقبال على الاغواء وقبوله على حسب غيّ وطغيان في النفس.

وَلا يَنفعُكُم نُصْحي إن أردتُ أن أنصحَ لَكُم إن كانَ اللهُ يُريدُ أن يُغويكُم هوَ ربّكُم ـ ١١ / ٣٤.

هذا قول نوح لقومه، وإغواء الله هو دلالته وسوقه إلى جانب الشرّ والضرّ، بعد أن لم يهتَدوا بهُدى ولم يرضوا به واختاروا الشرّ والضلال لأنفسهم.

قالَ فَبِما أغويتَني لأقعُدَنَّ لَهُم صراطَكَ المُستَقيم ـ ٧ / ١٦.

قالَ رَبِّ بِما أغويتَني لأُزيننَّ لَهُم في الأَرض ولأُغوِينَّهُم أجمَعين إلّا عِبادَك ـ ١٥ / ٣٩.

نسبة الإغواء إلى الله: بلحاظ تكليف الشيطان بسجود في مواجهة آدم، ثمّ إخراجه وتنزيله عن مرتبته. ولكنّ هذه أسباب ظاهريّة، وأمّا حقيقة الأمر والعلّة الواقعيّة: هي الاستكبار والأنانيّة في نفسه، حيث قال في جواب أمر الله تعالى به:

أنا خَيرٌ مِنهُ خَلَقتَني مِن نارٍ وخَلَقتَهُ مِن طين.

فصفة الأنانيّة في نفسه: هي الّتي دلّته إلى الشرّ والضرّ. وأمّا الربّ تعالى وتبارك فهو كان دالّاً له إلى الخير والكمال ورفع الأنانيّة الّتي هي حجاب أكبر بينه وبين الله.

فظهر أنّ الإغواء بمعنى الدلالة إلى الشرّ والفساد، لا الإفساد والإضلال فتفسير هذه الآيات الكريمة بالإضلال: غير وجيه ولا يناسب المنظور المراد، فإنّ الواقع في الخارج هو الدلالة إلى الضلال والشرّ، لا الإضلال.

* * *

www.attaweel.com

غيب :

مقا ـ أصل صحيح يدلّ على تستّر الشيء عن العيون، ثمّ يقاس، من ذلك الغيب: ما غاب ممّا لا يعلمه إلّا الله. ويقال غابت الشمسُ تغيب غَيبة وغُيوباً وغَيباً. وغاب الرجل عن بلده. وأغابت المرأة فهي مُغيبة: إذا غاب بعلُها. ووقعنا في غيبة وغَيابة: أي هَبطة من الأرض يُغاب فيها. والغابَة: الأجمَة، والجمع غابات وغاب، وسمّيت لأنّه يُغاب فيها. والغِيبة: الوقيعة في الناس من هذا، لأنّها لا تقال إلّا في غَيبة.

مصبا ـ الغابة: الأجمَةَ من القصب، وهي في تقدير فَعلة، والجمع غابٌ وغابات. وغابَ الشيءُ غَيباً وغِياباً ومَغيباً: بعُدَ، فهو غائب، والجمع غُيَّب وغُيّاب وغَيْب مثل صَحْب. وتغيَّب: مثل غاب أيضاً: وهو التواري في المَغيب. ويَتعدّى بالتضعيف فيقال غيّبته. وإغتابه: إذا ذكره بما يَكره من العيوب وهو حقّ، والإسم الغيبة. وإن كان باطلاً فهو الغيبة في بَهت. والغيب: كلّ ما غاب عنك، وجمعه غيوب. وغَيابة الجُبّ: قعره، والجمع غَيابات.

التهذيب ٨ / ٢١٤ ـ قال شَمِر: كلّ مكان لا يُدرَى ما فيه فهو غيب، وكذلك الموضع الّذي لا يُدَرى ما وراءه. وقال الليث: الغِيبة من الاغتياب، والغَيبة من الغيبوبة. أبو العبّاس عن الأعرابيّ: الغيب: ما غاب عن العيون وإن كان محصّلاً في القلوب.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يقابل الشهادة. قال تعالى ـ عالمُ الغَيبِ والشَّهادَة، وباختلاف الشهادة وبالنسبة إليها يختلف مفهوم الغيب. فالشهادة بمعنى الحضور، والحضور إمّا بالحضور المكانيّ، أو بالحضور عند الحواسّ الظاهرة، أو

بحضور في النظر والعلم، أو بحضور في مقام المعرفة والبصيرة، وفي قبال كلّ من هذه المراتب الأربعة غيب.

فالأوّل كما في:

لا تَقتُلوا يوسفَ وألقوه في غَيابَةِ الجُبِّ ـ ١٢ / ١٠.

أي في نقطة غائبة من الجُبّ. وفَعالة من أوزان المصدر كالشَّرافة والكرامة، ويبنَى ممّا يدلّ على امتداد في حالة أو صفة، بقرينة الفتحة والألف.

والثاني كما في:

فَقالَ ما لي لا أرَى الهُدهُدَ أم كانَ مِن الغائِبين ـ ٢٧ / ٢٠.

يراد غيبته عن الحضور وعن النظر وعن المَرأى والمَسمع.

والثالث كما في:

ويَقولونَ خَمسَةٌ سادسُهُم كَلبُهُم رَجْماً بالغَيب ... قُل اللهُ أعلَمُ بِما لَبِثوا لَهُ غَيبُ السَّمٰواتِ والأَرض ـ ١٨ / ٢٢.

يراد ما غاب عن علمهم.

والرابع كما في:

عالِمُ الغَيب فَلا يُظهِرُ عَلى غَيْبِه أحداً ـ ٧٢ / ٢٦.

وفي مطلق الغيب كما في:

عالِمُ الغَيب والشَّهادَةِ العزيزُ الرَّحيم ـ ٢٣ / ٦.

عالِمُ الغَيب والشَّهادَةِ وهوَ الحَكيمُ الخَبير ـ ٦ / ٧٣.

ومن الغَيب مرتبة خامسة: وهو ما يختصّ علمه بالله تعالى، فإنّ الله تعالى يُظهر من الغيب مقداراً محدوداً لرسله وأوليائه على حسب استعدادهم وبمقتضى تحمّلهم

وحاجاتهم في أنفسهم وفي مقام الرسالة.

وهذا المعنى هو في قبال مطلق الشهادة الّتي تكون في المراتب الأربعة، من شهادة العوامّ، والخواصّ وخواصّ الخواصّ وهم الأنبياء.

وعِندَهُ مَفاتِحُ الغَيْب لا يَعلمُها إلّا هوَ ويَعلمُ ما في البرِّ والبَحر وما تَسقطُ مِن وَرَقة إلّا يعلمها ـ ٦ / ٥٩.

عالِمُ الغَيْبِ فلا يُظهِرُ عَلى غَيْبِهِ أحَداً إلّا مَن ٱرْتَضى مِن رَسول ـ ٧٢ / ٢٦.

تِلكَ مِن أنباءِ الغَيبِ نوحيها إليكَ ما كُنتَ تعلمُها أنت ـ ١١ / ٤٩.

ولا يُحيطونَ بشَيء مِن عِلمِهِ إلّا بِما شاء ـ ٢ / ٢٥٥.

نعم إنّ الله تعالى وتبارك لا نهاية لنوره ولا حدّ له وهو الأوّلُ والآخِرُ والظاهِرُ والباطنُ، وكذلك علمُه، فهو غير محدود ولا منتهى له، فإنّ علمه عين ذاته، ولا تعدّد إلّا بالاعتبار وفي مقام التفهيم.

وأمّا علم سائر خلقه: فهو محدود وممّا يُعلّمهم الله من علمه.

فظهر أنّ للغيب خمسَ مراتبَ: إثنتان منها مادّيّتان، وإثنتان معنويّتان، والخامسة منها تتحقّق في كلّ من المادّيّ والمعنويّ.

وهذه المراتب تختلف باختلاف الخلق علماً وإحاطة وشهوداً. وأمّا الله تعالى وتبارك: فلا غيبَ عنده ـ عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَة.

فللإنسان أن يتوجّه بأنّ علمه محدود كوجوده، وشهوده للغيب كقَطرة من بحر الغَيب، كما أنّ وجوده كقطرة من بحر الوجود المطلق، وكلّما وسِع علمه ودقّ نظرُه ونفذ بصره: فهو في محدودة وجوده.

فالإنسان لا يمكن أن يحيط بكلّ شيء ويشهد كلّ شيء، حتّى لا يبقى له غيب،

إلّا أن يعتقد بأنّ العالم محدود بعلمه المحدود، وليس ماوراء شهوده خبر ولا أثر من وجود. وهذا غاية الجهل ونهاية المحدوديّة.

وعلى هذا ابتدأ كتاب الله المجيد بقوله تعالى:

الَّذينَ يؤمنون بالغَيبِ ويُقيمونَ الصَّلاة.

فإنّ الإيمانَ بالغيب أوّلُ مفتاح للعلم والترقّي.

إنَّما تُنذرُ مَن اتَّبعَ الذِّكر وخَشِيَ الرَّحمٰنَ بالغَيب ـ ٣٦ / ١١.

إنَّ الَّذينَ يَخْشونَ رَبّهم بالغَيبِ لَهُم مَغفرَةٌ وأجْرٌ كَبيرٌ ـ ٦٧ / ١٢.

وأمّا الاغتياب: فهو افتعال، ويدلّ على اختيار الفعل، ويراد اختيار الورود في غيبة بالنسبة إلى عمل وموضوع.

* * *

غيث:

مصبا ـ الغيث: المطر، وغاثَ الله البلادَ غيثاً من باب ضرب: أنزل بها الغيث، فالأرض مَغيثةَ ومَغيوثة، ويُبنَى للمفعول فيقال غِيثَت الأرضُ تُغاث. وغاث الغيثُ الأرضَ غيثاً: نزل بها. وسمّي النبات غيثاً: تسمية بإسم السبب.

مقا ـ غيث: أصل صحيح، وهو الحيا النازل من السماء، يقال جادَنا غـيث، وهذه أرض مَغيثة، وغِثنا: أي أصابَنا الغَيث. قال ذو الرُّمَّة ـ ما رأيت أفصح من أمة آلِ فُلان. قلتُ لها: كيف كان المطر عندكم؟ قالت: غِثنا ما شئنا.

التهذيب ٨ / ١٧٦ ـ وقد غاثَ الله البلاد يَغيثها غَيثاً: إذا أنزل بها الغيثَ، وقد غِيثَت الأرضُ تُغاث، وهي أرض مَغيثة ومَغيوثة. وقال الليث: الغَيْث: المطر، يقال غاثَهم اللهُ، وأصابهم غيث. قال، والغيث: الكَلأ يَنبت من ماء السماء.

* * *

www.attaweel.com

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الغَوث النازل وهو المطر، فإنّ الغوث كما سبق هو الإنقاذ من ابتلاء وشدّة وجعل شيء في الكنف، والغيث هو المعنى بقيد النزول، ويدلّ على التنزّل والانحطاط: قلب الواو ياءً، فبينهما اشتقاق أكبر.

والفرق بين المادّة والمطر والحَياء: أنّ الغَيث يلاحظ فيه جهة الغَوث، حيث كان الغيث انقاذاً للناس أو النبات من الظَّمأ واليُبس. والمطر يلاحَظ فيه جهة النزول من السماء فقط. والحياء يلاحظ فيه جهة الحياة.

ثُمَّ يأتي مِن بَعدِ ذلِكَ عامٌ فيه يُغاثُ النّاس - ١٢ / ٤٩.

وان يَستغيثوا يُغاثوا بماء كالمُهل يَشوي الوجوهَ - ١٨ / ٢٩.

الآيتان محتمل كونهما من مادّة الغوث أو من مادّة الغيث: فالنظر في الأوّل إلى الانقاذ بوسيلة الغيث. وفي الثاني إلى الغيث بعنوان الإنقاذ.

ويُنزّل الغيثَ ويَعلَم ما في الأَرحام - ٣١ / ٣٤.

وهوَ الَّذي يُنزِّل الغَيثَ مِن بَعد ما قَنطوا ويَنشرُ رَحمته - ٤٢ / ٢٨.

كَمَثلِ غَيْثٍ أعجَبَ الكفّارَ نباته ثُمَّ يَهيج فَتَراهُ مُصفَرّاً - ٥٧ / ٢٠.

يراد فيها المطر، ويؤيِّد ما ذكرنا: ذكره بكلمة التنزيل، بخلاف المطر فإنّ النزول جزء من مفهومه، فقال تعالى:

وأمطَرْنا عَلَيهم مَطَراً فساءَ مَطَرُ المُنذَرين - ٢٧ / ٥٨.

وأيضاً -ذكر جملة- مِن بَعدِ ما قَنَطوا -يدلّ على حالة الابتلاء والشدّة المقتضية لنزول الغوث والغيث.

وأمّا تمثيل الحَياة الدنيا ـ إنَّما الحَياةُ الدُّنيا لَعِبٌ ولَهوٌ ... كَمَثلِ غَيْث ـ بالغيث: فإنّ المطر في مورد شدّة الحاجة إليه يَنزل من السماء ويوجب بهجة ونضرة ويجعل النبات خضراً جالباً، ثمّ تمتدّ هذه الخضارة إلى زمان محدود.

* * *

غير:

مقا ـ غير: أصلان صحيحان يدلّ أحدهما على صلاح وإصلاح ومنفعة. والآخر على اختلاف شيئين. فالأوّل ـ الغِيرة، وهي المِيرة بها صلاح العيال، يقال غِرت أهلي غِيرة وغِياراً، أي مِرتُهم. وغارهم اللهُ بالغيب يَغيرهم ويَغورهم، أي أصلح شأنهم ونفعَهم. ويقال ما يَغيرك كذا، أي ما ينفعك. ومن هذا الباب الغَيرة غَيرة الرجل على أهله، تقول غِرتُ على أهلي غَـيرةً، وهذا عندنا من البـاب لأنّها صلاح ومـنفعة. والأصل الآخر ـ قولنا هذا الشيء غَيرُ ذاك، أي هو سـواه وخلافـه. ومن البـاب الاسـتثناء بغير، تقول: عشرةٌ غيرُ واحد، ليس هو من العشرة. فأمّا الدِيـة: فإنّها تُسمّى الغِـير، لأنّ في الدية صلاحاً للقاتل وبقاء له ولدمِـه. ويحتمل أن يكون من الأصل الثاني، لأنّه قَوَد فغُيّر إلى الدية، أي أُخذ غَير القَوَد.

مصبا ـ غارَ الرجلُ أهله غيراً من باب سار، وغِياراً: مارَهم، أي حمل إليهم الغِيرة، والجمع غِيَر. وغار يَغير ويَغور: إذا أتى بخير ونفع، ومنه اللّهمّ غِرنا بخـير، وغار الرجلُ على امرأته والمرأة على زوجها يُغار من باب تَعِب غَيراً وغَيْرة وغاراً، ولا يقال غِيرة وغِيراً بالكسر، فالرجل غَيور وغَيران، والمرأة غَيور أيضاً وغَـيرى، وجمع غيور غير مثل رُسل وجمع غيران وغيرىٰ غيارىٰ بالضمّ والفتح، وأغار الرجلُ زوجته: تزوّج عليها فغارت عليه. وغير: يكون وصفاً للنكرة، تقول جاءني رجل غيرُك. وغيّرت الشيءَ تغييراً: أزلته عمّا كان عليه، فتغيَّر.

التهذيب ٨ / ١٨٩ ـ قال الليث: غير: يكون استثناءً، مثل ـ هذا درهم غيرَ دانق، معناه إلّا دانقاً. ويكون إسماً ـ تقول مررت بغيرك، وهذا غيرُك. وقال الفرّاء: معنى غير معنى لا، ولذلك رُدّت عليها لا ـ تقول: فلان غيرُ مُحسِن ولا مُجمِل، وإذا كانت بمعنى سِوى لم يَجز أن يكرّ عليها، ألا ترى أنّه لا يجوز أن تقول عندي سوى عبدالله ولا زيد.

مغني اللبيب ـ غير: إسم ملازم للإضافة في المعنى، ويجوز أن يُقطَع عنها لفظاً إن فُهم معناه وتقدّمت عليها كلمة ليس. وقولهم ـ لا غير: لحن. وتستعمل المضافة على وجهين: أحدهما ـ وهو الأصل، أن تكون صفة للنكرة، أو لمعرفة قريبة منها ـ غَير المَغضوبِ عَلَيهِم، لأنّ المعرّف الجنسي قريب من النكرة. والثاني ـ أن تكون استثناءً، فتعرب بإعراب الإسم التالي.

* * *

والتحقيق:

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يقرب من مفهوم سِوى، أي ما يكون سِوى الشيء، وهو أعمّ من مفهوم المقابل والضدّ، فإنّ التضادّ والتقابل لا يؤخذان في مفهومها.

والتغيير: جعل شي متحوّلاً إلى سواه أو جعل مغاير للشيء. والغير: هو ما سوى الشيء، وبمناسبة هذا المفهوم يلزم أن يضاف إلى شيء.

وأمّا قولهم ـ غارهم يغيرهم بمعنى مارَهم: فهو من مصاديق الأصل، فإنّ معنى الغَير مصدراً صيرورة شيء سواه، وفي المورد يصير الرجل متولّياً ونافعاً ومباشراً لأُمورهم، فصار غَيرهم وقام في مقامهم، ولا يبعد أن يكون هذا الاشتقاق بمعنى المِيرة انتزاعيّاً.

www.attaweel.com

ومن هذا المعنى: غَيرة الرجل على أهله، وهو أن يتولّى بحفظ منافعهم.

وأمّا كلمة غير: فالتحقيق أنّه إسم من المادّة، وإعرابه إمّا على كونه وصفاً تابعاً، أو على الحاليّة كما في صورة الاستثناء أو بعوامل أخرى.

قَولاً غَيرَ الَّذي قيلَ لَهُم، أو دَينٍ غَير مُضارّ، عَذابٌ غَيرُ مَردود، بغيرِ عَمَد، أنَّكُم غيرُ مُعجِزِي الله، أغيرَ الله تَدعون، إلّا ما يُتلى عَلَيكُم غيرَ مُحلّي الصَّيْد، تَقولون عَلى اللهِ غيرَ الحقّ.

فالمعنى في كلمة التغيير: جعلُ شيء سوى حالته الأوّليّة، وهذا على ما هو الأصل:

إنَّ الله لا يُغيّر ما بقوم حتّى يُغيّروا ما بأنفُسِهم ـ ١٣ / ١١.

ذلكَ بأنَّ اللهَ لَم يَكُ مُغيِّراً نِعمةً أنعمَها عَلى قَوم حَتّى يُغيِّروا ما بأنفُسِهم ـ ٨ / ٥٣.

فإنّ الرحمة والنعمة واللطف إنّما تنزل من الله الحكيم على حسب اقتضاء المحلّ وبحسب مقدار سعة فيه، وعلى وفق الاستعداد والقابليّة، فإذا تغيّر المحلّ سعة وضيقاً وقابليّة واستعداداً واستقبالاً: تغيّرت كيفيّة الرحمة والنعمة وكمّيّتها إلى أن تصير نقمة وعذاباً:

أنزلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَت أوديَةٌ بقدَرها ـ ١٣ / ١٧.

فللإنسان أن يُزكّي نفسه ويُصلحه، وأن يدفع عنه الزيغ والضيق والظلمة والاضطراب، حتّى يستعدّ لنزول النور والرحمة.

ولأُضِلَّنَّهم ولأُمَنِّيَنَّهم ولآمُرنَّهم فليُبَتِّكُنَّ آذانَ الأنعام ولآمُرنَّهُم فليُغيِّرُنَّ خَلقَ الله ـ ٤ / ١١٨.

فإنّ عيش الإنسان وحياته يكون سالماً وصالحاً إذا كان على وفق الطبيعة،

www.attaweel.com

والطبيعة المستفادة في المعيشة: إمّا في خَلق أنفسهم وفيما يتعلّق بهم، أو فيما يستفيدون منها في إدامة حياتهم.

والخلق هو الإيجاد على كيفيّة مخصوصة، وهذا هو القسم الأوّل، أي الطبيعة المستفادة في خلق أنفسهم أو ما يتعلّق بهم.

وآذان الأنعام هو القسم الثاني من الطبيعة المستفادة منها في إدامة الحياة، فإنّ الأُذُن صفة بمعنى المطّلع الراضي الموافق، وجمعه الآذان. والأنعام جمع النَّعَم على وزان فَرَس وحَسَن، باعتبار كونه من النَّعمة بمعنى الرفاهية.

فمن أراد حسن المعيشة والتنعّم: لازم له أن يسير في مسير الطبيعة، وعلى المجرى الطبيعيّ، ويعمل موافقاً لها وعلى اقتضائها، دون أن يغيّر الخلق عن كيفيّته الخاصّة به، وعن فطرته السالمة الّتي خلق عليها، حتّى يصير الإنسان حيواناً ويسير على خلاف ما خلق له من الكمال الإنسانيّ.

وكذلك بالنسبة إلى الأنعام الّتي توافق ذاتاً أن تستفاد منها بالطبع، فإنّها آذان راضية موافقة في تنعّم الإنسان، فلا يصحّ أن تُخرج عمّا جعلت له:

والأنعامَ خَلَقَها لَكُم فيها دِفءٌ ومَنافعُ ومِنها تأكُلون ـ ١٦ / ٥.

راجع ـ نعم، اذن، خلق.

والعادِياتِ ضَبْحاً فالمورياتِ قَدْحاً فالمُغيراتِ صُبْحاً ـ ١٠٠ / ١ ـ ٣.

هذه الآية الكريمة تشير إلى مراحل سير الإنسان: في المرحلة الأُولى سير وحركة مع اضطراب إلى مراحل النور من الطبيعة. وفي الثاني مجاهدة وعمل وطاعة وعبادة يوجب تنوّراً وظهور روحانيّة، وفي الثالث تغيير كدورة وتلوّن في القلب إلى الصباحة والصفاء.

راجع ـ عدو.

❊ ❊ ❊

غيض :

مصبا ـ غاضَ الماء غَيضاً من باب سار ومَغاضاً: نَضَب أي ذهب في الأرض. وغاضَـه الله، يَتعدّى ولا يَتعدّى، فالماء مَغيض، والمكان الّذي يغيض فيه مَغيـض. وغِضتُه: فجرته إلى مَغيض. وغاض الشيء: نقص منه، يقال غاض ثمنُ السلعة إذا نقص. وغِضتُه: نقصته، يستعمل لازماً ومتعدِّياً. والغيضة: الأَجَمَة وهي الشجر الملتفّ، وجمعه غِياض وغيضات.

مقا ـ غيض: أُصيل يدلّ على نقصان في شيء، وغموض وقلّة، يقال غاضَ الماء يغيض: خلاف فاض. وغيضَ: إذا نقصـه غيره، وأمّا الغُمـوض: فـالغيضـة: الأجَمَة، سمّيت لغُموضها، ولأنّ السائر فيها لا يكاد يُرى.

صحا ـ غاض الماءُ: قلّ ونضَب، وانغاض مثلُه، وغِيض الماءُ: فُعل به ذلك، وغاضَه الله وأغاضه أيضاً. وغاضَ الثمنُ وغِضتُه أنا. وغيّضت الدمعَ: نقصته وحبَسته. ويقال غاض الكِرام أي قلّوا، وفاضَ اللِّئام أي كثروا.

مفر ـ غاض الشيءُ وغاضـه غيرُه: نحو نقصَ ونقصَـه غيرُه. قال: وغِيضَ الماءُ، وما تَغيض الأرحامُ ـ أي تُفسِده الأرحامُ، فتجعله كالماء الّذي تبتلعُـه الأرض. والغَيضة: المكان الّذي يقف فيه الماءُ فيَبتلعُه. وليلة غائضة: مظلِمة.

❊ ❊ ❊

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو ما يقابل الفَيَـضان، فإنّ الفيـضان تحرّك إلى جانب الظهور، والغَيض تحرّك إلى جانب الانتـفاء، فالغَيض انتـفاء بالتدريج ونَفاد شيئاً فشيئاً، بأيّ نحو كان.

والنَّضب: نفاد في حالة جريان، نضب الماء والعمر.

والحَبس: توقيف في مكان معيّن.

والقِلّة: في قبال الكثرة.

والنَقص: في قبال الزيادة.

والغَور: ورود في قعر شيء ومُنخَفضه.

فمفاهيم ـ النقص والقلّة والحبس: من آثار الأصل.

وقيلَ يا أرضُ إبلَعي ماءَكِ ويا سماءُ أقلِعي وغيضَ الماء وقُضِيَ الأمْر ـ ١١ / ٤٤.

فالغَيض استعمل بعد الأمر بالبلع والإقلاع، فهو الحاصل منهما ونتيجتهما، وليس بمعنى الذهاب في الأرض، فإنّ الغَيض في الآية بعد أمر بالبَلع من الأرض والإقلاع من السماء، وما يتحصّل من الحالتين، وليس مختصّاً بنضب في الأرض.

فيكون مفهومه مطلقَ جريان بالتدريج إلى جانب النفاد.

اللهُ يَعلَمُ ما تَحمِلُ كُلّ أُنثى وما تَغيضُ الأرحامُ وما تَزدادُ ـ ١٣ / ٩.

يراد حصول جريان في الرحم ينتهي إلى نفاد في النطفة بالتدريج، أو غيرها من الدماء الثلاثة، وما تزداد منها ومن غيرها.

والمراد ممّا تَحمِلُ: هو مطلق المحمول ذكراً أو أُنثى أو من جهة الخصوصيّات والحالات فيه، وهذا راجع إلى أصل الموضوع. وأمّا ما تغيض الأرحام: فهو راجع إلى جريان بعد حدوث الموضوع، من الاستقرار والإدامة أو السير إلى النفاد والفوت والزوال.

* * *

www.attaweel.com

غيظ :

مفر ـ الغيظ: أشدّ غضب وهو الحرارة الّتي يجدها الإنسان من فَوَران دم قلبه. وقد دعا اللهُ الناس إلى إمساك النفس عند اعتراء الغيظ ـ والكاظِمينَ الغَيظ. والتغيّظ: هو إظهار الغيظ، وقد يكون ذلك مع صوت مسموع ـ سَمِعوا لَها تَغيّظاً.

مقا ـ غيظ: أُصيل فيه كلمة واحدة يدلّ على كَرب يلحق الإنسان من غيره، يقال غاظَني يَغيظني، وقد غِظتَني يا فلان، ورجل غائِظ وغَيّاظ.

مصبا ـ الغيظ: الغضب المحيط بالكبد وهو أشدّ الحنق، وهو مصدر من غاظه الأمرُ من باب سار. ابن الأعرابيّ: غاظَه ويَغيظه وأغاظَه، وإسم المفعول من الثلاثيّ مَغيظ. واغتاظ فلان من كذا، ولا يكون الغيظ إلّا بوصول مكروه إلى المغتاظ. وقد يقام الغيظ مقام الغضب في حقّ الإنسان فيقال اغتاظ من لا شيء، كما يقال غضب من لا شيء، وكذا عكسه.

التهذيب ٨ / ١٧٣ ـ قال الليث: غِظت فلاناً أغيظُه غَيظاً، والمغايَظة: فعل في مهلة منهما جميعاً. والتغيّظ: الاغتياظ، وقد اغتاظَ عليه وتَغيّظ.

صحا ـ الغيظ: غضبٌ كامِنٌ للعاجز، يقال غاظَ فهو مَغيظ.

* * *

والتحقيق :

أنّ الأصل الواحد في المادّة: هو الغضب الشديد الكامن في القلب. وبهذين القيدين يمتاز عن الغضب، فإنّ الغضب أعمّ من أن يكون شديداً أو معتدلاً أو خفيفاً، وكامناً أو ظاهراً.

www.attaweel.com

وإذا أُريد إظهاره يستعمل بصيغة تفَعَّل أو افتَعل، الدالّين على الطَّوع والاختيار، فيقال: تَغيّظَ واغتاظَ، أي اختار الغيظ وأظهره.

الَّذينَ يُنفقون في السَّرّاءِ والضَّرّاءِ والكاظِمينَ الغَيْظَ ـ ٣ / ١٣٤.

يراد حبس الغيظ وتحليله في النفس لئلّا يدوم حتّى يظهر أثره.

ولِلَّذينَ كَفَروا بربّهم عَذابُ جَهَنَّمَ وبِئسَ المَصير إذا اُلقوا فيها سَمِعوا لَها شَهيقاً وهيَ تَفور تكادُ تَميّزُ مِن الغَيظ ـ ٦٧ / ٨.

إذا رأتهم مِن مَكانٍ بَعيدٍ سَمِعُوا لَها تغيّظاً وزَفيراً ـ ٢٥ / ١٢.

الشَّهيق: التنفّس والجذب للهواء. والزَفير: دفع ما يتحصّل في الرئة من الهواء الحارّ المتأثّر. فالشهيق في جهنّم باعتبار جذبها الكافر في داخلها، وهذا جريان طبيعيّ لها للتجانس، فإنّ باطن الكافر شعبة منها، والتمايل في الجنسين المتوافقين أمر طبيعيّ.

وأمّا الزفير في الآية الثانية: فباعتبار دفع ما يتحصّل في داخلها من حرارة التغيّظ، إذا رأوها من مكان بعيد. ولا يجوز لها الجذب والشهيق إلّا بعد أن يتحقّق دخولهم فيها واُلقوا فيها.

وأمّا التغيّظ وشدّة الغضب والحِدّة في باطنها: فهو بمقتضى طبيعتها، وطبيعةُ جهنّم جُعلت على الحدّة والحرارة والغيظ، وهذا التغيّظ يشاهَد من مكان بعيد، لا أنّ التغيّظ يتحصّل فيها برؤيتهم.

ولا يرى لها زفير في قبال الّذين اُلقوا فيها، فإنّه يوجب تبرّداً وتخفيفاً.

وأمّا سَماع صوت الشهيق منها: فهذا أمر يناسب عالم الآخرة، ولا يمكن قياسه بضوابط عالم المادّة، أو معرفة كنهه بأفكارنا.

قُل موتوا بغيظكُم إنَّ الله عَليمٌ بِذاتِ الصُّدور ـ ٣ / ١١٩.

ولا يَطأونَ مَوْطِئاً يَغيظ الكُفّارَ ولا يَنالون ـ ٩ / ١٢٠.

وإذا خَلَوْا عَضّوا عَلَيكُم الأناملَ مِن الغَيظ ـ ٣ / ١١٩.

يراد شدّة الغضب وحدّته في باطن الكفّار من جهة عداوتهم ومخالفتهم للمسلمين.

ثمّ إنّ الغيظ إنّما يوجد في النفس بمقابلة ما يولم ويخالفها، وهو أعمّ من أن يكون على حقّ أو على باطل.

والغيظ إذا كان في جهة شرعيّة وفي الله: يتعقّبه العمل والمخالفة على حسب التكليف الثانوي. وأمّا إذا كان في جهة عرفيّة: فالوظيفة فيها هي الكَظم والحبس والتحليل ـ والكاظِمينَ الغَيظَ.

والمطلوب هو التسلّط على النفس بحكم العقل والشرع.

ولا حَولَ وَلا قوّةَ إلّا باللهِ العَليِّ العَظيم.

هذا آخر الكلام في حرف الغين المعجمة، وبه تمّ المجلّد السابع من كتاب التحقيق في كلمات القرآن المجيد، ويتلوه المجلّد الثامن وأوّله حرف العين، ونستمدّ من الله المتعال ونستعينُه في إتمامه وإتمام سائر المجلّدات، إنّه وليّ التوفيق.

وكان تاريخ الإتمام في ٢٠ جُمادى الأُولى من سنة ١٤٠٢ـ هـ = ١٣٦٠/١٢/٢٥ في بلدة قم المشرّفة.

www.attaweel.com

الكتُبُ المنقولة عنها في الكتاب

أسا = أساس البلاغة للزمخشري، طبع مصر، ٣٧٢ ـ هـ .

الإشتقاق: لابن دُرَيد، طبع مصر، ١٣٧٨ ـ هـ .

البَدء والتاريخ: للمقدّسي، طبع باريز، ٦ مجلّدات، ١٩١٩ ـ م.

البَهجة المرضيّة في شرح الألفيّة للسيوطي، طبع إيران.

تاريخ ابن الوردي، جزآن، طبع مصر، ١٢٨٥ ـ هـ .

تاريخ سينا لنعوم بك، طبع مصر، ١٩١٦ ـ م.

التهذيب ـ تهذيب اللغة للأزهريّ، طبع مصر، ١٩٦٦ ـ م، ١٥ مجلّداً.

تورات للاويّين، طبعة هودكسون.

الجَمهرة ـ جَمهرة اللغة لابن دُرَيد، طبع حيدرآباد، ١٣٤٤ ـ هـ ، ٤ مجلّدات.

حَياة الحيوان للدَّميري، طبع مصر، مجلّدان، ١٣٣٠ ـ هـ .

شرح الكافية للجامي في النحو، طبع إيران.

صحا = صحاح اللّغة للجوهريّ، طبع إيران، ١٢٧٠ ـ هـ .

صَموئيل الأوّل والثاني من العهد القديم، طبع بريطانيا.

الفُروق اللغويّة لأبي هِلال العسكريّ، طبع قاهرة، ١٣٥٣ ـ هـ .

قاموس الكتاب المقدّس لمستر هاكس، طبع بيروت، بالفارسيّة.

قع = قاموس عبريّ ـ عربي، لقوجمان، طبع ١٩٧٠ ـ م.

كليّات ـ لأبي البقاء الكفَوي، طبع إيران، ١٢٨٦ ـ هـ .

www.attaweel.com

كتاب الأفعال لابن القَطاع، طبع حيدرآباد، ١٣٦٠ ـ هـ .
لسا = لِسان العرب لابن منظور، طبع بيروت، ١٣٧٦ ـ هـ ، ١٥ مجلّداً.
المُروج = مُروج الذهب للمسعودي، طبع مصر، مجلّدان، ١٣٤٦ ـ هـ .
مِصبا = مِصباح اللغة للفَيّومي، طبع مصر، ١٣١٣ ـ هـ .
المَعارف = لابن قُتيبة، بالتحقيق من ثروت عكاشه بمصر، ١٩٦٠ ـ م.
المعرّب من الكلام الأعجميّ، للجَواليقي، طبع مصر، ١٣٦١ ـ هـ .
معجم البلدان للياقوت الحموي، طبع بيروت، ٥ مجلّدات.
مغني اللّبيب لابن هِشام، طبع إيران.
المفردات للراغب، في غريب القرآن، طبع مصر، ١٢٣٤ ـ هـ .
مقا = مَقاييس اللغة لابن فارس، طبع مصر، ٦ مجلّدات، ١٣٩٠ ـ هـ .

وقد راجعنا في تحقيق الكلمات جميعَ الكتب المؤلّفة في اللّغة والأدب قديماً وحديثاً، وما نقلنا إلّا ممّا اعتمدنا عليه، بمقدار حاجتنا من غير تكرار وتغيير، وإنّما ضبطنا ما يلزم ضبطه. وهو الهادي إلى الصّواب.

www.attaweel.com

مباحث مهمّة في الكتاب

الرّؤيا للنّائم، أضغاث أحلام ٣٤

حقيقة الهداية، أنواع الضّلال ٣٩

حقيقة الضّوء، النّور ٥٢

تشكّل الملائكة بصورة إنسان ٦١

ما يتعلّق بالحروف المقطّعة في أوائل السُّوَر ٨٧

السّماوات والأرض والأيّام السّتّة ١١٤

خِلقة الحُور، الجانّ ١٣٧

ما يتعلّق بآية «يا أيّتها النّفسُ المطمئنّة» ١٤٨

ما يتعلّق بالطّيب والحياة الطيّبة ١٨١

ما يتعلّق بالظّلم، وحقيقة الظّلمة والنّور ٢٠٥

ما يتعلّق بآية «ولا يبدين زينتهنّ إلّا ما ظهر ...» ٢٢٤

ما يتعلّق بمفهوم المشرق والمغرب ٢٤٥

ما يتعلّق بآية «والنّازعات غرقاً» ٢٥٨

ما يتعلّق بآية «يغضّوا من أبصارهم ...» ٢٨٦

بحث في موجبات المغفرة وما ينفيها، الغفور ٢٩٣

بحث في الغنى والفقر ـ الغنيّ ٣٣٤

ما يتعلّق بآية «فبما أغوَيتَني ...»، «ولأُغوينَّهم ...» ٣٥٢

بحث في الغيب ومراتبه ٣٥٣

www.attaweel.com

بعض من الأوزان والقواعد

صيغة: في مادّة:

فَعْلاء وفِعال .... ضرّ
فِعلىٰ .... ضيز
فِعْل .... غسل
فِعلين .... غسل
فاعِل .... غرم
فَعيل .... غرم
فُعلَة .... غرف
أفعَلَ .... طلق
فَعَّلَ .... طلق
فاعَلَ .... ضرّ
تَفَعَّلَ .... غيط
تَفاعَلَ .... ضرّ
إفتَعَلَ .... ضرّ، غيط
أفعال المقاربة .... طفق
تشخيص الإعراب .... طفق
حروف مجهورة ومهموسة وآثارها .... غلو
بحث في كلمة غير في الاستثناء .... غير

www.attaweel.com

هو

الله عزّ وجلّ

بمنِّه وتوفيقه وتأييده

يتلوه الجزء الثّامن وأوّله

حرف العين

ولمّا كان بابُ العين أوسعَ لغةً

جعلناه في مجلّدٍ واحد

وهو الثّامن

www.attaweel.com